تصوير ابو عبدالرحمن الكردي

اوراق من تاريخ الاخوان المسلمين

الكتاب الاول

ظروف النشأة وشخصية الإمام المؤسس

منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
للكتب (كوردى ، عربي ، فارسي)

جمعة أمين عبدالعزيز

بۆدابەزاندنی جۆرەها کتێب:سەردانی: (مُنتَدى إقرَأ الثَقافِي)

لتحميل انواع الكتب راجع: (مُنتَدى إقرَأ الثَقافِي)

براي دانلود كتابهاى مختلف مراجعه: (منتدى اقرأ الثقافى)

www. iqra.ahlamontada.com

منتدى إقراء الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

للكتب (كوردى ,عربي ,فارسي)

أوراق من تاريخ
الإخوان المسلمين

ظروف النشأة
وشخصية الإمام المؤسس

جمعة أمين عبد العزيز

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/١٧٧٥١

الترقيم الدولى: I.S.B.N
977-265-403-2

شركة الأمل للتجهيزات الفنية
عامر شماخ وشركاه
ت: ٥٧٦١١٩٦٢

دار التوزيع والنشر الإسلامية

مصر - القاهرة - السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٢٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٢٩٢١٤٧٥
مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٢٩١١٩٦١
www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

إهداء

إلى روح الشهيد

مجدد الدعوة وإمام الدعاة فى زمانه

وفاءً للمعلم والمربى، وزداً للفضل لأهله؛ إلى الإمام حسن البنا

وإلى أتباعه فى كل عصر ومصر، لتطمئن القلوب إلى نصاعة

التاريخ وفقه الإمام، وعلم المربى وتضحية المجاهد

إلى هؤلاء جميعًا

نهدى هذه السطور المضيئة وهذه الصفحات المنيرة.

تقديم بقلم فضيلة الأستاذ

مصطفى مشهور المرشد العام السابق للإخوان المسلمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فيطيب لى أن أقدم لهذه الرسالة «أوراق فى تاريخ الإخوان المسلمين» للأخ الفاضل الأستاذ جمعة أمين عبد العزيز الذى بذل جهداً مشكوراً فى إعداد هذه الرسالة، جزاه الله خيراً على ما قدم ويقدم دائماً من خير، وعمل نافع لإخوانه ولدعوته.

وتاريخ الإخوان المسلمين ليس تاريخ أشخاص، أو بلدان، أو مذهب من المذاهب، لكنه تاريخ أمة أظهرها الله على مسرح الوجود في فترة من فترات التاريخ شديدة السواد، أحاطت بأمة الإسلام، وتاريخ عقيدة ربانية، تجسدت فى مجتمع مسلم متحاب تجمعه أخوة الإسلام فجعلت منه خير أمة أخرجت للناس، وتاريخ جهاد وكفاح في سبيل الله لاسترداد ما ضاع من أمة الإسلام، وسُلب منها في فترات الضعف والركود، لقد آمن بها من شرح الله صدره للعمل للإسلام، فصاروا بها كل شيء بعد أن كانوا بغيرها لا شيء، وانطلقوا بها يحملون الحرية والسعادة من جديد للعالم.

لقد أذن الله لهذه الجماعة أن تحمل راية الإسلام بعد أن عمل اليهود- وهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا- على إسقاط الخلافة، ثم عملوا على زعزعة العقيدة فى نفوس أهلها، ثم جاء الاستعمار فقسم العالم العربى والإسلامي إلى دويلات، وصارت أمة الإسلام- بعد أن كانت الأمة الواحدة القوية العزيزة- أممًا متعددة ضعيفة بينها من الخلاف أكثر مما بينها من الوفاق، وهكذا فقد المسلمون الراعى الذى يرعاهم، والوحدة التي تدعمهم وتقويهم، والمنهج الذى يجتمعون حوله، والراية التى ترفرف فوق ربوعهم.

لقد أدرك الأعداء أن سر قوة المسلمين فى شريعتهم، وعقيدتهم، وأن الشريعة لا تستكمل مقوماتها إلا فى ظل الإخوة والوحدة، وكما قال الإمام الغزالي: «الشريعة أصل، والحاكم حارس، ومن لا أصل له فمهدوم، ومن لا حارس له فضائع».

ولقد وفى المؤلف فى الفصل التمهيدى هذه الجوانب، وتحدث عن واقع المسلمين فى هذه الفترة، وعن مخططات الأعداء، وعن الخلفيات التاريخية للأحداث، وتحدث عن الحركات الإسلامية التى ظهرت فى هذه الفترة، وهى السنوسية فى ليبيا، والمهدية فى السودان، والوهابية فى السعودية، وأشار إلى التيارات والمؤامرات التى استطاعت أن تقف فى طريقها كحركات إسلامية جهادية، وتحدث عن سقوط الخلافة وأثر ذلك على مصر، والاحتلال الإنجليزى وأثره على الأمة، ثم أشار إلى حركات التبشير وأثرها فى ذلك الوقت، وحركة تحرير المرأة وأهدافها، والتحلل الأخلاقى والعقائدى، وكيف واجه الإخوان كل هذه التيارات.

وفى الباب الثانى تحدث المؤلف حديثًا وافيًا عن الإمام البنا وشخصيته وتأسيس جماعة الإخوان فى الظروف الشديدة التى تمر بها الأمة، فجاءت الجماعة فى أوانها لا لرد الانهيار الأخلاقى فى الأمة فحسب، أو مواجهة التبشير فقط، ولكنها كانت استجابة ليقظة الروح الإسلامية فى قلوب الناس، وامتازت بفهم شامل صحيح للإسلام جاءت لإيقاظ روح الجهاد وتربية الأمة عليه، ورفع رايته من جديد، ضد كل مستكبر أو مستعمر غاصب، أذل العباد وسرق خيرات الأمة، جاءت الإخوان على قدر لتقيم العدل، وترفع الظلم، جاءت بقدر الله وقدرته ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٤٠] جاءت لتضع النواة الإسلامية لأمة القرآن من جديد، ثم تحدث عن شخصية الإمام ومولده، والجو الذى عاش فيه ومكونات شخصيته بالتفصيل، وركز المؤلف على جوانب من هذه الشخصية الفذة ووضحها للقارئ، وهى كما قال الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله: « إن الأستاذ حسن البنا، أمة وحده، وقوة كنت أنشدها فى نفس المؤمن، فلم أجدها إلا يوم أن عرفته فى تلك الغرفة المتواضعة، وكنت ابن صنعته يوم اكتشفت بينى وبين نفسى حاجة الإسلام إلى هذا الداعية القوى الصابر المثابر الذى يعطى الدعوة من ذات نفسه، ما هى فى حاجة إليه من قوة ومرونة، وجد وصبر وثبات إلى النهاية ».

ولقد وضح الإمام البنا أن دعوة الإخوان المسلمين هى دعوة الإسلام ولا شيء غير الإسلام، فكل أخ مسلم يبلغ دعوته حيثما ذهب ويدعو الناس لتحقيق متطلباته، والإخوان يهتمون بقضايا المسلمين فى كل مكان، ودعوة الإسلام فيها صلاح البشرية، والإسلام دين العزة والسلام، ولا يعادى غير المسلمين إذا سالموه، وهو توجه الإخوان دائمًا وتفكيرهم السياسى إقليميًا ودوليًا، وقد استطاعت أن تؤدى دورًا كبيرًا فى ربط

الشعوب العربية والإسلامية بعضها ببعض، كما عملت على توثيق العلاقات الدينية والثقافية والسياسية بين هذه الشعوب.

ولقد طرح الإخوان منهجًا هو الإسلام وحده، يقول الإمام: « ومن الحق أيها الإخوان أن نذكر أننا ندعو بدعوة الله وهى أسمى الدعوات، وننادى بفكرة الإسلام، وهى أقوم الفكر، ونقدم للناس شريعة القرآن وهى أعدل الشرائع » (رسالة بين الأمس واليوم).

وفى رسالته إلى الشباب يقول: « ففكرتنا إسلامية بحتة، على الإسلام ترتكز ومنه تستمد، ولا نرضى سواه إمامًا، ولا نتبع لغيره أحكامًا، ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨٥] ».

كما تحدث المؤلف عن فهم الإخوان الصحيح للإسلام، وعن شموله لكل شيء، خاصة الانشغال بالأمور السياسية، وكلام الإمام فى هذا الموضوع فى غاية الوضوح يقول: « فمن ظن أن الدين لا يعرض للسياسة، أو أن السياسة ليست من مباحثه فقد ظلم نفسه، وظلم علمه بهذا الإسلام، ولا أقول ظلم الإسلام فإن الإسلام شريعة الله ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت: ٤٢] (نظام الحكم فى الإسلام).

لقد ختم المؤلف حديثه عن الإمام بذكر استشهاده وتألب الأعداء على هذه الدعوة وتحدث بالتفصيل عن المؤامرة التى اشتركت فيها حكومة ذلك العهد، بعد تضييق الحصار عليه، وتم ذلك بعد طلب سفراء الدول الغربية منها ذلك، وعندما نقل إلى المستشفى تركوه ينزف حتى صعدت روحه إلى بارئها تشكو الظلم والظالمين، ونال الإمام الشهادة وهى الأمنية التى كان يطلبها طوال حياته رضى الله عنه وأرضاه وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ **وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٠ - ١٤١].

من نحن وماذا نريد؟

يقول الإمام البنا رضى الله عنه فى بيان من هم الإخوان المسلمون:

« أحب أن تتبينوا جيداً من أنتم من أهل هذا العصر، وما دعوتكم بين الدعوات وأية جماعة جماعتكم، ولأى معنى جمع الله بينكم ووحد قلوبكم ووجهتكم، وأظهر فكرتكم فى هذا الوقت العصيب الذى تتلهف فيه الدنيا إلى دعوة السلام والإنقاذ ».

ثم يقول: «فاذكروا جيداً أيها الأخوة: أنكم الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، وأنكم العقل الجديد الذى يريد الله أن يفرق به للإنسانية بين الحق والباطل، وأنكم دعاة الإسلام وحملة القرآن وصلة الأرض بالسماء».

أما ما نريده ونعمل على تحقيقه بكل الوسائل المشروعة فقد تحدث الشهيد البنا عنه فقال: «نحن ندعو الناس إلى مبدأ واضح محدود ومسلم به منهم جميعًا، هم جميعًا يعرفونه، ويؤمنون به ويدينون بأحقيته ويعلمون أن فيه خلاصهم، وإسعادهم وراحتهم» إن دعوة الإسلام للبشرية كافة، وللمسلمين خاصة، أن يعبدوا الله وحده، ودعوتنا لكل من أظهر الرضا بالإسلام دينًا، أن يخلصوا دينهم لله، ويزكوا أنفسهم من شوائب النفاق وأعمالهم من التناقض، ودعوتنا لأهل الأرض أن يغيروا ما بأنفسهم، حتى يشعروا بالأمن والأمان والسعادة فى الحياة، ونريد للمرأة المسلمة أن تأخذ وضعها الصحيح فهى الابنة والأم والأخت، وهى الزوجة التى هى السكن للرجل والرجل سكن لها، وهى نصف المجتمع ونصف الأمة والقائمة على تربية وإعداد وتنشئة كل الأجيال، توجه وتغرس المبادئ والعقائد فى النفوس، ونريد للمجتمعات الإسلامية أن تؤمن بضرورة الشورى وتعمل عى تطبيقها، فأمر المسلمين شورى بينهم فى أمورهم الخاصة والعامة، لإقامة العدل، وتطبيق حكم الله، وتحقيق مصالح المسلمين، حتى لايستبد فرد أو فئة من الناس فى أمر تعم به البلوى، وتتأثر به مصالح الغالبية من الأمة، تلك هى الرسالة التى يريد الإخوان أن يبلغوها للناس وأن تفهمها الأمة حق الفهم، وأن تهب لإنقاذها فى عزم ومضاء وأن تجاهد فى سبيلها حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد أفاض المؤلف فى جميع الجوانب، وكل نقوله موثقة بذكر مصادرها مما زاد فى القيمة العلمية للرسالة. فجزاه الله خيراً عن الجهد المبارك الذى بذله فى إعداد هذه الرسالة، وتقبل الله منه وجعل عمله فى ميزانه إنه سميع مجيب.

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

الرجل الذى علمنا..

إن أخطر ما يؤثر فى بناء شخصية المسلم، ويقلل أو يزيد من فاعليته فى مجتمعه الذى يعيش فيه، درجة وضوح فكرته ودعوته، فإذا ما وضحت هذه الفكرة لديه أخذ يدعو إليها كل قلب متفتح على أنها الخير المحض الذى يؤمن به، فيقدم للناس التصور السليم الذى يحمله والفكرة العميقة التى يعتقدها بالوضوح الذى لديه، لأن فاقد الشىء لا يعطيه، ألا ترى ربعى بن عامر حين خاطب رستم قائد الفرس كان ما يدعو إليه واضحًا أجلى الوضوح حين قال له: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة»، هكذا كان الإمام البنا رحمه الله، إنه الرجل الذى تعلمنا منه الإسلام تطبيقًا عمليًا، وكان قدوة فى التطبيق؛ تصورًا وحركة، ورأينا ذلك فى فكره وحركته ودعوته، فتعلمنا منه أن كل إنسان قبل أن يصمم على البدء بالخطوة الأولى فى مسيرته إلى الهدف الذى رسمه لنفسه، عليه- أولا وقبل كل شىء- أن يكون مؤمنًا بهذا الهدف، مؤمنًا بقدرته على تحقيقه بمشيئة الله وعونه،ذلك أن من لايؤمن بهدفه الذى يسعى إليه ولا يؤمن كذلك بأنه قادر على بلوغ هذا الهدف- بتوفيق الله- حرى به ألا يصل إلى ما يبتغيه لنفسه مهما طال به الانتظار وتمادى عليه الزمن، ذلك لأن الإيمان بالهدف المنشود، والإيمان بالوصول إليه هما الشرطان الأساسيان لكل عمل جاد يأخذ الإنسان نفسه به ويتطلع إلى تنفيذه، ولنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة حيث نشعر فى جميع مراحل حياته الشريفة بأنه صاحب قضية حق، فكان ﷺ دءوبًا لا يكل ولايمل من العمل، بالرغم من أن الله وعده أن هذه القضية مكتوب لها النصر والغلبة، مهما تراخى من الزمن.

لقد عرف الإمام البنا تاريخ الأمم والنهضات وتاريخ الدعوات والرسالات، وعرف من قراءة التاريخ أن نهضات الأمم ورسالات النبيين ودعوات المصلحين لا تنجح ولا تنصر إلا بالرجال المؤمنين الأقوياء، الذين يكونون بمثابة البناة والحراس، ولذلك فهو يعتبر بناء

الرجال أهم ما ينبغى أن يعنى به المصلحون، وأن له الأولوية على ما سواه، ولذلك كان منهج التغيير عنده يبدأ بالفرد المسلم من داخله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] ، وهو بفعله هذا إنما يتبع المنهج النبوى؛ ذلك لأن النبى ﷺ قد جعل أكبر همه طوال العهد المكى هو تكوين الجيل الربانى والرعيل القرآنى الأول، من خلال تعهد دائم وصحبة مباركة ومراقبة إيجابية، وهكذا كان منهج الإمام البنا يتمثل قوله لأتباعه: «كونوا عباداً قبل أن تكونوا قوَّاداً تصل بكم العبادة إلى أحسن القيادة»، كان – رضوان الله عليه– شديد الإيمان بأن التغيير النفسى والروحى هو أساس كل تغيير وإصلاح، وأن على الدعاة والمصلحين أن يبذلوا جهدهم الفكرى والدعوى والعملى لإيقاظ الأرواح وإحياء القلوب، وتنبيه الضمائر، وتحريك المشاعر وتجديد الإيمان، وأن ذلك سيعمل عمله، ويؤتى أكله حسب سنة الله فى الخلق.

ولهذا كله فإنه مهما يقل القائلون، ويتجن المتجنون، فلقد اكتسبت دعوة الإخوان فى مصر وفى غيرها من بلاد العالم مجموعات من خيرة عناصر الوطن؛ توقد عقول، وزكاة نفوس، وتدفق مشاعر، وقوة عزائم، وطهارة أخلاق، وسمو أرواح، صقلهم الدين وضمهم الإسلام فى رحابه، وتولاهم بتربيته وتزكيته، حتى صنع منهم جماعة اجتمعت على محبة الله، والتقت على طاعته، وتوحدت على دعوته، وتعاهدت على نصرة شريعته، يقول فضيلة الدكتور القرضاوى: «لقد هيأ الله للإمام البنا الأنصار والأتباع من كل فئات الشعب من هم أزكى نفوساً، وأذكى عقولا وأصدق نيات، وأقوى عزائم، وأقدر على الالتزام بفرائض الإسلام، وأخلاق الإسلام، ولوازم الخيرية للإسلام».

اجتمع على الشيخ البنا الشباب والشيوخ، وأبناء المدن والقرى، والفلاحون والمتعلمون، والأميون وطلاب الجامعة وأساتذتها، وخريجو المدارس المدنية وخريجو المعاهد الأزهرية، وكذلك الرجال والنساء، وكان يقوم على توجيههم وتربيتهم تربية إيمانية صنعت منهم نماذج رحيمة بالناس، كل الناس، رؤوفة بالعاصى ومشفقة على الكافر والجاحد، تدعو إلى سبيل ربها بالحكمة والموعظة الحسنة، يقول إمامهم: «كونوا كالشجر يرمى بالحجر فيلقى بالثمر»، ويقول: «سنقاتل الناس بالحب»، مقتدياً فى ذلك بقول على رضى الله عنه: «من لانت كلمته وجبت محبته».

وكذلك كان يقول للمتحمسين: أيها الإخوان المسلمون: «ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة

والواقع، واكتشفوا الحقائق فى أضواء الخيال الزاهية البراقة، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها، وحولوا تيارها، واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر، وما هى منكم ببعيد، إنكم تبتغون وجه الله وتحصيل مثوبته ورضوانه، وذلك مكفول لكم ما دمتم مخلصين، ولم يكلفكم الله نتائج الأعمال ولكن كلفكم صدق التوجه وحسن الاستعداد، ونحن بعد ذلك : إما مخطئون فلنا أجر العاملين المجتهدين، وإما مصيبون فلنا أجر الفائزين المصيبين، على أن التجارب فى الماضى والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا فى طريقكم، ولا إنتاج إلا مع خطتكم، ولا صواب إلا فيما تعملون، فلا تغامروا بجهودكم، ولا تقامروا بثمار نجاحكم، واعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم، والفوز للعاملين، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وبهذا الإيمان العميق وهذا التصور الحق وبهدى الرسول ﷺ اقتدى الإمام حسن البنا، فلم يأت بجديد مستغرب، ولم يكن بدعًا فى دعوته، إنما جدد قديمًا كاد الناس أن ينسوه أو يتركوه بعد أن اتخذوا هذا القرآن مهجوراً، فدعوته صدى الدعوة الأولى يدوى فى الأمة المسلمة ليظهر واضحًا فى تصرفاتها، وليجمع قلوبها عليه، ويستعيد بهم خيرية هذه الأمة، إنه رضوان الله عليه يريد أن يضع فى رؤوس الناس عقلا جديداً على ظهر الأرض بنظام جديد وإنسانية جديدة جمعت قلوب العباد على رب العباد.

ما تميزت به دعوة الإمام:

تميزت دعوته عن غيرها بخصائص أهمها:

أولا: النظرة الشمولية للإسلام.

ثانيًا: الاتجاه إلى التجميع والتوفيق، لا التنفير والتفريق.

ثالثًا: العناية بالتكوين، والبناء التربوى المتكامل.

فهى دعوة تميزت بإسلاميتها الواضحة، إسلامية المصدر، وإسلامية المنطلق، وإسلامية الغاية، وإسلامية الوسيلة، ولكى يتحقق هذا التصور، كان سبيله علمًا يحدد به التصور السليم فهمًا وحركة، وتربية متأنية لإيجاد النموذج القدوة عمليًا وتطبيقيًا؛ فيتكون من هذه اللبنات جماعة تقوم على صحة الاعتقاد وصدق الاتباع وتحقق عقد الإيمان وعقد الأخوة.

ولذلك بدأ بتصحيح منهج التفكير حتى يكون المنهج إسلاميًا فاهتم أولاً بـ :

١- تحرير العقيدة من الجمود الذى أصابها والأوهام التى لحقت بها، والتركيز بعد الفهم السليم لهذه العقيدة على أثرها فى تكوين الشخصية الإسلامية الأخلاقية، وأثر هذه العقيدة فى الكون والإنسان والحياة؛ ليكون الفهم دقيقًا.

٢- تخليص العقل من النظرة الجزئية للإسلام، فلا تضخيم للجزئيات والفرعيات على حساب الكليات والقطعيات، ولكن نظرة كلية شاملة بفهم واع وعقل مستنير لتميز الفهم بالشمول والعموم والسمو والدوام والكمال.

٣- كسر الجمود الذى أصاب العقل من إغلاق باب الاجتهاد وإعادة ترتيبه وصياغته صياغة إسلامية ليقدم حلولا لمشاكل العصر بضوابط الشرع.

لقد أجاب الإمام البنا على أسئلة كثيرة تعتمل فى القلوب والصدور، كموقف الإخوان من استخدام القوة، والموقف من قضية فلسطين والشعوب الإسلامية المضطهدة والبلاد الإسلامية المستعمرة، والإخوان والحكم، والإخوان والأحزاب، وموقف الجماعة من المرأة، وعلاقة الجماعة بغير المسلمين، وعلاقتها بالغرب، وبفضل الله عليه لم يترك شاردة ولا واردة إلا أجاب عنها بوثائق مازالت موجودة وشاهدة على ذلك، فضلا عن إزالة الشبهات وتبيين الفرق بين الثوابت والمتغيرات بأسلوب رحيم وحجة بالغة وأدب فى الحوار.

دعوة اكتملت مقوماتها :

ولذلك فإن فضيلة الدكتور القرضاوى يقول تحت عنوان « دعوة اكتملت مقوماتها » : « للدعوة الموفقة أو الدعوة الناجحة أو الدعوة المكتملة مقومات أو أركان، لابد أن تتوافر لها حتى تقوم بمهمتها، وتؤدى دورها وتحقق أهدافها التى تنشدها فى الإيقاظ والتنوير، أو فى التربية والتطهير، أو فى التجديد والتغيير، أو فى البناء والتعمير، أو فى الجهاد والتحرير أو فى التوحيد والوحدة ».

هذه المقومات أو الأركان الأساسية قد قدر الله لها أن تجتمع وتتكافل فى دعوة الإخوان المسلمين، وإن شئت قلت : فى حركة الإخوان المسلمين، فهى دعوة وهى حركة، أو هى دعوة متحركة وحركة داعية.

وهذه المقومات السبعة فى دعوة الإخوان هى :

١- أن تكون الحاجة داعية إليها، لتسد فراغًا قائمًا.

٢- أن تكون متميزة، واضحة الشخصية والسمات.

٣- أن ترزق بقيادة واعية حكيمة تعرف غايتها وطريقها.

٤- أن يُهيأ لها جنود مؤمنون برسالتهم، صادقون واعون مترابطون.

٥- أن تكون أهدافها واضحة، لا يشوبها ضباب ولا اضطراب.

٦- أن تكون وسائلها لتحقيق غايتها واضحة كذلك، معروفة المراحل والخطوات.

٧- أن تكون مواقفها من القضايا الكبيرة واضحة بينة غير غامضة ولا غائمة.

ولا دليل على صدق ما قاله فضيلة الدكتور القرضاوى أوضح من استمرارية دعوته وجماعته وتلاميذه حتى يومنا هذا ما زالوا هم طليعة العمل الإسلامى الصحيح، وهم الذين يحملون - بفضل الله وحده، ثم بثبات الرجال المخلصين - لواء البعث الإسلامى ويتقدمون صفوفه على كل المستويات فى جميع قارات العالم الخمس، لقد خفقت بجهاده وجهوده رياح التغريب، ودعاوى القوميين، وانزوت أفكار عبَّاد الغرب والحضارات الزائفة، ولقد استطاع أن ينقل الأمة فى زمن قصير نقلة واسعة دون صراع أو خلاف وشهد بذلك علماء عصره، وفقهاء زمانه، والعقلاء فى كل مكان ممن عرفوه وعايشوه وسنعرض لذلك بين دفتى هذا الكتاب.

نشأته وتقدير أتباعه له:

هذا هو المؤسس، وهذه دعوته.. هذا هو من تمنى أن يكون مرشداً معلمًا، وكيف لا؟ وهو الذى نشأ النشأة الدينية مع التربية الإيمانية، متلقيًا من والد فقيه، وأسرة ملتزمة بتعاليم الإسلام، وأحاطت به كوكبة من العلماء والزهاد، وأحبه الجميع وتوقعوا له مستقبلا طيبًا، واستجاب الله لكلام أحد أصدقائه، وهو يودعه حين سفره إلى الإسماعيلية ويقول له: «إن الرجل الصالح يترك أثرًا صالحًا فى كل مكان ينزل فيه، وإنا لنرجو أن يترك صديقنا - يقصد الإمام- أثرًا صالحًا فى هذا البلد الجديد عليه».

فهل تُرك الإمام البنا مع وضوح فكرته وسمو غايته وأخلاقة، أقول: هل تُرك وشأنه لكى ينشر دعوته ويربى أتباعه ويحقق آماله؟ كلا... بل قال الأحباب من غير الإخوان

ومن أفراد نحترمهم وجماعات نقدر جهودهم: إن الإخوان قدَّسوه، وقال الأعداء: إنهم عبدوه. فهو فى نظرهم بين مقدس أو معبود.

والحق يقال إن الإخوان المسلمين يقدِّرون إمامهم ويسندون ما يقولونه إليه لأنه كما قيل: «بركة العلم إسناده لقائله»، وإلا ماذا نقول عن إمام كابن القيم والذى كان كثيراً ما يقول: قال شيخنا «قدس الله روحه» يقصد – ابن تيمية – ويسند ما يقوله إليه، بل إن ابن تيمية كثيراً ما يذكر الإمام أحمد بن حنبل ويسند إليه ما يقوله، والإمام أحمد بن حنبل يذكر الشافعى، والشافعى يذكر الإمام مالك وهكذا فهل هؤلاء قدسوا شيوخهم، وإن كانت مرجعيتنا الإسلام وأنه لا عصمة لأحد فأين التقديس إذن إذا كانت مرجعيتنا الإسلام؟

دعوى التقديس :

يقول فضيلة الشيخ محمد عبد الله الخطيب:

«نحن نقدر الرجال الأوفياء الذين خدموا الإسلام ورفعوا رايته، وبذلوا أرواحهم فى سبيل الله، نقدر هؤلاء جميعًا فى كل عصر من عصور التاريخ، ولكن لا نقدسهم، وفرق كبير بين الأمرين، وحاش لله أن يُقَدَّس بشر غير معصوم، لكننا فى عصر صراع القيم واختلال المفاهيم، واستباحة الكلمة عند البعض بالتلاعب بها وتسخيرها للحديث عن الشئ وضده، حتى يصعب على البعض أن يميزوا بين الشعارات المتعارضة، والأشكال المتزاحمة فى الساحات المختلفة، واستغل البعض أجهزة الإعلام فى تشويه رسالة الحق، وحرفوا صورتها الربانية متأثرين بما تقوله الموجات المادية الطاغية، ولقد كشف الإخوان ألاعيب السياسة والسياسيين ولم تصب هذه السهام دعوة الإمام البنا وارتدت إلى صدورهم دائمًا. ولعل السبب فى هذا أن الإمام البنا رغم رحيله عنا منذ أكثر من خمسين سنة، لا يزال أثره باقيًا حتى اليوم».

ضرورة كتابة التاريخ:

واستميحك عذراً أيها القارئ الكريم فى هذه المقدمة – التى طالت عن قصد – وأقول: أليس للجماعة حق فى أن تكتب تاريخها وتوثقه وتقدمه للعالم فى مشارق الأرض ومغاربها لتستبين السبيل ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢)، فلقد نشأت أجيال لا تعرف عن تاريخ الإمام البنا شيئًا ولا عن جماعته

إلا من رحم ربك، وقليل ما هم، وفى أعناقنا حق لهذه الأجيال أن تعرف تاريخ الجماعة ومؤسسها نشأة وتربية وأسرة ومجتمعًا، جهاداً ومجاهدة، دراسة وتلقيًا، فكرًا وحركة، ومصاعب وابتلاءات، ولا يتحقق هذا كله إلا بالتسجيل والإثبات، وقد رأيت ضرورة أن أبين الظروف التى نشأ فيها الإمام وقامت فيها دعوته، وذلك لأن لتلك الظروف أثرها المنطبع على الدعوة فجاء الباب الأول تمهيداً لتناول حياة الإمام، ومن بعده تاريخ الجماعة.

لذلك كان الهدف من كتابة هذا التاريخ الموثق هو:

أولاً: إيجاد مرجع صحيح وموثق للأتباع والأحباب ولمن أراد المعرفة الصحيحة الصادقة.

ثانيًا: تصحيح وتصويب الوقائع التاريخية.

ثالثًا: إثبات صحة المنهج وامتداده طوال السنين، ووحدة التصور والأهداف لدينا نحن الوارثين لهذا الطريق أفراداً وقيادة.

رابعًا: معرفة الثوابت والمتغيرات فى فكر الإمام حسن البنا ومنهج التغيير.

خامسًا: الوقوف على الدروس المستفادة لتزداد الخبرة التراكمية ويستفاد منها.

سادسًا: إظهار خطأ الباطل ومنهاجه، ووسائل كشفه ورده.

سابعًا: زيادة الثقة والاطمئنان للطريق ومناهجه حين يعرف التاريخ الصحيح للدعوة.

ثامنًا: تقديم النموذج الممتد عبر السنين والذى يدل على استمرارية الدعوة دون فجوة بين قديم وحديث وشيخ وشاب.

والذى أحب أن أؤكده أن هناك من سبقنى فى مثل هذه الكتابات وقد استفدت منهم كثيراً، وجزاهم الله عن الدعوة والإسلام والمسلمين خيراً، فهم أهل السبق والغيورون على الدعوة من الرعيل الأول، فمنهم فضيلة الأستاذ محمود عبد الحليم - رحمه الله - الذى لا يزال عمله الضخم «أحداث صنعت التاريخ» مرجعًا لكل من يريد أن يتعرف على الإخوان من الداخل، ومنهم أستاذنا الجليل فضيلة الدكتور يوسف القرضاوى الفارس الهمام الذى دائمًا ما يسل سيفه - قلمه - ليدحض افتراءات

المضللين ويرد كيد الكائدين، ويوضح بضاعة هذه الدعوة وتاريخها المجيد، والله أسأل أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، كما نذكر هنا بالعرفان والتقدير الأخوة المرشدين السابقين وندعو بالتوفيق للقائمين ومن تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا والذين ثبَّتوا هذا الفهم بدمائهم وجهودهم وما زالوا على الدرب سائرين.

وها أنذا بعون الله وحده أدلى بدلوى وإن كان ماؤه قليلا ولكن يكفينى شرفًا أن أكون ضمن هذه القافلة المباركة التي تذود عن هذه الدعوة المباركة، وتشارك بجهد المقل توضيحًا لحياة المؤسس وتاريخ الدعوة، والتي أسأل الله أن يبارك فيها وأن يجرى الخير على يدى أتباعها، فإن أصبت فيما أقول فبتوفيق من ربى وإن أخطأت فمن نفسى. والله أسأل أن يغفر لى زلاتى، إنه نعم المولى ونعم النصير. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير لعفو ربه

جمعة أمين عبد العزيز

الإسكندرية في يوم الجمعة ٢٨ من شوال ١٤٢٢ هـ

الموافق ١٠/١/٢٠٠٢م

فصل تمهيدى

المجتمع المصرى إبان ظهور الإمام البنا
وأهم الدعوات التى سبقت دعوة «الإخوان المسلمون»

المبحث الأول

المجتمع المصرى إبان ظهور الإمام البنا

تعرض المجتمع المصرى– مع مطلع القرن العشرين– لموجات وتيارات حادة أثرت عليه سلبًا وإيجابًا، وخلال الربع الأول من ذلك القرن كادت هذه الموجات أن تعيد تشكيل ورسم صورة المجتمع المصرى لولا تلطف الله تعالى بمصر والمشرق العربى.

وفى استعراض سريع موجز نشير إلى أهم هذه التيارات والاتجاهات العالمية التى صاحبت مطلع القرن العشرين والتى تفاعل معها المجتمع المصرى وهى كما يلي:

١– نمو الروح القومية.

٢– نمو الدعوة للتحرر والاستقلال.

٣– نمو الروح العسكرية.

٤– نمو الروح الديمقراطية.

٥– زيادة الاهتمام بفكرة المجتمع الدولى.

٦– ظهور الفكر الاشتراكى.

٧– سيادة الاتجاه العلمي.

٨– موجة عاتية من الانحلال الخلقي ليس لها مثيل من قبل.

سنعطى لمحة موجزة عن كل:

١ – نمو الروح القومية:

يوصف القرن التاسع عشر– عادة– بانه عصر «القومية» حيث شهد هذا العصر الكثير من التغيرات والانقلابات والثورات الإقليمية الدولية، والتى وقعت باوروبا فى

ذلك الحين، وكانت - معظمها- تعبيراً عن نمو متزايد للروح القومية، وتجسيداً لفكرة الانتماء والولاء للعنصر أو الأرض.

ومع مطلع القرن العشرين انتقلت الروح القومية لتجد صداها فى آسيا وأفريقيا، ومن ثم لم يكن عجبًا أن تُظهر تركيا المسلمة- حاضرة العالم الإسلامي في ذلك الوقت- دعوة القومية، وكان بروز القومية التركية بديلاً عن «الرابطة الإسلامية».

وفى المشرق الإسلامى سرت هذه الفكرة، فنادى «ساطع الحصرى» بـ«القومية العربية»، وفى مصر نشأ تيار جديد ينادى بالقومية المصرية ويبث الشعور بالوطنية الإقليمية فى الأمة على أساس العنصر وليس على أساس العقيدة والدين.

ومن العوامل التى ساعدت على نمو الروح القومية فى مصر:

- تأثر فئة من المبعوثين المصريين- الذين تلقوا ثقافتهم وتعليمهم بالخارج- بالثقافة الأوروبية، ومن ضمن ما تأثروا به فكرة «القومية»، فكانوا دعاتها وحماتها.
- ازدياد حركة الكشوف الأثرية التى تمت فى تلك الفترة، والتي أزاحت اللثام عن كثير من جوانب التاريخ القديم لمصر، فكان لهذه الكشوف الأثرية أثر بالغ فى تولد مشاعر بأن لمصر شخصيتها المستقلة، لاسيما أن ذلك قد صادف توجها فكريا يغذى المشاعر بأن مصر للمصريين، وأن مصر فرعونية كبديل عن إسلاميتها(١).
- معاناة الشعوب العربية من بعض الحكام والولاة المرتبطين بالسلطنة العثمانية التركية، ووقوع بعض المظالم مما أثار المشاعر العربية والقومية فى نفوس هذه الشعوب.

٢- نمو الدعوة للتحرر والاستقلال والعمل الوطنى:

وقعت مصر فريسة فى قبضة الاحتلال الإنجليزى عام ١٨٨٢م، ومع بداية القرن العشرين ازادت قبضة الاحتلال وبسط نفوذه على البلاد، وعمل على فرض ثقافته وفكره ونظامه وقانونه وعاداته وتقاليده بغية سلخ البلاد من هويتها ومحو شخصيتها.

ولقد شهد القرن العشرون فى مطلعه دعوات وطنية مخلصة ترنو إلى التحرر

---

(١) راجع في ذلك:

- د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، ص ٥٠، ٢٣٩.
- دوفان قرقوط، تطور الفكرة العربية فى مصر من ١٨٠٥- ١٩٣٦م، ص ٢٣٨.
- د. سعيد إسماعيل على، الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية على حركة الفكر التربوى فى مصر من ١٨٨٢- ١٩٢٣م، ص ٣٠.

والاستقلال بداية من الزعيم مصطفى كامل إلى ثورة ١٩١٩م، وما بعدها من حركات وطنية تصب في تيار العمل الوطني.

وفى وسط هذا الجو الملبد بالغيوم والأفكار المتضاربة، والدعوات المتعددة الاتجاهات نشأ الإمام البنا- رضى الله عنه- وتفتحت عيناه، فأدرك أن بلده وأمته قد استولى عليها عدوها، واستبد بشئونها خصمها، فهى أمة تجاهد ما استطاعت فى سبيل استرداد الحق السليب، والتراث المغصوب، والحرية الضائعة، والأمجاد الرفيعة، ولم يكن غريبًا أن يشارك فى الثورة على الإنجليز عام ١٩١٩م، حين كان عمره ثلاثة عشر عاما وهو طالب بالمدرسة الإعدادية بالمحمودية، وكان يردد مع الناس:

حب الأوطان من الإيمان ... وروح الله تنادينا

إن لم يجمعنا الاستقلال ... ففى الفردوس تلاقينا[١]

٣- نمو الروح العسكرية:

تميز القرن العشرون بأنه قرن الاعتماد على القوة العسكرية للفصل فى المنازعات، ويكفى أنه قرن الحروب العالمية والنزاعات الدولية والصراعات الأهلية.

وقد تبنت الدول الكبرى هذه الروح، وتبعتها فى ذلك الدول الصغرى التى اندفعت إلى عقد معاهدات والدخول فى أحلاف مع الدول الكبرى لضمان الإغداق عليها بالسلاح والقوة العسكرية فى مقابل التبعية.

وقد شهدت أوروبا- فى بواكير هذا القرن- نزعات عرقية تميزت بالقوة العسكرية، فظهرت الفاشية فى إيطاليا، والنازية فى ألمانيا، وتحقق لهما انتصارات باهرة أدهشت العالم، ولم يكن غريبًا أن يتأثر بذلك شباب فى كل بلد من بلدان العالم يرغب فى إحراز مثل هذا النصر.

وكان لهذه الروح العسكرية التى انبعثت فى أوروبا صداها فى مصر، فرأينا تشكيلات القمصان الخضر أتباع حزب مصر الفتاة بزعامة أحمد حسين، ومثلها جماعات القمصان الزرق أتباع حزب الوفد، وتبنى الحزب الوطنى القديم هذه الروح[٢]، ومما أدى إلى إذكاء

---

(١) الإمام حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص ٢٨، ٢٩.

(٢) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة، ص ٨١، ٨٢.

هذه الروح وقوع البلاد فى قبضة المحتل، ووجود المظالم، ويأس الوطنيين من المفاوضات مع المحتل الغاصب.

٤- نمو الروح الديمقراطية:

رغم بطش القوة العسكرية، فإن التيار الديمقراطى قد نما وانتشر فى مناطق من العالم، وقد ساعد على ذلك عوامل كثيرة منها [١]:

- مطالبة الوطنيين بالاستقلال ومساندة النقابات العمالية فى البلاد الاستعمارية لهذه المطالب.
- الآثار السيئة التي ترتبت على ظهور النازية والفاشية جعلت الكثيرين ينادون بالديمقراطية.
- نجاح الحلفاء فى القضاء على النازية الألمانية.

وقد انعكست هذه الروح الديمقراطية على مصر، فظهرت الحركة الوطنية على مسرح السياسة المصرية ممثلة في الزعيم الوطنى مصطفى كامل، ومطالبته بحقوق مصر، وكذلك خلفه الزعيم الوطنى محمد فريد الذى قاد الشعب نحو المطالبة بالحرية والديمقراطية وحقه فى حكم نيابى صحيح، كما حث مجلس شورى القوانين على المطالبة بالدستور [٢]، ثم كان توالد الكثير من الأحزاب السياسية المصرية، إلا أن قوى الاحتلال الإنجليزى وأذنابهم من المنتفعين المصريين حاولوا دون نمو هذه الروح على النحو السليم، وتلاعبوا بحقوق الشعب ولوثوا الحياة السياسية.

٥- زيادة الاهتمام بفكرة المجتمع الدولي:

تأثر كثير من المفكرين وأرباب القلم بفكرة المجتمع الدولي والوطن العالمى، وبدأ هذا التأثر عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى «١٩١٤- ١٩١٧» فتجاوب مع الفكرة «سلامة موسى» فكتب فى مجلة «كل شيء» فى ٢٩ / ٩ / ١٩٢٩م: «علينا أن ندخل فى غمار الدعوة العالمية، وأن نتطور من وطنية القطر إلى وطنية العالم، كما يجب علينا أن نؤلف للنشء المناهج التى تحببه فى هذه الفكرة»[٣]،وقد رد عليه «ساطع الحصرى» – كبير

---

(١) جان لاكتوير، جان بوميه، الدول النامية فى الميزان، ص ٣١ : ٣٥.

(٣) مصطفى صفوت، مصر المعاصرة وقيام الجمهورية العربية المتحدة ص ١١٣.

(٣) أنور الجندى، معالم الفكر العربى المعاصر، مطبعة الرسالة، القاهرة ١٩٦٦م، ص ١٨١، وانظر: سلامة موسى، جيوبنا وجيوب الأجانب، مطبعة المجلة الجديدة القاهرة، ١٩٣٢م ص ٩.

دعاة القومية العربية- فى مجلة «التربية والتعليم العراقية» بقوله: «وهل يجوز للمصرى خاصة والعربى عامة أن يصغى للسلام وحقوقه مهضومة، وجميع بلاده تحت الاحتلال» (١).

٦- ظهور الفكر الاشتراكي:

شهدت أوروبا مولد الفكر الأشتراكى كرد فعل على مساوئ الفكر الرأسمالى، وبدا الفكر الاشتراكى للنظرة الأولى أنه تصحيح لمسار الرأسمالية، سرعان ما اشتد وقوى وصار مزاحمًا بل محاربًا له.

وبعد الحرب العالمية الأولى وانتصار الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧م ظهر المعسكر الشيوعى كقوة كبيرة يتزايد وزنها المادى والمعنوي يومًا بعد يوم في مواجهة المعسكر الرأسمالى، وسجل التاريخ البشرى- فى أوائل القرن العشرين- مولد الفكر الاشتراكى وبروز المعسكر الشيوعى، ثم انقسام العالم الغربي إلى شرق وغرب وحلفين متصارعين «وارسو وناتو».

وقد كان من الطبيعى أن تصل أصداء هذا الانتصار إلى الدول النامية التى عانت كثيرًا من السيطرة الرأسمالية، فاتجه كثير من هذه الدول إلى الأخذ بالمبادئ الاشتراكية التى تمثلت أمام هذه الدول على أنها تمتلك مفتاح الحل الاقتصادى لمشكلات التخلف التى عانت منها هذه الدول (٢).

ويمكن القول بأن المبعوثين المصريين إلى أوروبا فى الفترة من نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هم الذين حملوا بوادر الفكر الاشتراكى إلى مصر، وقد جرت محاولات عدة للتعبير والدعوة لهذا الفكر الوافد على مصر، ومن ذلك محاولة تأليف حزب اشتراكى مصرى عام ١٩١٨ م من «منصور فهمى، عزيز ميرهم» الذى كان أدنى إلى التطرف فى الاشتراكية، ولكن هذه المحاولة أحبطت عندما عارضها «محمود عزمى» الذى أقنع «منصور فهمى» بعدم ملاءمة ظروف مصر الاقتصادية والاجتماعية لتنظيم الجهود فى سبيل المبادئ الاشتراكية(٣).

---

(١) أحمد ربيع خلف الله، الفكر التربوى وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين، ص٣٠.

(٢) أمين مصطفى عبد اللاه وآخرون، الاشتراكية العربية، مطبعة لجنة البيان العربى، ١٩٦٠م، ص ٧٤.

(٣) عبد العظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ إلى ١٩٣٦، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر، ص ٥١٠.

وقد كان تكوين أول حزب شيوعى فى مصر عام ١٩٢٠م على يد المستشرق « جوزيف روزنتال »، وكان مؤسسو الحزب من العناصر الأجنبية وخاصة اليهودية، وقد تعرض هذا الحزب للهجوم من كل فئات الرأى العام المصرى بسبب أن معظم أعضاء الحزب من الأجانب[١]، كما أن مبادئ الحزب كانت غير مألوفة للرأى العام المصرى.

ثم ظهرت تيارات فكرية تدعو إلى اشتراكية ذات طابع مصرى عربى حملت لواءها جماعة مصر الفتاة التى أطلقت على نفسها « الحزب الاشتراكى المصرى »، وتزعمها « أحمد حسين، وفتحى رضوان » وهذا الحزب كان يرى أن التعليم يجب أن يكون حقًا لكل المواطنين أو بالمجان، إلا أن هذا التيار الفكرى لم يحقق أهدافه لعدة أسباب منها: غلبة الطابع العسكرى على أعضائه »[٢].

٧- سيادة الاتجاه العلمي:

إذا كان القرن التاسع عشر قد شهد ثورة صناعية هائلة حتى لقب القرن بها، وصارت معلمًا دالا عليه، فإن القرن العشرين شهد ثورة علمية أشد، وبلغ العلم منزلة عالية توجت القرن العشرين ، ومن ثم يمكن لنا أن نقول – وبصدق – إن القرن العشرين هو قرن العلم وعصر المنهج العلمى

فقد ظهرت قوة العلم ومنهجه بعد أن تطورت نظرياته وعمت نتائجه وتطبيقاته، وظهرت للوجود آثاره وثماره حتى شملت معظم قطاعات الحياة ومعالمها، فحلت الآلة مكان الأيدى البشرية، وقامت كثير من الصناعات الثقيلة والخفيفة، وترتب على تطبيقات المنهج العلمى على ميادين الحياة تطورات ضخمة كان من أبرزها: زيادة القدرة على الكشف والاختراع، نمو المدن والمواصلات الحديثة والسريعة، وكان لهذه المدنية آثار بعيدة على جميع جوانب الحياة، فغيرت من وظائف عدد كبير من الأنظمة والمؤسسات، وخلقت معها وظائف لم تكن موجودة من قبل [٣].

وقد تأثر المجتمع المصرى بهذه الموجات الحضارية المصطبغة بالصبغة العلمية، وحدثت تغييرات جذرية فى البناء الثقافى والاجتماعي والاقتصادى كأثر لهذه الموجات.

---

(١) المرجع السابق ص ٥١٤.

(٢) لطفى منيب بركات أحمد، معالم فلسفة تربوية – الفكر الاشتراكى العربى فى مصر، رسالة دكتوراه، كلية التربية ، جامعة عين شمس، ١٩٧٧، ص٥٥.

(٣) محمد الهادى عفيفى، التغيير الثقافى، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠، ج٣، ص ٩١، ٤ .

٨- تيار الانحلال الخلقى «ومحاولة علمنة مصر»:

تعرضت مصر لموجة عارمة من الانحلال الخلقى والإباحية، واشتدت هذه الموجة مع بداية القرن العشرين، واتخذ الانحلال والإباحية صوراً متعددة، وظهرت كتب وجرائد ومجلات تنضح بهذه السموم، وتدعو المصريين إلى التحلل فى النفوس والآراء والأفكار باسم التحرر العقلى، وكذلك التحلل فى السلوك والأخلاق والأفعال باسم التحرر الشخصى والحرية الشخصية وظهر المسرح والسينما والإذاعة، وانتقلت الفرق المسرحية من بلاد الشام لتستوطن مصر، وراجت الحياة لهذه الفرق، واستغلت المرأة أبشع استغلال، حيث تزامنت الدعوة إلى حرية المرأة المصرية مع محاكاة المرأة الغربية فى بلاد المسلمين من حيث العرى والعهر والاختلاط، فانتقلت أخلاق المرأة الغربية إلى المرأة المسلمة.

نعم لقد ظهر الفساد فى البر والبحر والجو، وشاعت الرذيلة، دون نكير مؤثر عليها، وفى هذه الظروف المحزنة المبكية كان علماء الشريعة، وكانوا متفرقين متناحرين، منهم من أدرك حقيقة الأوضاع الآسنة واستسلم لها، ومنهم من أدرك خطورة الأوضاع الفاسدة ولكنه يأس من إصلاحها، ومنهم من انشغل بدنياه عن خدمة دينه والعمل له(١)، وللإمام الشهيد حسن البنا إشارة لهذه الأوضاع أوردها فى مذكراته يقول: «وصرت أرقب هذين المعسكرين، فمعسكر الإباحية والتحلل فى قوة وفتوة، ومعسكر الإسلامية الفاضلة فى تناقض وانكماش، واشتد بى القلق حتى إنى لأذكر أننى قضيت نحواً من نصف رمضان هذا العام (٢) في حالة أرق شديد، لايجد النوم إلى جفني سبيلا من شدة القلق والتفكير فى هذا الحال»(٣).

وقد انعكست آثار هذه الموجات العارمة من الانحلال والإباحية والإلحاد على المجتمع المصرى فى بدايات القرن العشرين لاسيما فى المدن الكبرى المصرية كالقاهرة والإسكندرية.

---

(١) د. محمد عبد القادر أبو فارس، السيرة الجهادية للإمام البنا، دار البشير، ص ٣٩.

(٢) هو العام الأخير للإمام البنا فى دار العلوم ١٩٢٧م.

(٣) الإمام حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص ٥١، ٥٢.

هذه باختصار أبرز المعالم والتيارات والاتجاهات العالمية التى لعبت دورها على مسرح الحياة المصرية مع مطلع القرن العشرين وخلال نصفه الأول، والتى كان لها دور مؤثر فى تشكيل بعض الاتجاهات والجهود الى عرفتها مصر إبان ظهور الإمام البنا وتأسيس جماعة الإخوان المسلمين.

وسنقوم بإيجاز بتحليل واقع المجتمع المصرى فى بداية القرن العشرين الذى كانت نشأة الإمام حسن البنا فيه.

المبحث الثانى

أهم الدعوات التى سبقت دعوة «الإخوان المسلمون»

لقد سبقت دعوة «الإخوان المسلمون» كثير من الدعوات التى تأثرت بها دعوة الإخوان، واستطاعت الاستفادة من الجوانب الإيجابية فى تلك الدعوات والتجاوز عن سلبياتها، مما كان له أبعد الأثر فى نجاح دعوة الإخوان واستمراريتها رغم ما تعرضت له من صعاب.

وأهم هذه الدعوات:

١- الدعوة الوهابية.

٢- الدعوة المهدية.

٣- الدعوة السنوسية.

أولاً: الدعوة الوهابية:

التعريف:

يسميها البعض «الدعوة السلفية» ويطلق عليها آخرون «دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، وأيا كان اسمها، فهى رائدة الحركات الإصلاحية التى ظهرت إبان عهود التخلف والجمود الفكرى فى العالم الإسلامى، أما من حيث المضمون فهي تدعو إلى العودة بالعقيدة الإسلامية إلى أصولها الصافية، وتلح على تنقية مفهوم التوحيد مما علق به على أنواع الشرك.

التأسيس والمؤسس:

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب المشرقى التميمى النجدى عام «١١١٥هـ- ١٧٠٣م»، ببلدة العيينة القريبة من الرياض، وتلقى علومه الأولى على والده دارسًا شيئًا من الفقه الحنبلى، والتفسير والحديث، حافظًا القرآن وعمره عشر سنوات.

ذهب إلى مكة حاجًا، ثم سار إلى المدينة ليتزود بالعلم الشرعى، وفيها التقى بشيخه محمد حياة السندى «ت ١١٦٥ هـ- ١٧٥٣م» صاحب الحاشية على صحيح البخارى، وكان تأثره به عظيماً، ثم عاد بعد ذلك إلى العيينة.

توجه إلى العراق عام «١١٣٦هـ- ١٧٢٤م» ليزور البصرة وبغداد والموصل، وفى كل مدينة منها كان يلتقى بالشيوخ والعلماء، ويأخذ عنهم.

بدأ يجهر بدعوته إلى التوحيد فى عام ١١٤٣هـ- ١٧٣٠م» فى حريملاء حيث انتقل إليها مع والده الذي كان يعمل قاضياً، لكنه ما لبث أن غادرها بسبب تآمر نفر من أهلها عليه لقتله، متوجهاً إلى العيينة، حيث عرض دعوته على أميرها «عثمان بن معمر» الذى قام معه بهدم القبور والقباب وأعانه على رجم امرأة زانية جاءته معترفة بذنبها.

لكن أمير الإحساء عريعر بن دجين الذى لم تعجبه دعوة الشيخ فأرسل إلى أمير العيينة يأمره بأن يمنع الشيخ عن الدعوة، فغادر الشيخ البلدة كى لا يحرج أميرها، وتوجه إلى الدرعية مقر إمارة آل سعود، ونزل ضيفاً على محمد بن سويلم العرينى عام «١١٥٨هـ» حيث أقبل عليه وأكرمه.

اقتنع أمير الدرعية محمد بن سعود الذى حكم فى الفترة من «١١٣٩ - ١١٧٩هـ» بدعوة الشيخ فعاهده على حمايته وتأييده بشرطين، ألا يرتحل عنهم ولا يستبدل بهم غيرهم، وألا يمانع فى أن يأخذ الحكم وقت الثمار ما اعتاد على أخذه من أهل الدرعية، فوافق الشيخ، وأمل له فى غنائم الفتوحات التى يفتحها الله عليه، فيعوض بذلك عما يأخذه من أهل الدرعية.

وهكذا حقق الشيخ ما كان يعتقده من ضرورة وجود قوة للحق تحميه؛ لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، ومضى الأمير والشيخ فى نشر الدعوة فى ربوع نجد، ولما توفى الأمير خلفه ابنه عبد العزيز محمد ليتابع مناصرة الدعوة مع الشيخ، حتى توفاه الله فى الدرعية «١٢٠٦هـ - ١٧٩١م».

وقد ترك الشيخ مصنفات كثيرة، كان أهمها:

١ - كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد.

٢ - كتاب الإيمان.

٣ - كشف الشبهات.

٤ - آداب المشى إلى الصلاة.

٥ - مسائل الجاهلية.

٦ - عدد من الرسائل والمختصرات التى تدور حول أمور فقهية وأصولية، أكثرها فى التوحيد.

أهم الأفكار والمعتقدات:

- اتسمت دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب بأنها لا مذهبية فى أصولها، حنبيلة فى فروعها، فقد كان الشيخ حنبلى المذهب فى دراسته لكنه لم يكن يلتزم به فى فتواه إذا ترجح لديه الدليل فيما يخالفه، واعتمدت الدعوة منهج أهل السنة والجماعة فى فهم الدليل والبناء عليه.

- أكدت على ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة، وعدم قبول أى أمر فى العقيدة ما لم يستند إلى دليل مباشر وواضح منهما، ودعت إلى تنقية مفهوم التوحيد، والرجوع به إلى ما كان عليه المسلمون فى الصدر الأول للإسلام.

- دعت إلى فتح باب الاجتهاد ، بعد أن ظل مغلقًا منذ سقوط بغداد سنة ٥٦٥هـ وإحياء فريضة الجهاد، وقد كان الشيخ صورة للمجاهد الذى يمضى فى فتح البلاد وينشر الدعوة، ويزيل مظاهر الشرك التى انحدر إليها الناس.

- اهتمت كثيراً بالقضاء على البدع والخرافات، خاصة زيارة القبور والنذر لها، وطلب قضاء الحاجات عندها، ومنعت بناء القبور وكسوتها، وإسراجها، وتصدت لشطحات الصوفية المنحرفة وادعاءاتهم الباطلة.

- وإجمالا نستطيع أن نقول أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد ترسم فى دعوته أعلامًا ثلاثة، استن طريقتهم، وهم الامام أحمد بن حنبل «١٦٤ - ٢٤١هـ»، وابن تيمية «٦٦١ - ٧٢٨هـ»، وابن قيم الجوزية «٦٩١ - ٧٥١هـ».

ولكن يؤخذ على هذه الدعوة جنوح بعض دعاتها إلى التعالى فى بعض الأحيان، وغلبة الأسلوب الصدامى مع مخالفيهم بدلاً من أسلوب التفاهم والتواد، وكادت هذه الدعوة تنحصر فى محاربة جزئية واحدة من الدين وهى محاربة البدع فقط.

ثانيًا : الدعوة المهدية :

التعريف :

المهدية واحدة من أبرز حركات الإصلاح التى ظهرت فى العالم العربى والإسلامى مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادى وبداية القرن العشرين، وهى ذات مضمون دينى سياسى شابه بعض الانحرافات العقائدية والفكرية، وما يزال أحفاد المهدى وأنصاره يسعون لأن يكون لهم دور فى الحياة الدينية والسياسية فى السودان.

التأسيس وأبرز الشخصيات :

أولاً : المؤسس :

هو محمد أحمد المهدى بن عبد الله « ١٢٦٠ - ١٣٠٢هـ = ١٨٤٥ - ١٨٨٥م » ولد فى جزيرة « لبب » جنوب مدينة دنقلة، يقال بان نسبه ينتهى إلى الأشراف، حفظ القرآن وهو صغير، ونشأ نشأة دينية وتتلمذ على الشيخ محمود الشنقيطى، سالكًا الطريقة السمانية القادرية الصوفية، متلقيًا عن شيخها محمد شريف نور الدائم.

لاحظ محمد على شيخه تهاونًا فى بعض الأمور، ففارقه وانتقل إلى الشيخ القرشى ود الزين، وجدد البيعة على يديه وكان شيخه الثانى من أكبر مشايخ الطرق الصوفية آنذاك.

استقر فى عام ١٨٧٠م فى جزيرة « آبا » حيث يقيم أهله، والتزم أحد الكهوف مستغرقًا فى التأمل والتفكير، وفى عام ١٢٩٧هـ - ١٨٨٠م توفى شيخه القرشى، فقام المهدى بتشييد ضريحه وتجصيصه وبناء القبة عليه، وصار خليفته من بعده، حيث توافد عليه المبايعون مجددين الولاء للطريقة فى شخصه.

وفى عام ١٨٨١م أصدر فتواه بإعلان الجهاد ضد الكفار والمستعمرين الإنجليز، وأخذ يعمل على بسط نفوذه فى جميع أنحاء غرب السودان، ثم اعتكف أربعين يومًا فى مغارة بجزيرة « آبا » وفى غرة شعبان ١٢٩٨هـ الموافق ٢٩ يونيو ١٨٨١م أعلن للفقهاء والمشايخ والأعيان أنه المهدى المنتظر، الذى سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا.

قابل قوة الحكومة التى أرسلت لإخماد حركته فى ١٦ رمضان ١٢٩٨هـ الموافق

أغسطس ١٨٨١م، وأحرز عليها انتصاراً دعم موقفه ودعواه، ثم هاجر إلى جبل ماسة، ورفع راياته هناك، وعين له أربعة من الخلفاء هم:

١ – عبد الله التعايشي: صاحب الراية الزرقاء، ولقبه بأبي بكر.

٢ – علي ود حلو: صاحب الراية الخضراء ولقبه بعمر بن الخطاب.

٣ – محمد المهدى السنوسي رئيس الطريقة السنوسية، ذات النفوذ الكبير في ليبيا، وعرض عليه المهدى منصب الخليفة عثمان بن عفان، ولكن السنوسي تجاهله ولم يرد عليه.

٤ – محمد شريف: وهو ابن عم المهدى، الذى جعل له الراية الحمراء ولقبه بعلى بن أبى طالب.

تابع المهدى انتصاراته، ففى عام ١٨٨٢م قابل الشلالى الذى أراد أن ينفذ إرادة جيلبر نائب الحكمدار عبد القادر حلمي، فقتل الشلالى، وفي ٣ نوفمبر سنة ١٨٨٣ التقى مع هلس الذى لقى حتفه أيضًا بعد يومين من بداية المعركة، وفى ٢٦ يناير ١٨٨٥م التقى جيشه بجيش غوردون في الخرطوم، واشتدت المعركة وقتل غوردون الذى كان يأمل المهدى بإلقاء القبض عليه حيًا ليبادل به أحمد عرابى الذى أجبر على مغادرة مصر إلى المنفى.

وكان سقوط الخرطوم بين يدى المهدى آنذاك إيذانًا بانتهاء العهد العثماني علي السودان، ومن يومها لم يبق للمهدى منافس حيث قام بتأسيس دولته مبتدئًا ببناء مسجده الخاص.

توفى المهدى فى يوم ٩ رمضان ١٣٠٢ هـ – الموافق ٢٢ يونيو ١٨٨٥م، بعد أن أسس أركان دولته الوليدة، ودفن فى المكان الذى قبض فيه، وجدير بالذكر أن هذه الدولة لم تدم طويلاً، ففى عام ١٨٩٦م قضى اللورد كتشنر الذى كان سرداراً لمصر على هذه الدولة، ونسف قبة المهدى ونبش قبره، وبعثر هيكله، وبعث بجمجمته إلى المتحف البريطاني انتقامًا لمقتل غوردون.

الأفكار والمعتقدات:

إن شخصية المهدى القوية، والمعتقد الدينى الذى كان يدعو إليه، والسخط العام الذى كان سائداً ضد الولاة الذين كانوا يفرضون الضرائب الباهظة على الناس، وتفشى

الرشوة، والمظالم، وسيطرة الأتراك والإنجليز كان لذلك كله دور مهم فى جمع الناس حول هذه الدعوة بهدف التخلص من الوضع المزرى الذى هم فيه إذ وجدوا فى المهدى المنقذ والمخلص.

دعا المهدى إلى ضرورة العودة مباشرة إلى الكتاب والسنة دون غيرهما من الكتب التى يرى أنها تبعد بخلافاتها وشروحها عن فهم المسلم البسيط العادى، وألح بشدة على الجهاد والقوة والفتوة، وحرم الاشتغال بعلم الكلام، وأوقف العمل بالمذاهب الفقهية المختلفة، وفتح باب الاجتهاد فى الدين.

ألغى جميع الفرق الصوفية، وأبطل جميع الأوراد داعيًا إلى نبذ الخلافات والالتفات حول طريقته المهدية، مؤلفًا لأتباعه وردًا يقرؤونه يوميًا، وقال بالقطبية، وهى الفكرة التى يزعم أصحابها من المتصوفة أن الكون يرتكز عليها، وأنها جوهر الكون، وعليها يدور، وأنها أساس السعادة.

يزعم المهدى بأن مهديته قد جاءته بأمر من رسول الله ﷺ إذ يقول: «وقد جاءنى فى اليقظة، ومعه الخلفاء الراشدون، والأقطاب والخضر عليه السلام، وأمسك بيدى ﷺ، وأجلسنى على كرسيه وقال لى: أنت المهدى المنتظر، ومن شك فى مهديتك فقد كفر»(١)، بل ونسب إلى نفسه العصمة، وذكر بأنه «معصوم» نظرًا لامتداد النور الأعظم فيه من قبل خلق الكون إلى يوم القيامة.

ولما تحركت الحكومة لضرب المهدية فى جزيرة «آبا» كتب المهدى خمس رايات، رفع عليها شعار «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وعلى أربعة منها اسم واحد من الأقطاب الأربعة عند المتصوفة، وهم: الجيلانى، والرفاعى، والدسوقى، والبدوى، أما الخامسة فقد كتب عليها «محمد المهدى خليفة رسول الله» وعلى ذلك فهو يزعم أنه الإمام والمهدى، وخليفة رسول الله.

ومع ذلك فلا ننكر أنه أقام فى المنطقة التى امتد إليها نفوذه نظامًا إسلاميًا، ونظم الشئون المالية، وعين الجباة لجمع الزكاة، وأقام حدود الشريعة فى أتباعه كالقصاص

---

(١) منشورات الإمام المهدى عليه السلام - دار الوثائق المركزية فى وزارة الداخلية السودانية بالخرطوم، مطبعة الحجر، أم درمان سنة ١٣٨٢هـ - ١٩٣٦م، ج ١، ص ١١.

وحيازة خمس الغنائم، وغيرها، وسك العملة باسمه ابتداء من فبراير ١٨٨٥م – جمادى الأولى ١٣٠٢هـ.

تأثر المهدى بالشيعة فى ادعائه «المهدية» التى ستملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وفى التأكيد على أهمية نسبه الممتد للحسين بن على، وفى فكرة العصمة والإمام المعصوم، لكن من ناحية أخرى قد أخذ عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب قوله بضرورة الأخذ عن الكتاب والسنة مباشرة، وفتح باب الاجتهاد ومحاربته لبناء القبور، ومن ناحية ثالثة كان للفكر الصوفى دور مهم فى رسم شخصية المهدى وطريقته.

أخذ عن جمال الدين الأفغانى، وعن الإمام محمد عبده الأفكار الداعية إلى تحرير البلاد الإسلامية من الاستعمار الأوروبى وتوحيدها وضرورة تطبيق الشريعة فى حياة المسلمين، وكان قريبًا من الأحداث الجارية فى مصر، وبالذات حركة أحمد عرابى الداعى إلى التحرير والاستقلال عن السيطرة الإنجليزية.

كان يلح على ضرورة التواضع، وعدم البطر، وتشديد النكير على الانغماس فى الملاذ والبذخ والنعمة، ويعمل على التقريب بين طبقات المجتمع، وقد عاش حياته يلبس الجبة المرقعة هو وأتباعه ووصل به الحال أن حرم الاحتفال بالأعراس والختان لأنه يدعو إلى النفقة والإسراف، لكن أحفاده من بعده عاشوا فى ترف ونعيم.

منع البكاء على الأموات، وحرم الاشتغال بالرقى والتمائم وحارب شرب الدخان وزراعته والاتجار به، وشدد فى تحريمه، ويسر الزواج بتخفيف المهور وبساطة الولائم، وتحريم الرقص والغناء وضرب الدفوف.

تطلع المهدى إلى عالمية الدعوة حيث أعلن أن الرسول ﷺ قد بشره بانه سيصلى فى الأبيض ثم فى بربر ثم فى المسجد الحرام بمكة، فمسجد المدينة فالقاهرة، وبيت المقدس وبغداد والكوفة(١).

وهو بذلك يتطلع إلى نشر الدعوة خارج السودان لكن هذا الأمل تلاشى بسقوط طوكر عام ١٨٩١م.

---

(١) منشورات الإمام المهدى عليه السلام – دار الوثائق المركزية فى وزارة الداخلية السودانية بالخرطوم، سنة ١٩٦٩.

ومما يذكر أنه مازال للمهدية أنصار كثيرون يجمعهم «حزب الأمة» الذى يسهم فى الأحداث السياسية الحالية فى السودان، كما أن لهم تجمعاً وأنصاراً فى أمريكا وبريطانيا، يعملون على نشر أفكارهم ومعتقداتهم بين أبناء الجاليات الإسلامية عامة والسودانيين خاصة.

بعض الانتقادات الموجهة لاجتهادات المهدى:

١ - لقد كفر المهدى من خالفه، أو شك فى المهدية أو لم يؤمن به، وسمى الزمان الذى قبله زمان الجاهلية.

٢ - أفتى بأن من يشرب التنباك يؤدب حتى يتوب أو يموت، وجعل المتهاون فى الصلاة كالتارك لها جزاؤه أن يقتل حداً، ونهى عن زواج البالغة بلا ولى ولا مهر، ومنع النساء من لبس الحلى من الذهب والفضة وهى مباحة شرعاً.

٣ - جعل المذاهب الفقهية والطرق الصوفية مجرد قنوات تصب فى بحره العظيم!!

ثالثًا: الدعوة السنوسية:

التعريف:

السنوسية واحدة من أبرز الحركات الإسلامية فى العالم العربى والإسلامى، ظهرت فى شمال أفريقيا - تحديداً فى ليبيا - فى بداية القرن التاسع عشر الميلادى، حملت الإسلام إلى مناطق نائية فى أواسط أفريقيا، ورغم مضمونها الصوفى إلا أنها استطاعت أن تقيم دولة دافعت عن ليبيا ضد الاستعمار الفرنسى، والإنجليزى، والإيطالى.

المؤسس:

هو أبو عبد الله محمد بن على السنوسى الخطابى الإدريسى(١)، ولد ببلدة «مستغانم» محلة «الواسطة» بالجزائر، يوم ١٢ ربيع الأول ١٢٠٢هـ الموافق ٢٢/١١/١٧٨٧م(٢)، مات أبوه وهو رضيع، فكفلته عمته السيدة فاطمة، ثم ابن عمه السيد الشارف، وكان من العلماء.

---

(١) لامى خليفة العازمى: المنهج التربوى فى دعوات الإصلاح فى العصر الحديث: الوهابية، السنوسية، والمهدية ص ١٤٠، رسالة ماجستير ١٩٩٥، فى مكتبة دار العلوم تحت رقم ٦١٧، معجم المؤلفين ١١/١٤.

(٢) فؤاد شكرى: السنوسية دين ودولة ص ١١، د. الدجانى: الحركة السنوسية ص ٣٧.

طلب السنوسى العلم فى بلدته، ثم رحل إلى جامع القرويين فى مدينة فاس، وكان محط رحل العلماء، ثم رحل إلى القاهرة، وغادرها بعد معارضة علماء الأزهر لتعاليمه فتوجه إلى الحجاز[١] حوالى عام ١٨٣٠م، وهناك أخذ بعض الطرق الصوفية على يد شيوخها المقيمين فى مكة، منها الطريقة الشاذلية، والطريقة الفاسية، والطريقة الناصرية، والطريقة القادرية، والطريقة التيجانية[٢]، لكن علاقة الصداقة توطدت بين السنوسى والشيخ أحمد بن عبد الله بن إدريس الفاسى مؤسس الطريقة الفاسية، فسافر معه إلى اليمن، وظل بها حتى توفى ابن إدريس عام ١٨٣٥م، فرجع السنوسى مرة أخرى إلى مكة[٣].

أقام السنوسى زاويته بمكة فى «جبل أبى قبيس» بعد موت شيخه ابن إدريس، فأتاحت له إقامته بمكة فرصة دراسة مؤلفات محمد بن عبد الوهاب، فاقتنع ببعض مبادئ الدعوة الوهابية خصوصاً ما يتعلق بالدعوة إلى فتح باب الاجتهاد، والرجوع إلى الكتاب والسنة[٤]، وقد وافته المنية بعد طلوع شمس يوم التاسع من شهر صفر سنة ١٢٧٦هـ الموافق ٧ / ٩ / ١٨٥٩م[٥].

ومن مصنفات السنوسى:

١ – كتاب المسائل العشر، المسمى: «بغية القاصد فى خلاصة الراصد»، مطبوع بالقاهرة عام ١٣٥٣هـ.

٢ – المسلسلات العشرة فى الأحاديث النبوية، مطبعة السنة سنة ١٣٥٧هـ.

٣ – المنهل الروى الرائق فى أسانيد العلم وأصول الطرائق، ط ١، سنة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م، مطبعة حجازى بالقاهرة.

٤ – إيقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن، ط ١، سنة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م، القاهرة.

وغيرها من الكتب المطبوعة والمخطوطة.

---

(١) د. على المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة ص ٥٥.

(٢) فؤاد شكرى: السنوسية دين ودولة ص ١٩، ٢٠.

(٣) المرجع السابق ص ٢١ / ٢٢.

(٤) د. مصطفى حلمى: التصوف والاتجاه السلفى فى العصر الحديث، ص ٢٢٩.

(٥) فؤاد شكرى: السنوسية دين ودولة ص ٣٨.

مراحل تطور الدعوة وأهم الشخصيات :

يمكن تقسيم مراحل التطور إلى ثلاثة أطوار هى طور النشأة وطور النمو والانتشار، وطور الحروب، وقيام المملكة السنوسية. ومن خلال العرض المختصر لكل مرحلة سوف نتعرف على أهم شخصيات الدعوة السنوسية.

١ - طور النشأة (١٨٣٧ - ١٨٥٩م) :

يرتبط هذا الطور بتاريخ مؤسس الدعوة، محمد بن على السنوسى وهو طور دينى محض، بدأ من وقت إنشاء أول زاوية سنوسية بمكة، إلى موت السنوسى نفسه، اهتم السنوسى فى هذا الطور باختيار الأتباع، وتربيتهم، ثم بإنشاء الزوايا فى أنحاء ليبيا وتونس وفى السودان وفى مصر. ولعل هذا ما أثار السلطات العثمانية عليه، وأثار علماء الدين ضد تعاليمه، وبالذات المتعلقة بالرجوع إلى الكتاب والسنة، وفتح باب الاجتهاد.

٢ - طور النمو والانتشار (١٨٥٩ - ١٩٠٣م) :

يرتبط هذا الطور بحياة محمد المهدى بن السنوسى (١٨٤٤ - ١٩٠٢م) مؤسس السنوسية وفى زمنه تطورت السنوسية من طريقة صوفية إلى مذهب دينى يبنى نواة دولة جديدة[١]، وفى هذا الطور انتشرت الزوايا السنوسية فى البلاد حتى توغلت فى قلب الصحراء، واهتم المهدى السنوسى بتنظيم حياة الناس، وشئون الزراعة والتجارة، وتعمير الزوايا... لكن الاستعمار الفرنسى داهم السنوسيين بأسلحته الحديثة فهزمهم واشتد على المهدى السنوسى المرض فمات سنة ١٩٠٢م.

٣ - طور الحروب وقيام المملكة السنوسية (١٩٠٣ - ١٩٥٠م) :

عندما توفى محمد المهدى السنوسى سنة ١٩٠٢ كان ابنه محمد إدريس لم يزل حدثًا فانتقلت زعامة السنوسية إلى ابن أخيه أحمد الشريف بن محمد الشريف شقيق المهدى، على أن يكون فى الوقت نفسه وصيًا على محمد إدريس الخليفة الشرعى، وظل هذا الوضع إلى أن اعتزل أحمد الشريف الزعامة وآلت إلى محمد إدريس عام ١٩١٨ - ١٣٣٧هـ.

---

(١) لامى خليفة العازمى : المنهج التربوى فى دعوات الإصلاح فى العصر الحديث : الوهابية، والسنوسية، والمهدية ص ١٨٥، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم سنة ١٩٩٥م، وانظر د. ممدوح حقى : ليبيا العربية، ص ٦٥.

وفى هذا الطور انتقل جهاد السنوسيين ضد الفرنسيين بعد تدفق الغزو الفرنسى عند حدود برقة الجنوبية إلى الإيطاليين الذين هجموا على موانئ طرابلس وبرقة مستغلين ضعف الدولة العثمانية، واستعر القتال بين السنوسيين والأتراك ضد الطليان قرابة سنة إلى أن اضطرت تركيا وقف القتال تحت ضغط الدول الأوروبية ثم رجعت تركيا مرة أخرى بعد أن وقفت إيطاليا مع الحلفاء ضد ألمانيا التى ساندتها تركيا فهزموا الطليان.

وحاول أحمد الشريف بعد ذلك مهاجمة الإنجليز فى مصر فانهزم أمامهم فاعتزل وترك القيادة للسيد محمد إدريس السنوسى بعد سوء أحوال البلاد، وانتشار وباء الطاعون، والمجاعة وغيرها، وجاهد محمد إدريس ضد الإيطاليين، ثم ضد الإنجليز والفرنسيين بعد الحرب العالمية الثانية حتى حصل الاستقلال سنة ١٩٤٨، وفى سنة ١٩٥٠ اختير ملكًا على ليبيا، وكان أبرز من وقف بجانبه هو الشيخ عمر المختار الذى عهد إليه بقيادة السنوسية لمرضه سنة ١٩٢٣م، فقاد المقاومة ضد إيطاليا الفاشية إلى أن أعدموه سنة ١٩٣١م.

ونلاحظ تطور السنوسية فى هذا الطور من عقيدة صوفية ومذهب دينى إلى عقيدة وسياسة وبناء ملك معًا[١].

أهم المعتقدات والمفاهيم:

المناداة بالاعتماد على الكتاب والسنة، وتقييد التصوف بهما، واتساع مفهوم العبادة ليشمل الدين والدنيا، وترك الاشتغال بالسياسة فى أول دعوتهم، وقد ورد هذا فى كتبهم وتعاليمهم إلا أنهم قد أقحموا إلى السياسة إقحامًا خاصة أثناء جهادهم ضد المستعمر، وأدى ذلك إلى قيام مملكتهم سنة ١٩٥٠م واعتراف العالم بها، واعتمدوا فى نشر دعوتهم على الزوايا والطرق الصوفية، وإن كان منشىء الدعوة قد أعتقد بافكار الدعوة الوهابية، وكان لهم أثر كبير فى نشر الإسلام فى القارة الأفريقية، حتى أن جماعات التبشير اعتبرتهم منافسين لهم لا يستطيعون التغلب عليهم ولو بالمال.

---

(١) لامى خليفة : المنهج التربوى.. ص ١٧٠.

الباب الأول

واقع المجتمع المصرى

فى بداية القرن العشرين

نتناول فى الفصول الآتية تحليل واقع المجتمع المصرى فى بداية القرن العشرين لبيان وتجلية الأوضاع والأحوال السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية التى أثرت على المجتمع المصرى، ومن ثم كان لها تأثير ملحوظ فى نشأة الإمام الشهيد حسن البنا، وقيام دعوة الإخوان المسلمين، وذلك من خلال الفصول التالية :

الفصل الأول : الحياة السياسية التى كانت تحكم المجتمع المصرى فى بداية القرن العشرين.

الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

الفصل الثالث : الحياة الفكرية والثقافية.

الفصل الأول

الحياة السياسية التى كانت تحكم المجتمع المصرى إبان ظهور الإمام البنا وتأسيس دعوة الإخوان المسلمين

مع مطلع القرن العشرين، كانت مصر ترزح تحت قيود الاحتلال البريطانى الذى كان يجثم فوق ربوع البلاد ويتحكم فى مصير العباد ويأمر وينهى، وعلى الشعب وساسته السمع والطاعة.

إلا أن أحداثًا جسامًا نشبت بمصر خلال الربع الأول من القرن العشرين أثرت فى مسيرة العمل السياسى والحالة السياسية.

ونستعرض فى هذا الفصل الحياة السياسية من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: الأحداث السياسية المهمة وأثرها على نشأة الإمام البنا وجماعته.

المبحث الثانى: القوى السياسية المهمة المؤثرة فى المجتمع المصرى.

المبحث الأول

الأحداث السياسية المهمة وأثرها على نشأة الإمام البنا وجماعته

وقعت البلاد أسيرة فى قبضة الاحتلال البريطانى فى أعقاب فشل الثورة العرابية عام ١٨٨٢م(١)، وانتشر الجنود الإنجليز فى طول البلاد وعرضها يحمون المصالح الإنجليزية وصار لهم الكلمة الأولى فى البلاد، وأصبح السلطان المتوج على مصر ألعوبة فى يد الإنجليز.

ولم يهدأ الشعب المصرى ولم تخمد جذوة الثورة على المحتل الغاصب، ولم يعدم الشعب أن يجد رموزاً وطنية تنفخ فيه روح الحرية والكرامة، وتقوده إلى المطالبة بحقه فى الحرية والاستقلال، ومن هذه الرموز الوطنية مصطفى كامل « توفى فبراير ١٩٠٨ » والزعيم محمد فريد « توفى يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ »، وخلال الربع الأول من القرن العشرين وقعت أحداث مهمة أثرت على المجتمع المصرى عامة، وكان لها أثر ملحوظ فى نشأة الإمام الشهيد، ونتعرض لأهم هذه الأحداث السياسية على النحو التالى:

المطلب الأول: ثورة الشعب المصرى عام ١٩١٩م.

المطلب الثاني: لجنة اللورد ملنر ومظاهرات الاحتجاج والغضب عليها.

المطلب الثالث: إصدار دستور ١٩٢٣م.

المطلب الرابع: سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤.

المطلب الأول

ثورة الشعب المصرى عام ١٩١٩م

وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها فى نوفمبر سنة ١٩١٨م، وانشغل العالم بإصلاح ما أفسدته الحرب، وما كشفت عنه من كوارث، وتنادى الجميع إلى عقد مؤتمر الصلح العالمى بين الدول المتحاربة، وانعقد مؤتمر الصلح فى باريس، ورأى الوطنيون تشكيل وفد من الساسة المصريين للتوجه إلى باريس لعرض قضية استقلال مصر على

---

(١) احتل الإنجليز مصر فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢م، وهويوم سقوط القاهرة فى قبضة الإنجليز.

المؤتمر، وأعلن عن تشكيل وفد ينوب عن الأمة المصرية فى عرض قضية الاستقلال ويرأس الوفد سعد باشا زغلول، ومعه إسماعيل صبرى باشا، محمد محمود باشا، حمد الباسل باشا، فما كان من الإنجليز إلا أن أعلنوا رفض سفر الوفد إلى باريس، واستدعوا الوفد وهددهم الجنرال وطسون قائد الحامية الإنجليزية بمحاكمتهم عسكرياً، وفى مساء يوم ٦ مارس ١٩١٩ ألقى القبض على سعد زغلول ورفاقه وتم نفيهم إلى جزيرة مالطة بالبحر المتوسط.

وكان خبر نفى سعد سغلول ورفاقه بمثابة الشرارة التى أشعلت ثورة الشعب المصرى، فهبت المظاهرات فى مدن مصر وقراها، واشترك فيها جميع طوائف الشعب من علماء وطلاب ومدرسين، وعمال وفلاحين وشباب وشيوخ ونساء، وتحولت شوارع مصر إلى بحر هائج من الغضب الشعبى، مطالبًا بحريته الكاملة واستقلاله التام، ونلحظ أن الشعب ما قام بالثورة سنة ١٩١٩م إلا لإحساسه بالضياع وقد وجد فيها تحقيقًا لذاته، وتعبيراً عن نفسه ووجوده، وكأنه أراد أن يحس بإنسانيته بإظهار إرادته، ثم ثار هذا الشعب ولم يطالب بالخبز وهو جائع، ولا بإلغاء ملكية الأرض الزراعية وهو لا يكاد يملك منها شيئًا(١)، ولم ياطلب بإلغاء الألقاب، والقضاء على البكوات والباشوات، بل كانت ثورته تعبيراً عن صادق شعوره وبرفضه الاستعمار، وكان مخلصًا فى مطالبته بالاستقلال، وإن لم يفكر أو يتصور ماذا سيكون شأنه بعد الاستقلال، بل لم يرسم لنفسه صورة ولو باهتة لهذا الوطن فى ظل الاستقلال(٢).

ورغم أن الثورة لم تطالب بالإسلام نظامًا شاملاً للحياة، ولم يكن فى فكر مشعليها أو المشتركين فيها أن يشيعوا بينهم الإسلام منهاجًا وفكرة وشريعة، وترسى للناس قواعد وأسس معاملاتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقيمية والفكرية مستمدة من منهاج السماء الخالد، ومع ذلك فكان الإسلام حيًا فى القلوب، متحركًا فى العقول، مستتراً فى الضمير، وكان الثوار يعتبرون أن من قتل فى الثورة برصاص الإنجليز أو السلطة الحاكمة فهو شهيد له جنات الخلد عند ربه، واقترنت الثورة بالمسجد، وخرجت المظاهرات من الأزهر وهو رمز الإسلام ومعهده آنذاك(٣).

---

(١) فى ذلك الوقت كان ٩٠٪ من الشعب يملكون ١٠٪ من الأرض و١٠٪ من الباشوات والبكوات يملكون ٩٠٪ منها، وسيأتى تفصيل ذلك فى الأحوال الاقتصادية والاجتماعية.

(٢) د. يوسف القرضاوى، الإخوان المسلمون ٧٠ عامًا، ص ١٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٩، ٢٠.

ولما اندلعت نار الثورة الوطنية فى سنة ١٩١٩م – فى أعقاب الحرب العالمية الأولى – فشملت آنذاك أنحاء الوادى كان «حسن البنا» فى سن الحداثة وطور المراهقة – كان عمره أثناء الثورة اثنى عشر عامًا وأربعة أشهر وعدة أيام – اللذين يتفتح المرء فيهما بكل مواهبه للحياة، وتتفتح الحياة فيه كذلك بكل آفاقها وقواها، فأراد الله أن تلتقى الثورتان، ثورة الفتوة والشباب وثورة الوطنية والحرية فى قلب هذا الفتى النابه المتدين بفطرته وبنشأته وثقافته، ولم تفترقا أبداً فيه، فكان مثال الحيوية التى لا تعرف الكلال، ومثال الوطنية التى لا تقدر عليها قوة الاحتلال، حتى لقى ربه شهيداً فى سبيل دعوته الإصلاحية الشاملة التى انتظمت إصلاح العقيدة والنفوس، وإصلاح الحكم والأوضاع(١).

لقد شقت أحداث الثورة طريقها وعرفت سبيلها إلى نفس ومشاعر الإمام البنا، حيث كان طالبًا بالإعدادية بمدينة المحمودية وكان من الطلاب المبرزين بين المتظاهرين، يقول هو عن نفسه: «وكنت – رغم اشتغالى بالتصوف والتعبد – أعتقد أن الخدمة الوطنية جهاد مفروض لا مناص منه، فكنت بحسب هذه العقيدة وبحسب وضعى بين الطلاب – إذ كانت متقدمًا فيهم – ملزمًا بأن أقوم بدور بارز فى هذه الحركات وكذلك كان(٢).

ولهذا يعتبر البعض أن تلك الثورة المصرية ساعدت على نمو الجانب السياسى والحس الوطنى عند الإمام الهنا وهو فى سن مبكرة.

وهكذا، كان البنا منذ حداثته سياسيًا مخلصًا، وطنيًا مبرزاً بين أقرانه، مما يوحى بالدور الكبير الذى ينتظره، والمهمة الكبرى التى تناديه.

المطلب الثانى

لجنة اللورد ملنر ومظاهرات الاحتجاج والغضب عليها

ونتيجة لتنامى روح الغضب والعنف التى سيطرت على الشعب المصرى والتى تمثلت فى مظاهراته الغاضبة، فكرت الحكومة البريطانية فى معالجة آثار الثورة، وكعادتها اتجهت لتهدئة الأوضاع ريثما تهدأ العاصفة ثم تنقضى، ومن ثم تكمل ما أرادت وتنفذ ما يحقق مصالحها.

---

(١) جابر رزق، حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه، مقال أ. محمد فريد عبد الخالق، ص ١١٥.

(٢) حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص ٣٤.

ورأت الحكومة البريطانية أن ترسل لجنة كبرى إلى مصر للتحقيق فى أسباب الثورة وبحث الوسائل الكافية لمنع نشوبها مرة ثانية فى المستقبل، وشكلت اللجنة ورأسها اللورد ألفريد ملنر وزير المستعمرات وقتئذ وكان ذلك فى ٢٢ سبتمبر ١٩١٩م.

وعلى إثر الإعلان عن تأليف هذه اللجنة عمت المظاهرات الاحتجاجية الغاضبة مدن مصر، واشتدت ثورة الغضب مرة ثانية وخاصة فى الإسكندرية وحدثت اشتباكات عنيفة بين الشعب الغاضب وقوات الشرطة الداخلية التى استنجدت بفصيلة من الجيش البريطانى التى أطلقت النار على المتظاهرين، فسقط منهم قتلى وجرحى، وتكرر المشهد: مظاهرة غاضبة تنادى بالاستقلال وزوال الاحتلال يقابلها جنود إنجليز برصاص حى وتكون المحصلة قتلى وجرحى.

واستمرت المظاهرات الغاضبة حتى جاء موعد وصول اللجنة المذكورة، حيث وصلت إلى مصر فى ٧ ديسمبر سنة ١٩١٩م، ومنذ ذلك الوقت عمت المظاهرات والإضرابات وامتنع الطلاب عن الذهاب إلى معاهدهم ومدارسهم احتجاجًا على قدوم اللجنة وتجاوب التجار مع إضراب الطلاب، وامتنعوا عن فتح المحال التجارية، وقرر المحامون الإضطراب لمدة أسبوع ابتداء من ١٧ ديسمبر احتجاجًا على قدوم اللجنة «جدير بالذكر أن يوم ١٨ ديسمبر هو يوم إعلان الحماية البريطانية على مصر سنة ١٩١٤م».

وشارك فى المظاهرات الاحتجاجية علماء وطلاب الأزهر الشريف، وفى إحدى المظاهرات اقتحمت فصيلة من الجيش البريطانى صحن الجامع الأزهر الشريف بنعالها وعصيها منتهكة حرمة المسجد وأخذت تضرب وتروع من فيه، حدث ذلك فى يوم ١١ ديسمبر ١٩١٩م.

قضت لجنة ملنر فى مصر نحو ثلاثة أشهر تدرس أحوال البلاد عامة، وأسباب الثورة خاصة، وتبحث فى العلاج الذى تراه ناجحًا لملاقاة الحالة الثورية، وفى المقترحات التى تعرضها على الحكومة البريطانية فى هذا الصدد، وغادر اللورد ملنر العاصمة صباح يوم ٦ مارس سنة ١٩٢٠م إلى القدس فى رحلة بفلسطين، ثم عاد إلى الإسكندرية وأبحر منها يوم الخميس ١٨ منه إلى إنجلترا، وسبقه إليها زملاؤه(١).

---

(١) عبد الرحمن الرافعى، ثورة ١٩١٩، ج٢، ص ١٠٠، ١٤٣.

وطوال مدة عامين من المفاوضات والمناورات والخدع البريطانية تأكد للجميع أن الشعب المصرى مصمم على نيل حريته والحصول على استقلاله، ومن ثم أعلنت بريطانيا - من جانب واحد - انتهاء الحماية البريطانية على مصر، واستقلال مصر وهو ما يعرف بتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م.

وقدنص هذا التصريح على انتهاء الحماية البريطانية على مصر، وأن تكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة إلا من تحفظات أربعة أعطت إنجلترا لنفسها حق توليها، وهى بذلك لم تغير كثيراً من حقيقة الاحتلال(١).

وقد وصف سعد زغلول باشا هذا التصريح بانه أكبر نكبة على البلاد، وهو عبارة عن حيلة يراد بها الحصول على تصحيح مراكز إنجلترا فى مصر(٢)، ويرى د. عبد العظيم رمضان أن ما تحقق - بناء على التصريح المذكور - لا يتكافا مع تضحيات الشعب المصرى ولا مع أمانيه الوطنية التى هب لتحقيقها عقب الحرب العالمية الأولى، لذا فقد قابل الشعب هذا التصريح بالفتور والإعراض(٣).

وتعتبر هذه الأحداث امتداداً لأحداث ثورة ١٩١٩م، واستمرت المشاركة الإيجابية للإمام البنا فى هذه الأحداث وتفاعل بقوة مع هذا الشعور الوطنى الفياض وإجماع الأمة على مقاطعة لجنة ملنر.

ومن مظاهر هذه المشاركة أن الإمام البنا كتب قصيدة شعر طويلة فى هذا الصدد كان مطلعها:

يا ملنر ارجع ثم سل ... وفداً بباريس أقام

وارجع لقومك قل لهم ... لا تخدعوهم يا لئام

---

(١) عبد الرحمن الرافعى، فى أعقاب الثورة المصرية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩م، ج١، ص ٤٣، ٤٤، ج٢، والتحفظات الأربعة هى:

١- تامين مواصلات الإمبراطورية البريطانية فى مصر.

٢- الدفاع عن مصر من كل اعتداء أجنبى بالذات أو بالوساطة.

٣- حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات.

٤- مسألة السودان.

(٢) عبد العظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية فى مصر «١٩١٨- ١٩٣٦»، ص٣٦٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٦٢.

وهكذا ساعدت هذه الأحداث السياسية المهمة فى تنمية الاهتمام بالجانب السياسى عند الإمام البنا ورسبت فى وجدانه كراهية الاستعمار الإنجليزى.

المطلب الثالث

إصدار دستور ١٩٢٣م

على إثر إعلان تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م - السابق ذكره - خطت مصر نحو الاستقلال، ومن ثم أخذت تعيد ترتيب الحياة العامة فى البلاد.

ففى الخامس عشر من مارس عام ١٩٢٢م أعلن السلطان فؤاد نفسه ملكًا على مصر، وأطلق عليه الملك فؤاد الأول، وصارت مصر مملكة مستقلة عن السلطنة العثمانية المنهارة، فى ذلك الوقت، واتجهت الجهود الوطنية نحو وضع دستور جديد للبلاد يتناسب مع الوضع الاستقلالى الجديد لمصر، ويلبى طموحات الشعب المصرى الثائر الذى قدم عظيم التضحيات رغبة فى الاستقلال.

وقد ثار خلاف وجدل شديد بين القوى الوطنية بزعامة سعد زغلول وبين الملك والقوى السياسية التى تلوذ به، حول وضع دستور حقيقى يقر مبدأ سيادة الأمة ويقيد سلطات الملك ، وبين دستور هزيل يحقق الشكل العام، ولكنه يلبى رغبة الملك فى الاستئثار بالحكم وتقنين استبداده بالسلطة.

وفى سبيل تحقيق أى الهدفين أقيلت وزارات وعينت أخرى، وشكلت لجان لوضع الدستور، وانتهى الأمر تحت الضغط الشعبى المتنامى إلى رضوخ الملك لإرادة الشعب، ووجد القصر ألا فائدة من المماطلة والتسويف، فعرض مشروع الدستور على اللجنة الاستشارية التشريعية المنوط بها صياغة القوانين فادخلت عليه بعض تعديلات لا تمس الجوهر، ثم أصدره الملك فؤاد فى ١٩ أبريل عام ١٩٢٣م(١).

ورغم ما قيل عن اللجنة التى وضعت الدستور وما قيل عن الدستور نفسه حيث كان رأى سعد زغلول أن هذا الدستور أنشأ للبلاد حكومة مطلقة فى الظاهر ومقيدة فى الحقيقة، وفتح للإنجليز بابًا واسعًا للدخول منه فى شئون البلاد وإرادتها مما يعوق تقدمها(٢).

---

(١) د. مصطفى أبو زيد فهمى، النظام الدستورى المصرى، ص ٥٢.

(٢) صبرى أبو المجد وأمين الرافعى، مناضل مصرى من اجل الدستور وحرية الرأى ، ص ١٠٥.

إلا أن هذا الدستور أصبح بعد ذلك مقدسًا وطنيًا تدافع عنه الأمة وتطالب به بعزم وجد حين يعطل الدستور أو يلغى العمل به.

وقد مرت ثلاث فترات زمنية تعطل فيها العمل بالدستور:

الفترة الأولى: فكانت فى ٢٣ مارس ١٩٢٥م، واستمرت حتى مايو ١٩٢٦م، حيث عادت الحياة النيابية من جديد وأجريت انتخابات جديدة لمجلس النواب فى ٢٢ مايو ١٩٢٦م.

الفترة الثانية: فى ١٩ يوليو ١٩٢٨م أصدر الملك فؤاد أمرًا ملكيًا بحل مجلسى النواب والشيوخ وتعطيل الحياة النيابية لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد، وكذلك نقل السلطة التشريعية من ممثلى الأمة إلى الملك؛ إلا أنه استجابة للضغوط الشعبية الواسعة التى أخذت تطالب بقوة بعودة الدستور والحياة النيابية قرر الملك فى ٢١/١٠/١٩٢٩ إصدار أمر ملكى بعودة العمل بدستور ١٩٢٣م.

الفترة الثالثة: إلغاء الدستور ووضع دستور جديد عام ١٩٣٠م.

وهكذا تحول الدستور إلى ألعوبة فى يد الملك وأنصاره فلم يمض عام على عودة دستور ١٩٢٣م حتى أصدر الملك فؤاد - مرة ثالثة - أمرًا ملكيًا فى أكتوبر ١٩٣٠م يقضى بإلغاء دستور ١٩٢٣م نهائيًا، وحل مجلس النواب والشيوخ، واستبدل به دستور آخر عرف فى الفقه الدستورى بدستور ١٩٣٠م.

وكان طبيعيًا أن يأتى دستور ١٩٣٠م محققا مطالب الملك فؤاد الأول حيث عمد واضعو الدستور الجديد إلى تقوية سلطات الملك وانتقاص سلطات نواب الأمة وإضعاف سلطة مجلسى النواب والشيوخ.

واستمر العمل بدستور ١٩٣٠م خمس سنوات عجاف لم تهدأ الأمة خلالها عن المطالبة بعودة دستور ١٩٢٣م حتى رضخ الملك لمطالب الشعب، وصدر أمر ملكى فى ١٢/١٢/١٩٣٥م بإلغاء دستور ١٩٣٠م وعودة العمل بدستور ١٩٢٣م وعودة الحياة الدستورية.

ولقد استمر العمل بدستور ١٩٢٣م ساريًا بعد ذلك أكثر من سبعة عشر عامًا حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو وألغت دستور ١٩٢٣م وذلك فى ١٠/١٢/١٩٥٢م حيث صدر

إعلان دستورى ثورى يقضى بسقوط دستور ١٩٢٣م تمهيداً لوضع دستور جديد يتمشى مع التغييرات الجذرية التى حدثت فى البلاد بقيام ثورة الجيش يدعمها الشعب ضد الملك[١].

هذه هى الحالة السياسية المصرية التى عاشها الإمام حسن البنا فى ذلك الوقت.

المطلب الرابع

سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م

وآثار ذلك على مصر

يعد سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية حدثًا عالميًا مهمًا، بل من أهم الأحداث التى كانت فى القرن الرابع عشر الهجرى، وقد كان لهذا الحدث آثار خطيرة على كل البلاد التابعة والخاضعة تحت لواء الخلافة الإسلامية، ولا تزال آثاره ظاهرة حتى يومنا هذا.

فمع اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، أعلنت تركيا «دولة الخلافة» الحرب على بريطانيا، وكان ذلك فى أواخر شهر أكتوبر، وأهاب الخليفة العثمانى السلطان محمد الخامس[٢] بالمسلمين أن يهبوا لقتال أعداء دولة الخلافة الذين اعتدوا عليها، والجدير بالذكر أن طاعة الخليفة واجبة على المسلمين طالما أنها فى معروف، وكانت سياسة إنجلترا ترمى منذ سنوات قبل نشوب الحرب إلى فصل مصر عن تركيا، وقطع العلائق بين الاثنين، لتنفرد إنجلترا بحكم مصر، وتستطيع أن تصحح وضعها الدولى، وتتمكن من أن تضم مصر إلى ممتلكاتها لتجعلها - نهائيًا - مستعمرة بريطانية وجزءاً من إمبراطوريتها، لكن هذا لم يكن باستطاعتها قبل الحرب، فلما قامت الحرب العالمية وجدت بريطانيا فى ذلك فرصتها السانحة وعمدت إلى قطع العلائق بين مصر وتركيا، وإتمام الفصل بينهما نهائيًا، فأعلنت الحماية على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر:

- د. عبد الرحمن الرافعى، فى أعقاب الثورة بأجزائه الثلاثة.
- د. مصطفى أبو زيد فهمى، النظام الدستورى المصرى.
- عبد العظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ - ١٩٣٦م.
- د. أحمد شلبى، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، ج ٥، ص ٣٣٥.

(٢) هو السلطان محمد رشاد، تولى الخلافة من عام ١٩٠٩م إلى عام ١٩١٨م حيث تم عزله ونفيه من البلاد.

واغتصبت لنفسها كل حقوق مصر وتركيا، لكن بقيت حقوق الخلافة والولاء الواجب لها على شعب مصر المسلم، وهذه حقوق وروابط دينية لا تستطيع دولة المحتل أن تفعل فيها شيئًا(١).

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى فى نوفمبر ١٩١٨م وخرجت تركيا منها مثخنة الجراح كثيرة النكبات، فى تلك الفترة بزغ نجم مصطفى كمال أتاتورك أحد كبار ضباط الجيش التركى، إذ تجمع حوله مجموعة من الضباط الأتراك ومعهم بقايا الجيش التركى. وبدأ أتاتورك يعيد ترتيب أوضاع الجيش ويقوده لشن حرب ضد الإنجليز واليونانيين - الأعداء التقليديين لتركيا - وفى عام ١٩٢٢م أوعزت بريطانيا إلى اليونان وشجعتها على حرب تركيا من جديد، وانطلقت جيوش اليونان صوب مدينة الأستانة «مقر الحكم العثمانى» بغية الاستيلاء عليها، فتصدى لهم الجيش التركى بقيادة أتاتورك وتحقق على يديه النصر ودحر الجيش اليونانى واسترد منهم بعض المكاسب السابقة، وطارت أنباء تلك الانتصارات وبلغت أرجاء العالم الإسلامى فتعلقت آمال المسلمين بالقائد الجديد، بل سرى بين الناس أن أتاتورك مجدد عهد الفاتحين، لدرجة أن أحمد شوقى - أمير الشعراء فى العصر الحديث - أطلق عليه خالد الترك تيمنا بالقائد الصحابى الجليل خالد ابن الوليد رضى الله عنه حيث قال فى قصيدة شهيرة مطلعها:

الله أكبر كم فى الفتح من عجب ... يا خالد الترك جدد خالد العرب

وتتابعت انتصارات أتاتورك حتى أجلى الاحتلال عن بلاده، وكان الناس إذا قارنوا كفاح مصطفى كمال المظفر باستسلام الخليفة القابع فى الأستانة، مستكينا لما يجرى عليه من ذلك، كبر الأول فى نظرهم بمقدار ما يهوى الثانى، وزاد فى سخطهم على الخليفة ما تناقلته الصحف من إهدار دم مصطفى كمال واعتباره عاصيًا متمردًا، ولم يكن مصطفى كمال فى نظرهم إلا بطلاً مكافحًا يغامر بنفسه لاستعادة مجد الخلافة الذى خيل إليهم أن الخليفة يمرغه فى التراب تحت أقدام الجيوش المحتلة(٢).

وقاد مصطفى كمال الجيش للانقلاب على السلطان وحيد الدين وتم له الأمر، وعزل السلطان وأعلن قيام الجمهورية، وفى أوائل مارس سنة ١٩٢٤م قرر مصطفى كمال

---

(١) د. محمد ضياء الدين الريس، الإسلام والخلافة فى العصر الحديث، ص ١٦٢.

(٢) د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٥.

أتاتورك إلغاء منصب الخلافة من تركيا وأخرج آخر خليفة كان موجوداً إذ ذاك، وإن كان خليفة صوريا - وهو السلطان عبد المجيد الثانى - منهيًا بذلك عهد الخلافة الإسلامية الذى ظلل المسلمين طيلة ثلاثة عشر قرنًا بداية من الخليفة الراشد أبى بكر الصديق رضى الله عنه إلى خاتمة الخلفاء العثمانيين السلطان عبد المجيد الثانى.

لكن آمال الأمة الإسلامية تحطمت على صخرة الخيانة الأتاتوركية، وارتد السهم إلى صدرها فلم تفق إلا على أنباء سقوط الخلافة وطرد الخليفة وأهله بعد تجريدهم من كل أموالهم وأملاكهم، فعاد أمير الشعراء باكيًا حزينًا وأنشد قصيدة ينعى فيها إلى الأمة الإسلامية سقوط دولتها وانتهاء الخلافة.

عادت أغانى العرس رجع نواح ... ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت فى ليل الزفاف بثوبه ... ودفنت عند تبلج الإصباح
ضجت عليك مآذن ومنابر ... وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة، ومصر حزينة ... تبكى عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل، والعراق وفارس ... أمحا من الأرض الخلافة ماح

ولم تهدأ الأمة الإسلامية، بل هبت دعوات مخلصة من أجل إنقاذ الخلافة ودوامها، وتحرك العلماء الغيورون على الإسلام وعقدوا عدة اجتماعات وانتهى الأمر إلى اتفاق العلماء على ضرورة عقد مؤتمر إسلامى عام يحضره ممثلون عن الدول الإسلامية ويكون مقره «القاهرة»، وغرضه بحث مسألة الخلافة الإسلامية والوصول إلى قرار بشأنها وتعيين شخص الخليفة.. وفى يوم ٢٥ مارس ١٩٢٤م عقد اجتماع مهم رأسه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وتباحث العلماء حول موضوع الخلافة الإسلامية وما آل إليه الأمر، وأصدروا بيانًا أكدوا فيه ضرورة واستلزام وجود خليفة وإمام للمسلمين كافة وقرروا الآتى:

عقد مؤتمر دينى إسلامى يدعى إليه ممثلو جميع الأمم الإسلامية للبحث فيمن يجب أن تسند إليه الخلافة الإسلامية، ويكون بمدينة القاهرة تحت رياسة شيخ الإسلام بالديار المصرية.

وأن يكون عقد المؤتمر فى شهر شعبان سنة ١٣٤٣ هـ - مارس سنة ١٩٢٥م.

ومرت بمصر والعالم الإسلامى حوادث وأمور تأجل معها انعقاد المؤتمر للعام التالى، وفى شهر مايو ١٩٢٦ انعقد المؤتمر فى القاهرة، واتفق العلماء والمندوبون على وجوب الخلافة واختلفوا فيما بعد ذلك وتعذر الوصول إلى اتفاق حول من يكون خليفة للمسلمين؟ ومن ثم انفض المؤتمر دون اتخاذ قرار معين وأسدل الستار على الموضوع[١].

وكان للعلماء الأفاضل دور مهم وجهد مشكور، إذ بينوا حكم الشرع فيما يدور من أحداث، وذكروا المسلمين بواجبهم نحو الإسلام والخلافة.

وحين صدر كتاب الشيخ على عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم» فى أبريل عام ١٩٢٥م وتعرض فيه إلى موضوع الخلافة الإسلامية فانكرها وادعى أنها ليست من الإسلام لأن الإسلام دين، والدين ضد الدنيا ولا علاقة للإسلام بشئون الدنيا ومنها الخلافة، وزيف حقائق التاريخ الإسلامى فادعى - كذبًا وزورًا - أن دولة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم لم تكن خلافة دينية أو إسلامية بل كانت ملكًا دنيويًا، وأن الصديق أبا بكر رضى الله عنه كان أول ملك فى الإسلام، وأن الخلافة كانت شرًا ونكبة على المسلمين وغير ذلك من أكاذيب وانحرافات.

حينئذ تحرك العلماء ودافعوا عن الخلافة الإسلامية، وبينوا كذب وانحراف ادعاءات الشيخ على عبد الرازق، ونذكر قبسًا منيرًا من هذا الدفاع للشيخ الجليل «محمد رشيد رضا» رحمه الله تعالى فقد رد على هذا الكتاب اللقيط فور صدوره وقال فيه: «ما زال أعداء الإسلام يجاهدونه بالسيف والنار، وبالكيد والدهاء وبالآراء والأفكار، وبإفساد العقائد والأخلاق، وبالطعن فى جميع مقومات هذه الأمة، وتقطيع جميع الروابط التى تربط بها شعوبها وأفرادها ليسهل جعلها طعمة للطامعين وفريسة لوحوش المستعمرين، وهذه الحرب السياسية العلمية للإسلام أضر وأنكى من الحروب الصليبية باسم الدين.. وقد كان آخر فوز لهذه الحرب على المسلمين إلغاء الترك لمنصب الخلافة من دولتهم،

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع:

- أ. د. محمد ضياء الدين الريس، الإسلام والخلافة فى العصر الحديث، نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم.
- د. زكريا سليمان بيومى، الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية، رسالة دكتوراه فى التاريخ الحديث، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ص ٤٥ وما بعدها.
- د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، ج ٢، ص ٢٣ وما بعدها.

وتاليفهم حكومة جمهورية غير مقيدة بالشرع الإسلامى، فذعر لهذا العالم الإسلامى، وطرب له الإفرنج وروجوا سياستهم، ورفع هؤلاء عقيرتهم فى مصر هاتفين لعمل الترك، ونشطوا لجعل الحكومة المصرية لا دينية مثل حكومة أنقرة، وبينما نحن كذلك إذ نحن ببدعة حديثة لم يقل بمثلها أحد انتمى إلى الإسلام - صادقًا ولا كاذبًا - بدعة شيطانية لم تخطر فى بال سنى ولا شيعى ولا خارجى، بل لم تخطر على بال بعض الزنادقة، والناعق بهذه البدعة من العلماء المتخرجين فى الأزهر من قضاة المحاكم الشرعية، إن هذا لشىء عجب ».

وعقب صدور الكتاب بأربعة أشهر وفى ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥م انعقدت هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف فى صورة هيئة تاديبية لمحاكمة الشيخ على عبد الرازق وكتابه « الإسلام وأصول الحكم » وحضر الشيخ المذكور وأتيحت له فرصة الدفاع عن نفسه وعن الآراء التى تضمنها كتابه المشئوم، وفى نهاية الجلسة أصدرت هيئة كبار العلماء حكمها بإجماع آراء المجتمعين: شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى ومعه أربعة وعشرون عالمًا من هيئة كبار العلماء حكموا بفصل الشيخ على عبد الرازق من زمرة العلماء، وتم فصل الشيخ المذكور من وظيفته كقاض شرعى فى ١٧ سبتمبر ١٩٢٥م.

وفى عام ١٩٢٦م أصدر عالمان جليلان من علماء الأزهر الشريف كتابين عظيمين، ردا فيهما على الشيخ على عبد الرازق بالأدلة العلمية، وهما فضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية وكتابه أسماه « حقيقة الإسلام وأصول الحكم » والعالم الثانى فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين[١] وكتابه أسماه « نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ».

كما أصدر العلامة الشيخ محمد رشيد رضا[٢] كتابًا قيمًا بعنوان « الخلافة أو الإمامة العظمى » بين فيه أحكام الشريعة الغراء فيما يتعلق بالخلافة وانتقد خيانة أتاتورك للأمة الإسلامية.

---

(١) تونسى الأصل وتقلد مشيخة الأزهر الشريف فى أواخر حياته، وحاز شرف انه شيخ الجامع الأزهر الوحيد الذى لم يكن مصريًا.

(٢) عالم سورى الأصل سكن القاهرة واستقر بها، وهو أنجب تلاميذ الشيخ الإمام محمد عبده وهو صاحب مجلة « المنار » إحدى مدارس الفكر الإسلامى الاصيل، مات سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥م.

وكثير من العلماء كتبوا ردوداً أظهروا فيها غيرة محمودة على الشرع والخلافة وبينوا خطورة غياب الخلافة، وخطورة الآراء الدخيلة التى تنال من شرعية الخلافة الإسلامية، وأصدر فضيلة شيخ الإسلام مصطفى صبرى شيخ تركيا كتابا فور إلغاء الخلافة بعنوان «النكير على منكرى النعمة من الدين والخلافة والأمة».

وبالرغم من هذا فقد تم لأعداء الإسلام ما أرادوا وسقطت الخلافة، ومن يومها ونحن نسمع مقولة «لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين».

بعد عرضنا فى الصفحات السابقة أن فكرة الخلافة الإسلامية تعرضت لهجمتين شرستين، قاد إحداهما العسكر بقيادة أتاتورك، والأخرى شيخ معمم منتسب للأزهر الشريف لكنه أبعد ما يكون عن علماء الأزهر الفاقهين. وبين الهجمتين عام وشهران تقريبا، ورأينا أن العلماء كان لهم دور بارز فى مواجهة الحملتين وإن كان الإخفاق تحقق فى مواجهة الحملة الأولى، فإن التوفيق حالفهم فى المواجهة الثانية، أعنى المواجهة الفكرية.

وهنا وفى هذا الجو الكئيب المليء بالشهوات والشبهات يظهر دور الإمام البنا - رحمه الله - فى هذه الفترة، فكان مشاركا فى حملات العلماء والغيورين على الإسلام، ويحدثنا الدكتور محمد عمارة عن هذه الفترة فيقول: «بعد فشل الجهود التى بذلت لإحياء الخلافة الإسلامية... تداعت صفوة علماء الإسلام ومفكريه فى «١٣٤٥ هـ/١٩٢٧م» إلى المؤتمر الذى عقد فى القاهرة وأثمر قيام «جمعية الشبان المسلمين» وفى العام التالى «١٣٤٦هـ/١٩٢٨م» أسس الإمام الشهيد حسن البنا «جماعة الإخوان المسلمين» كأول تنظيم جماهيرى لتيار الإحياء والتجديد الإسلامى فى العصر الحديث، وكان الإمام حسن البنا هو الذى شارك فى المؤتمر التاسيسى للشبان المسلمين»(١).

ويرى الدكتور عمارة أن تاسيس جماعة الإخوان المسلمين كان بمثابة المنعطف الجديد فى مسيرة الإحياء والتجديد الإسلامى الذى بدأ بالأفغانى ومحمد عبده ثم رشيد رضا... وأمام تصاعد التحديات وعموم البلوى جاءت اللحظة التاريخية التى استدعت إشراك «الأمة» وليس فقط «الصفوة» فى هذا الصراع الحضارى الذى أخذ

---

(١) د. محمد عمارة، هل الإسلام هو الحل لماذا وكيف؟، ص ٣٤ .

يهدد« هوية الأمة » بالمسخ والنسخ والتشويه، وعند هذه اللحظة التاريخية التى أثمرت قيام جماعة الإخوان المسلمين تجاوزت الدعوة إطار « الصفوة والنخبة، والعلماء والقادة.. » إلى حيث استدعت الصفوة والأمة من خلال التنظيمات الإسلامية الجماهيرية لتبنى الدعوة إلى الإسلام منهاجا شاملا لكل ميادين النهضة والتقدم والتجديد والتغيير(١).

وتلقف الإمام البنا - رحمه الله - الراية وغرسها فى قلوب إخوانه، وهتف بها فى وجوه المسلمين حتى صارت الخلافة الإسلامية معقد آمال الأمة ومرتقب فجرها.

ويشير برنارد لويس فى كتابه « الغرب والشرق الأوسط » إلى بعض الآثار المترتبة على سقوط الخلافة فيقول: كان فى الشرق الأوسط نظام سياسى مستقر، ولم يكن هناك خلاف على مشروعية الحكم، ثم عزل السلطان العثمانى وهدمت الخلافة، وقام مقام السلطان عدد من الملوك والرؤساء الديكتاتوريين الذين دبروا - لمدة معينة - أمرهم، وربحوا تصفيق وتأييد شعوبهم، ولكنهم لم يكونوا أبدا موضع الرضا التام والقبول الطبيعى والولاء القوى الذى كان ممنوحا لحكومته « السلطان »، وهذا القبول والرضا جعل « السلطان » غير محتاج للضغط والعنف والإرهاب أو الديماجوجية السياسية فى الحكم - أى الدعاية الزائفة -، وبضياع الشرعية خسر أهل الشرق الأوسط « هويتهم الواحدة » فبعد أن كان كل مواطن عضوا من أعضاء إمبراطورية إسلامية كبيرة لها ألف سنة أو تزيد من التراث والتاريخ، وجد الناس أنفسهم مواطنين لسلسلة من الدول التابعة والوحدات السياسية الجديدة المفتعلة التى تحاول الآن إيجاد جذور لها فى ضمير الشعب وولائه(٢).

وهكذا، أصبحت مصر - بعد سقوط الخلافة - وطنا باهتا اقتطع من أصله بعد أن قطع الحلفاء المنتصرون « بريطانيا وفرنسا وغيرهما » أوصال الإمبراطورية العثمانية، وبعد أن أطاح كمال أتاتورك بالخلافة الإسلامية وأعلن الجمهورية العلمانية، وحينئذ طبق الإنجليز معاهدة (سايكس - بيكو) السرية(٣)، وأصبحت مصر داخل نطاق

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٢) الشيخ عبد المتعال الجبرى، لماذا اغتيل الإمام الشهيد؟، دار الأنصار، ص ١٢.

(٣) سايكس - بيكو: هما وزيرا خارجية إنجلترا وفرنسا وعقدت المعاهدة فى موسكو سنه ١٩١٥م وموضوعها اقتسام تركة الخلافة العثمانية.

الإمبراطورية البريطانية وإن منحت فى الظاهر ثوب الاستقلال إلا أنها وجدت نفسها منعزلة عن دول العالم الإسلامى فى الشرق الأوسط، وأحست بعجز المسلمين، وفى عنقها قيد ثقيل من الاستعمار، وشجع المستعمرون النعرة الوطنية، هادفين أن يحل الوطن محل الدين، وأن يكون الولاء للوطن لا لله، وأن يقسم الناس بالوطن لا بالله، وأن يموتوا فى سبيل الوطن لا فى سبيل الله(١).

لقد كان سقوط الخلافة الإسلامية باعثا لهمة الإمام الشهيد حسن البنا ودفعه أن يتحرك من أجل إيقاظ الأمة وقيادتها نحو استعادة مجدها السليب، ومن ثم كان لاستعادة الخلافة الراشدة مكانة عظيمة فى دائرة أهداف الجماعة التى أسسها لتحمل راية الإسلام وتحفظ للأمة دينها وكيانها، ولقد عبر الإمام – رحمه الله تعالى – عن مكانة الخلافة الإسلامية بقوله: «إن الإخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير فى أمرها، والاهتمام بشأنها، والخلافة مناط كثير من الأحكام فى دين الله، ولهذا قدم الصحابة – رضوان الله عليهم – النظر فى شأنها على النظر فى تجهيز النبى ﷺ ودفنه حتى فرغوا من تلك المهمة واطمأنوا إلى إنجازها – والأحاديث التى وردت فى وجوب نصب الإمام وبيان أحكام الإمامة وتفصيل ما يتعلق به لا تدع مجالا للشك فى أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير فى أمر خلافتهم منذ حورت عن مناهجها، ثم ألغيت بتاتا إلى الأبد»(٢).

وهكذا يتضح لنا أهم الأحداث السياسية التى شهدتها مصر والعالم الإسلامى فى مطلع القرن العشرين، والتى كان لها أكبر الأثر على نشأة الإمام البنا وجماعته.

---

(١) د. يوسف القرضاوى، الإخوان المسلمون ٧٠ عاما، ص ١٨، ١٩ .

(٢) الإمام حسن البنا، مجموعة الرسائل، المؤتمر الخامس، ص ١٩٨ .

المبحث الثانى

القوى السياسية المهمة المؤثرة فى المجتمع المصرى

برزت على الساحة السياسية فى مصر عدة قوى ذات تأثير وفاعلية فى الأحداث العامة ومجريات الأمور المختلفة، ويعد الإنجليز والملك والأحزاب السياسية وقوى الجماهير هى القوى السياسية المهمة فى المجتمع المصرى.

ونعرض لهذه القوى من خلال المطالب الآتية بإيجاز شديد، الغرض منه إبراز القوى والعوامل التى أثرت فى شخصية الإمام البنا وقتها:

المطلب الأولى: الإنجليز.

المطلب الثانى: الملك.

المطلب الثالث: الأحزاب السياسية.

المطلب الرابع: قوى الجماهير وأثر العامل الإسلامى فى حركتها السياسية.

المطلب الأول

الإنجليز

أحكم الإنجليز سيطرتهم على البلاد والعباد، وهيمنوا على كل نظم المجتمع، فلم يفلت نظام حياتى من قبضة الإنجليز، لقد درس الإنجليز أحوال البلاد عن كثب ومكنوا لأنفسهم من خلال بعض الحكام المستوزرين وتحقق لهم ذلك من طريقين(١):

١ - **الاستعمار الفكرى**: حيث عمل منذ بدء الاحتلال على تنحية الشريعة الإسلامية من قانون القضاء، وحصرها فى الأحوال الشخصية، وحيث فصل بين العلم والدين، بل فصل بين المدارس المدنية والمدارس الدينية، فأوجد هوة سحيقة بين المثالية الإسلامية والمذهبية المادية التى فرضها بحكم القانون والتعليم.

٢ - **الاستعمار المادى**: حيث وجه اقتصاد البلاد إلى إنتاج المواد الخام التى تخرجها الأرض الزراعية وأشاع الإنجليز أن مصر بلد زراعى لا يملك مقومات الصناعة.

---

(١) د. يوسف القرضاوى، الإخوان المسلمون ٧٠ عامًا، ص ١٨ : ٢٣.

كان الجيش المصرى تحت السيطرة العسكرية للإنجليز وكذلك البوليس المصرى، وسيطر الإنجليز على قناة السويس والبنك الأهلى فيما يعرف بالسيطرة الاقتصادية، ولم يكتفوا بذلك بل احتفظوا لأنفسهم بحق التدخل المستمر فى إدارة شئون الحكم، وجعل أوراق الحياة بأيديهم حتى حولوا الحياة السياسية فى مصر إلى «سيرك سياسى» يتلهى فيه الساسة ويتفرج عليهم الشعب، مما حدا بالبعض أن يؤكد حقيقة «أن مصر تدار من قصر الدوبارة[١] وليس قصر عابدين».

مظاهر التدخل الإنجليزى فى إدارة شئون الحكم فى مصر:

*** إنذار المندوب السامى البريطانى «لورد لويد» عام ١٩٢٨م:**

وفى ١٧ مارس ١٩٢٨م أنذر المندوب السامى البريطانى «لورد لويد» الملك فؤاد بأن يعهد إلى مصطفى النحاس باشا بتشكيل الوزارة خلفًا لعبد الخالق ثروت باشا، وذلك بقصد الموافقة على مشروع معاهدة (ثروت تشمبرلين) فألف النحاس وزارة ائتلافية، وعرض على الوزارة الجديدة مشروع هذه المعاهدة، واستقر رأى الوزارة على أن مشروع المعاهدة لن يحقق أمانى الشعب المصرى ويرضى طموحاته فى الاستقلال، ومن ثم فقد رفضت الوزارة مشروع المعاهدة.

وهى سياسة ماكرة وخبيثة بمحاولات فرض سلطة وطنية قوية إما فى صورة حكومة أغلبية أو فى صورة سلطة ديكتاتورية تتولى قمع الشعب نيابة عن سلطة الاحتلال، وتمرر مصالحه فى غفلة الشعب، وما زالت هذه السياسة مستمرة حتى الآن.

وترتب على رفض الوزارة للمشروع المذكور أن وجه المندوب السامى البريطانى «لويد» إنذاراً للحكومة المصرية، ولم تمض ثلاثة أشهر حتى أقيلت وزارة النحاس فى ٢٥ يونيه ١٩٢٨م بحجة أن الائتلاف الحكومى أصيب بتصدع شديد، وأعقب إقالة الوزارة عدة حوادث عصيبة أشرنا إليها من قبل حين الحديث عن دستور ١٩٢٣م.

*** تصريح «صمويل هور» وزير خارجية بريطانيا فى ٩ نوفمبر ١٩٣٥م، بالاعتراض على عودة دستور ١٩٢٣م:**

سبق أن ذكرنا أن الملك أصدر أمراً فى أكتوبر سنة ١٩٣٠م ألغى بموجبه دستور سنة ١٩٢٣م وأصدر دستوراً جديداً عرف بدستور سنة ١٩٣٠م يدعم سلطات الملك والمحتل

(١) قصر الدوبارة، مقر المعتمد البريطانى فى مصر «السفير»، قصر عابدين مقر الملك.

الغاصب ويقلص سلطات نواب الشعب، ولم تهدأ الأمة المصرية وهى تعلن رفضها للدستور الجديد، وتطورت أحداث الرفض والمقاومة الشعبية والسياسية إلى أن رضخ الملك فؤاد فى أبريل ١٩٣٥م لمطالب الشعب وأبدى رغبته فى عودة دستور ١٩٢٣م، فما كان من الحكومة البريطانية إلا أن أعلنت معارضتها وتعللت بحجج غريبة، فهى تقف مع الاستبداد وتقوى دعائمه وتقف فى وجه المطالب العادلة للشعوب، ولا يهم بريطانيا إلا مصالحها ولو على حساب الشعوب، فأى حضارة شيدها الغرب؟ وأين حقوق الإنسان؟.

وفى هذا السياق صدر تصريح السير صمويل هور وزير خارجية بريطانيا فى ٩ نوفمبر ١٩٣٥م ليقول: «إننا عندما استشارونا نصحنا بأن لا يعاد دستور ١٩٢٣م، ولا دستور ١٩٣٠م، إذ قد ظهر أن الأول غير صالح للعمل، وأن الآخر لا ينطبق على رغبات الأمة»[١].

وأبدت الأمة المصرية احتجاجًا شديداً على هذا التصريح وانطلقت المظاهرات فى البلاد تطالب بالاستقلال التام وعودة دستور ١٩٢٣م كرمز له، وتحقق للأمة مطلبها وصدر الأمر الملكى فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥م بعودة دستور ١٩٢٣م كما ذكرنا من قبل.

*** محاصرة قصر الملك بالدبابات وإرغامه على تشكيل وزارة جديدة عام ١٩٤٢م.**

بلغت ذروة التدخل السافر للاحتلال البريطانى فى نهاية الثلاثينيات وبداية الأربعينيات، حيث كانت الحرب العالمية الثانية قد اشتعلت بين بريطانيا والحلفاء من جهة ضد دول المحور «ألمانيا وإيطاليا» من جهة أخرى.

ورأى السيد على ماهر باشا رئيس الوزارة المصرية فى تلك الفترة الحرجة أن مصلحة مصر فى أن تبقى على الحياد، وأعلن على ماهر أن مصر دولة محايدة، وأيده فى ذلك مجلس النواب بالإجماع وتجاوب معه الشعب المصرى، سانده فى ذلك الإخوان المسلمون بل ونال استحسان الملك فاروق ملك مصر فى تلك الفترة، وأقدمت بريطانيا على قرار غاشم سيظل وصمة عار على جبينها إذ إنه فى يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ تحركت الدبابات وحاصرت قصر الملك فاروق لإرغامه على تكليف النحاس باشا بتشكيل الوزارة، وذلك عندما تراخى الملك فى تنفيذ الإنذار البريطانى بذلك.

---

(١) المرجع السابق، ص ٩١.

وعلى أسنة الرماح وحصار الدبابات تشكلت وزارة النحاس باشا فى يوم يعد من الأيام السوداء فى تاريخ مصر، حيث لجأ الإنجليز إلى التدخل السافر فى شئون مصر الداخلية، وكانت صدمة الشعب المصرى كبيرة فى تصرف الإنجليز على هذا النحو السافر وعلى الاستجابة السريعة للوفد والنحاس باشا لطلب الإنجليز، وتغلب شهوة الحكم على مصالح البلاد...(١).

ودلالة هذه الوقائع التاريخية تبيَن أن مصر لم تكن دولة مستقلة ذات سيادة، بل كانت السلطة الحقيقية بيد المندوب البريطانى(٢) كما ظهر جليًا مما سبق ذكره.

ولم يسلم الشعب المصرى من ظلم وبطش الإنجليز المحتلين، ويستطيع المراقب لتطورات الأمور فى مصر فى ذلك الوقت أن يلاحظ كثيراً من الأمارات التى تدل على ضيق المصريين بالإنجليز ضيقًا يوشك على الانفجار، وقد كان معظم هذا الضيق يرجع فى بداية الأمر إلى أن إعلان الحماية قد وضع شعبًا مسلمًا تحت سيطرة سلطات مسيحية(٣).

ويضاف إلى ذلك ما كان يرتكبه الجنود الإنجليز فى مدن مصر من الفظائع والجرائم كهتك الأعراض وسلب الأموال ونهب الممتلكات والدواب والغلال، بل وصل الأمر إلى حد أن يساق الجنود المصريون مكرهين ليقاتلوا أبناء دينهم فى قناة السويس وفى الحجاز، وفى الشام وفى العراق، وفى الدردنيل فى حملة «غاليبولى» الفاشلة على تركيا، وضد قوات السنوسيين على الحدود الغربية فى «ليبيا».

وفى الوقت الذى يساق فيه المسلمون لقتال إخوانهم المسلمين كانوا يجبرون على التبرع للصليب الأحمر ولأسر جنود الحلفاء المنكوبين ولفرسان القديس يوحنا، وكان رجال الإدارة يتسابقون فى جباية الأموال وإرضاء السلطات الإنجليزية، وأصبح لهذه التبرعات يوم مشهود تقام فيه الحفلات التى يتبارى فيها المنافقون - ممن يجرون وراء المنفعة فى التزلف لسادتهم - بالتنافس فى التبرع، حتى أصبحت مصر ثانى بلاد العالم فى ترتيب ما جمع منها(٤).

---

(١) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى:

- محمود عبد الحليم، أحداث صنعت التاريخ، جـ١، ص ٣١١ وما بعدها.

- عبد الرحمن الرافعى، فى أعقاب الثورة المصرية، جـ٢، ص ٣٨ وما بعدها.

(٢) د. عثمان عبد المعز رسلان، التربية السياسية عند الإخوان المسلمين، ص ١٠٦.

(٣) د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، مكتبة الآداب، جـ٢، ص ٦.

(٤) المصدر السابق: د. محمد محمد حسين، جـ٢، ص ٩، ١٠.

أثر وجود الاحتلال الإنجليزى على نشأة وتطور جماعة الإخوان المسلمين :

ذاق الشعب المصرى مرارة الاحتلال الإنجليزى طيلة أعوام عديدة، وبرزت المقاومة كخيار وطنى يلبى طموح الشعب ويرضى تطلعاته المشروعة فى نيل استقلاله وبناء دولته على أرضه.

وقد كان الاحتلال الإنجليزى – وما ترتب عليه من أوضاع – عاملاً مباشراً فى نشأة جماعة الإخوان المسلمين وتطورها، إذ كان وجود الاحتلال كافيًا لإثارة المشاعر الدينية لدى المصريين وحفزهم لمقاومة كل ما يصدر عنه(١).

ويذكر الإمام البنا – رحمه الله – أن وجود المعسكر الإنجليزى فى الإسماعيلية كان يبعث فى نفس كل وطنى غيور الأسى، ويدفعه إلى مراجعة الاحتلال، وأن أوضاع هذا الاحتلال وأفعاله عملت عملها فى نفسه، وأوحت له بكثير من المعانى التى كان لها أثر كبير فى تكييف الدعوة والداعية، كما يذكر أن شعور ستة من عمال الإسماعيلية بأن العرب والمسلمين « فى هذا البلد » لا يعدون مرتبة الأجراء التابعين للأجانب دفعهم إلى مفاتحته فى تكوين جمعية الإخوان التى رأوا أن فيها حياة الوطن وعزة الأمة(٢).

كما أثر الاستعمار الإنجليزى فى أهدافهم، إذ رأوا أنه من المستحيل إقامة حكم صالح مادام الاستعمار موجوداً يخنق الحكومات المصرية، فأدخلوا فى برنامجهم « العمل على مقاومة الاستعمار وتحرير أرض الوطن من موبقاته لكى تظفر الأمة و الحكومة بحريتها »(٣).

وأثر ذلك فى أساليبهم وخاصة فى إنشاء « النظام الخاص » للجهاد ضد الإنجليز(٤).

---

(١) د. زكريا سليمان بيومى، الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية، ص ٣٣، ٣٤.

(٢) الإمام حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص ٧٥، ٧٦.

(٣) الإمام حسن البنا، نحن وطنيون، جريدة الإخوان المسلمون، السنة الأولى، العدد ١٣٩، ص ٤؛ قانون النظام الأساسى لهيئة الإخوان المسلمون العامة، ص ١٠.

(٤) نظراً لأهمية الحديث عن النظام الخاص سنفرد له كتاباً مستقلاً وافيًا فيما بعد.

كما أثر أيضًا فى فكره، فقد كانت أوضاع المستعمر فى مصر عاملاً مباشرًا فى تناول الإخوان – فكريًا – لمفهوم الاستعمار، ومفهوم الاستقلال، ووسائله[1].

تلك إشارات موجزة عن تدخل الاحتلال الإنجليزى فى شئون مصر، وكقوة سياسية أحكمت سيطرتها على البلاد عسكريًا واقتصاديًا، وأذاقت البلاد مرارة البطش والظلم، وكان ذلك كله ذا أثر واضح فى دوافع نشأة وتطور جماعة الإخوان المسلمين لجهاد المستعمر.

المطلب الثانى

الملك

يعد الملك القوة الثانية المحركة والمؤثرة فى الحياة السياسية فى ذلك الوقت، ذلك أن الملك تجمعت فى يده سلطات الحكم على نحو يجعل القرار النهائى بيده رغم وجود حياة برلمانية مستمدة من دستور عام ١٩٢٣م.

وجدير بالذكر أن الملك فؤاد – ومن بعده ابنه الملك فاروق – مارسا استبدادًا شبه مطلق فى مصر مستندين إلى عاملين:

العامل الأول:

أن دستور ١٩٢٣م أعطى للملك حق حل مجلس النواب مطلقًا، وتأجيل انعقاده، وحق تعيين رئيس الوزراء وحق إصدار القوانين «التصديق» وحق الاعتراض التوقيفى، وللملك أن يعين خمس أعضاء مجلس الشيوخ[2]. وقد زادت هذه السلطات فى الفترات التى تعطل فيها الدستور المذكور، وفى ظل دستور ١٩٣٠م اتسعت هذه السلطات على نحو بشع.

العامل الثانى:

أحزاب الأقلية التى اعتمدت – اعتمادًا كاملا – على الملك للوصول إلى السلطة فاستعان بها لضرب الحياة النيابية وتعطيل الدستور[3].

فالملك بهذا كان مصدر السلطة الفعلية فى مصر قبل عام ١٩٥٢م، ومع ذلك فقد

---

(١) د. عثمان رسلان، مرجع سابق، ص ١٠٧.

(٢) د. عثمان رسلان، مرجع سابق ص ١٠٧، ١٠٨.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

نشأت الجماعة نشأة مستقلة بجهود الإمام البنا نفسه ومعه الستة نفر من الرجال، وبالرغم من هذا فلقد وجدت آثار فكرية وعملية تأثرت بها الحركة السياسية لجماعة الإخوان المسلمين.

ومواقف الإخوان المسلمين من الملك والقصر لها تفصيلات معروفة سنبسط لها حديثًا خاصًا لتوضيحها فى غير هذا المكان وفى باب مستقل.

المطلب الثالث

الأحزاب

وتأتى الأحزاب السياسية المصرية كقوة ثالثة بعد الإنجليز والملك، وكان واضحًا ان الإنجليز يهدفون إلى ربط مصر بهم، وصبغهم بصبغتهم رغبة فى ان تصير مصر جزءاً من الإمبراطورية البريطانية التى كانت لا تغيب عنها الشمس – كما كان يقال – وفى ظل وجود الاحتلال والملك والدستور بدأت الأحزاب السياسية ممارسة دورها فيما يتعلق بالحياة الداخلية وكذا المفاوضات على الاستقلال مع المحتل.

ويمكن تقسيم هذه الاحزاب إلى ثلاثة اتجاهات وهى :

١- حزب الأغلبية الشعبية « الوفد »، والأحزاب المنشقة عنه والمسماة بأحزاب الأقلية مثل: « الأحرار الدستوريون، السعديون، الكتلة السعدية ».

٢- أحزاب القصر « الاتحاد، الشعب ».

٣- الحزب الوطنى القديم الذى أسسه الزعيم مصطفى كامل باشا.

وكانت هذه الأحزاب – ما عدا الوطنى – تتسم بما يلى :

أ- سيطرة كبار الملاك ورجال المال عليها، وهذا واضح فى أحزاب الأقلية وفى حزب الوفد بعد عام ١٩٣٦م، حيث دخلته العائلات الإقطاعية، وبدا هدفه مجرد الوصول إلى الحكم.

ب- انشغالهم بلعبة السلطة والانتخابات مما أدى إلى استهلاك طاقات المصريين فى غير موضعها، بدلا من توحيد الجهود لتحقيق الاستقلال(١) .

---

(١) زكريا سليمان بيومى، الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٢، ٤٣ .

ج- احتواء الاحتلال لهذه الأحزاب جميعًا - ما عدا الحزب الوطني - من حيث قبولها أن تكون خادمة للقانون الوضعي، والنظام الليبرالي القائم على الإعجاب بالمثل الغربي العلماني وأسلوبه في العيش، بحيث يمكن القول إنها جميعًا كانت تمثل ديار الفكر الوافد(١) وهو نفس فكر المحتل الأجنبي .

د- قبلت جميع المفاوضات مع المحتل محولين الصراع معه من ثورة شعب ضد معتد غاصب إلى مفاوضات سياسيين مع قوة محتلة لا تناقض بينهما أيديولوجيا(٢) .

هـ- ولم يكن لأحزاب الأقلية أي مبرر لقيامها سوى السعي للحكم، فلم يكن بينها أي خلاف جوهري يدعو إلى تعددها، ولم يكن لها برامج عملية تعمل لتطبيقها(٣)، ونتيجة لذلك عملت على تزييف الحياة النيابية بالتزوير في الانتخابات، وغير ذلك، وعلى فساد الحياة السياسية المصرية، إذ استعان بها الملك لعمل انقلابات دستورية، وضرب الحريات(٤).

ذلك هو وضع الأحزاب في تلك الفترة، وهو يمثل أحد مكونات وعوامل نشأة وتطور جماعة الإخوان المسلمين، ويمكن إجمال ذلك في عدة نقاط نذكر منها(٥) :

أ- من البين أن الأحزاب لم تكن تنطلق من الفكر الموروث للشعب، بل تبنت الليبرالية الغربية - فكر المستعمر - ومن ثم كان هناك تحد لأنصار التيار الديني الذي ضعف كثيراً في بداية هذه الفترة، فلم يستطع مقاومة أحزاب الفكر الوافد، وكانت نشأة جماعة الإخوان استجابة لتحديات منها ذلك الاحتواء المشار إليه(٦).

ب- ويذكر الإمام البنا أن أوضاع الحكومات وطرائق حكمها قد صدمت جماعته فادخلت في برنامجها العمل لإصلاح الحكم.. ونتيجة لهذه الأوضاع الحزبية ومنحاها

---

(١) أنور الجندي، حسن البنا الداعية الإمام والمجدد الشهيد، دار القلم، ط١، بيروت ، ١٩٧٨ .

(٢) أنور الجندي، بين لاظوغلي وقصر الدوبارة «تاريخ النضال بين الاستقلال والاحتلال»، دار الطباعة والنشر الإسلامية، فبراير ١٩٤٧، ص ٥٦ .

(٣) حسن البنا، إلى مقام صاحب الجلالة فاروق الأول، مجلة النذير ، السنة الأولى، عدد «٦» ربيع الآخر سنة ١٣٥٧هـ»، ص ٤. .

(٤) عبد العظيم رمضان، الفكر الثوري في مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو، مرجع سابق، ص ٧٩، ٨٢ .

(٥) ذكرها د. عثمان رسلان، التربية السياسية عند الإخوان المسلمين، المرجع سابق، ص ١١٠ .

(٦) نفس المرجع السابق، ونفس الصفحة، وانظر: أنور الجندي ، حسن البنا الداعية الإمام والمجدد الشهيد ص ٣٦ .

التغريبى، جعل الإخوان من أهدافهم قبل ١٩٥٢م العمل لحل الأحزاب وتوحيد قوى الأمة فى اتجاه واحد ذى برنامج إسلامى، وكان لهم موقف فكرى منها، وتصادموا معها مراراً(١).

المطلب الرابع

قوى الجماهير وأثر العامل الإسلامى فى حركتها السياسية

وكان قوامها الطلاب والعمال والموظفين، وبرزت قوتها فى ثورة ١٩١٩م وما بعدها، وكانت تدل على وعى بحقوقها وحرص على المطالبة بها فى شكل مظاهرات وإضرابات مثل مظاهرات عام ١٩٢٨م، ١٩٣٠م، ١٩٣٥م، ١٩٤٦م، وكانت أهمها «مذبحة كوبرى عباس الأولى سنة ١٩٣٥م، واستمرت نوفمبر وديسمبر ويناير ١٩٣٦م(٢). وبرز العامل الدينى جليا فى تحريك قوى الجماهير فى كثير من الأحداث، منها مثلا ثورة ١٩١٩م، والذين يرجعون ثورة سنه ١٩١٩م إلى أسباب سياسية، أو إلى أسباب اقتصادية ويهملون العامل الدينى فيها يخطئون خطأ كبيرا(٣)، ومنها فتك الشعب بالأرمن فى الطرقات إثر إطلاق أحد الأرمن النار من نافذة منزله على المتظاهرين من الشعب المصرى فى أثناء الثورة، ومنها المعارك التى نشبت بين المتظاهرين وبين اليونان والطليان، فى مايو سنة ١٩٢١م بالإسكندرية كرد فعل للحرب التركية اليونانية، التى كان يؤيدها الشعب فى ذلك الوقت معتقدا أنها قامت للدفاع عن الإسلام وعن الخلافة، ولم يكن انشغال المصريين بما كان يجرى فى تركيا من أحداث، وتتبعهم للخلافة وتطوراتها فى خلال ثورة ١٩١٩م وما بعدها إلا مظهراً من مظاهر هذا العامل الإسلامى الذى لم يضعف أثره فى النفوس، وقد اعترف بعض مؤرخى مصر الحديثة من الإنجليز بوجود هذا العامل الدينى فى الثورة(٤).

لكن لم تكن الجماهير تمتلك التنظيم الشعبى ذا البرنامج المتفق مع هويتها وأيديولوجيتها، وكانت الأحزاب حريصة على جذب أكبر قدر ممكن من تأييد

---

(١) حسن البنا، نحن وطنيون، جريدة «الإخوان المسلمون»، مرجع سابق، ص ١ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية، ج٢، مرجع سابق، ص ٧٠، ص ٨٣، ٨٤ .

(٣) د. محمد محمد حسين – الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، ص ١٨ .

(٤) المرجع السابق، ص ١٩، وقد نقل ذلك الاعتراف من كتاب:

GreatBrittain in Egypt : Major. E. W Polson Newma London. 1928.

الجماهير، فظفر حزب الوفد بالشعبية الساحقة إبان قيام ثورة ١٩١٩م، وكان زعماء الحزب يتخذون الدين وسيلة لتوطيد زعامتهم واكتساب قلوب العامة من الشعب، حتى أن غير المسلمين من القادة الوفديين كانوا يحفظون من آيات القرآن الكريم ما يترنمون به فى خطبهم، وهم يعلمون كم يلقى ذلك من قبول فى نفوس السامعين، وكيف تخشع له قلوبهم[١]. لكن سرعان ما انصرفت الجماهير عن حزب الوفد بعد اتفاقية ١٩٣٦ مع الاستعمار وبدأت تتطلع إلى قيادة جديدة وتنظيمات سياسية أخرى.

ولم يكن لأحزاب الأقلية أى توجه شعبى على عكس الإخوان التى حرص مؤسسها من أول يوم على دعوة الجميع حتى أصحاب المقاهى من عامة الشعب إلى فكرته وتعريفها بحقها، وإيقاظ الإيمان فى قلوبها. فانتشرت الدعوة فى أوساط فئات الشعب المختلفة، وانجذب إليها العمال، والطلاب والمثقفون الساخطون على سياسة الوفد وأحزاب الأقلية معا، مما أدى إلى توسيع قاعدتها الجماهيرية فى وسط الشعب المصرى .

وبتحليل الوضع السياسى لمصر إبان القرن العشرين يمكن أن نستخلص عدة حقائق منها[٢] .

١- ظهور الشيخ حسن البنا فى وقت يسوده وضع سياسى متهرئ: محتل غاشم مستبد، وملك متسلط لاه، وأحزاب متناحرة نفعية، وشعب ذليل جاهل، وإن كان متدينًا بفطرته متطلعًا لرجل فذ يفهم ذلك الوضع ويقود الناس إلى طريق خلاصهم وسعادتهم، وكان الشيخ منذ حداثة سنه يفهم ما يدور حوله، ويشارك بجهده الصغير فى طريق الخلاص للشعب المنكوب.

٢- تأثر جماعة الإخوان بالقوى السياسية الفاعلة فى مصر - مثل الإنجليز والأحزاب - وتفاعلها مع الأحداث السياسية المتجددة وقتذاك، مما كان له أكبر الأثر فى نشأتها وتطورها من حيث الأهداف والفكر والحجم.

٣- دلالة ذلك الوضع السياسى على أن نظام الحكم الإسلامى كان منعدما، وإذا أضيف إلى ذلك إلغاء الخلافة الإسلامية نهائيًا عام ١٩٢٤م والذى كان له وقع شديد

---

(١) د. القرضاوى : الإخوان المسلمون ٧٠ عاما، مرجع سابق ص ٢١ .

(٢) أشار إلى بعضها د. عثمان عبد المعز رسلان: التربية السياسية عند الإخوان المسلمين ص ١١١.

الأثر فى مصر، حيث أوجدت حاجة ملحة لأن يعمل الناس من أجل إعادة الدولة الإسلامية ذات الاستقلال، والحكومة الإسلامية ذات السيادة، والخلافة الإسلامية الضائعة.

٤- برزت عدة قضايا أساسية تحتاج من يقوم بالتوعية بها منها قضية التحرر من الاستعمار، وقضية الحكم الإسلامى، وقضية الحريات، وقضية فقدان الأمل فى الحكومات والأحزاب لكى تقوم بهذه المهمة، فأنبرت جماعة الإخوان من بين الصفوف تعرف الناس بذلك، وتثبت صحة اتجاهها.

الفصل الثانى

الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المصرى
إبان ظهور الإمام البنا وتأسيس جماعة الإخوان المسلمين

ونستعرض فى هذا الفصل معالَم البناء الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع المصرى خلال الفترة التى شهدت ظهور الإمام البنا وجماعته المباركة، تتناول الدراسة فى هذا الفصل مكونات المجتمع المصرى والأوضاع الاجتماعية العامة التى تؤثر بشدة فى تكوين المجتمع، وكذلك ملامح ومكونات البناء الاقتصادى وآثار ذلك على نشأة الإمام وتكوين جماعته.

المبحث الأول : الحياة الاجتماعية.

المبحث الثانى: الحياة الاقتصادية.

المبحث الأول

الحياة الاجتماعية

برزت على سطح الحياة الاجتماعية فى مصر أوائل القرن العشرين عدة ظواهر ومؤثرات هامة أثرت - إلى حد كبير - فى مكونات الحياة الاجتماعية، وإذا كانت الطبقية الصارخة فى المجتمع قد أنشأت نوعًا من الظلم الاجتماعى والإحساس بالقهر والذل فإن موجة من الانحلال الأخلاقى هبت على شرائح المجتمع المصرى فأصابت الكثيرين منهم وأثمرت جيلا متغربا فى وطنه، ووصل الأمر - فى بعض الأحيان - إلى طمس معالم الشخصية الأخلاقية للإنسان المصرى المسلم .

وقد تأثرت الحياة الاجتماعية فى مصر بعدة ظواهر عامة أفرزت فى مجملها تقسيمات اجتماعية ميزت الحياة فى مصر، ومن أهم هذه الظواهر :

١- ظاهرة الاحتلال وما يصاحبها من مظالم وفساد وقهر، وقد تكلمنا عنها فى الفصل الأول.

٢- ظاهرة التخلف العلمى وما يصاحبها من ضياع للحقوق وفساد للقيم وسنتكلم عنها فى الفصل الثالث .

ونستعرض أهم الظواهر والمؤثرات على الحياة الاجتماعية فى مصر فى بداية القرن العشرين؛ وذلك فى مطلبين:

المطلب الأول: شرائح المجتمع المصرى – النظام الطبقى.

المطلب الثانى : الظواهر والمؤثرات على الحياة الاجتماعية فى مصر، وتتضمن النقاط التالية:

أولاً: حركات التبشير فى المجتمع المصرى .

ثانيًا: حركة تحرير المرأة.

ثالثًا: التحلل الأخلاقى والعقائدى.

المطلب الأول

شرائح المجتمع المصرى – النظام الطبقى

تميز المجتمع المصرى فى بداية القرن العشرين بوجود الطبقية الصارخة بين أفراده، ونستطيع أن نميز ثلاث طبقات فى تركيبة المجتمع، وهى:

أولاً: الطبقة العليا:

وهى الطبقة التى تضم كبار ملاك الأراضى الزراعية، وأصحاب وسائل الإنتاج من شركات تجارية وصناعية، وبنوك ومؤسسات مالية، وأصحاب هذه الطبقة يعيشون حياة اجتماعية متقاربة، ملؤها السرف والبذخ، بينهم شبكة قوية من المصاهرة والنسب، وسادت بينهم الثقافة الليبرالية التى حصلوا عليها نتيجة اتصالهم بالمجتمع الأوروبى ، سواء من خلال البعثات التى أرسلتها الدولة إلى أوربا، أو من خلال انتشار مناهج التعليم فى المدارس التى كانت تتمثل أنماط الحياة الثقافية والفكرية فى أوروبا(١).

وقد ضمت هذه الطبقة عدة فئات هى :

أ – كبار الملاك:

وهم يشكلون غالية الأحزاب السياسية والمجالس التشريعية، وقد لجأوا إلى أساليب متعددة لزيادة أملاكهم الزراعية، منها انتزاع أملاك صغار الفلاحين بعرض أثمان عالية

---

(١) عاصم الدسوقى : كبار ملاك الأراضى الزراعية، ودورهم فى المجتمع المصرى ١٩١٤ – ١٩٥٢ دار الثقافة الجديدة – القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٣١٩ – ٣٢١ .

أحيانا، واستخدام الإرهاب أحيانًا أخرى، حتى أصبح ٥ر٠٪ من إجمالى الملاك يملكون بين ٩ر٣٣٪ و ٢ر٣٥٪ من الأرض الزراعية فى الفترة من ١٩١٩ حتى ١٩٥٢م

وقد هجر أبناء هذه الطبقة الريف وأقاموا بالمدن، وكانت لهذه الظاهرة آثار سيئة على تطور الحياة فى المجتمع الريفى، إذ أدت إلى افتقار الريف بحرمانه من تداول ثروات كبار الملاك فيه كما أدت أيضًا إلى حرمان الريف من المشروعات الإصلاحية، لأن كبار الملاك القادرين على تمويل تلك المشروعات غير مقيمين به، ومن ثم فلا حاجة بهم إلى الاهتمام بمثل هذه المشروعات(١) .

وكان من نتيجة السياسة التى اتبعها كبار الملاك الزراعيين فى اقتناء الأراضى الزراعية على حساب الفلاحين الصغار أن أضحى دخلهم الكبير منها ثروة قومية مضيعة، لأنهم كانوا ينفقون هذا الدخل فى الترف واللهو، وهكذا كانت هذه الطبقة عقبة فى سبيل تطوير الاقتصاد القومى (٢) .

ب- الرأسمالية التجارية والصناعية:

كان من نتائج ثورة ١٩١٩ ظهور طبقة رأسمالية وطنية اشتغلت بالصناعة والتجارة، وقد لعبت الحرب العالمية الأولى دورا فى نمو دخل هذه الطبقة الرأسمالية نتيجة تعذر استيراد السلع الخارجية إبان الحرب، واحتياجات قوات الحلفاء وارتفاع الأسعار (٣).

وقد ترتب على فرض الحماية الجمركية عام ١٩٣٠م، وإلغاء الامتيازات الأجنبية فى معاهدة مونتريه عام ١٩٣٧، أن وقفت الرأسمالية المصرية فى موقف معادل مع الرأسمالية الأجنبية.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية دخلت تلك الطبقة مرحلة الاحتكار بسبب سيطرة قلة من أصحاب المال على نواحى الحياة الاقتصادية وتكتلها لقتل الصناعات الناشئة المنافسة(٤).

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٩١ .

(٢) محمد عودة : ميلاد ثورة، دار الجمهورية للصحافة، القاهرة سنة ١٩٧١، ص١١١ ، ١١٢ .

(٣) محمد أنيس، السيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأصولها التاريخية، ١٦١ .

(٤) المرجع السابق، ص ١٦٣ .

ويلاحظ على هذه الطبقة أنها كانت تتجنب إنشاء صناعة ثقيلة فى مصر كالصناعات الكهربائية والحديد والصلب، مما كان له انعكاسه على التعليم الصناعى بأن جعله يقف عند حد ساذج وبسيط، ما دام لا يجد فى سوق العمل من الأعمال المعقدة ما يحتاج إلى قوى مدربة على أحدث الأساليب(١).

جـ- الأجانب:

وكان منهم معظم المشتغلين بالصناعات الكبيرة، وأعمال المصارف، وبعض الوظائف الإدارية العليا، وكثيرا ما كانوا يعيشون منعزلين عن المصريين فى أحياء خاصة بهم، كما كانت الحكومة تعاملهم معاملة خاصة، نظرا لما لهم من الامتيازات المالية والقضائية(٢)، وكان لهؤلاء مدارس خاصة بهم، وقد لعبت هذه المدارس دوراً كبيراً فى نشر الثقافة الأجنبية بين المصريين(٣).

ثانياً: الطبقة المتوسطة:

تكونت من أصحاب الملكيات المتوسطة، ومتوسطى التجار، وقطاع كبير من المثقفين والعاملين بالحكومة، ويطلق الاشتراكيون على هذه الطبقة (البرجوازية الصغيرة)(٤) وقد لعبت تلك الطبقة الدور القيادى فى الحركة الوطنية وحركة النهوض السياسى والاجتماعى.

وقد اهتم أبناء تلك الطبقة من الطلاب بالمسائل السياسية نظراً لوضعهم الاجتماعى، حيث إنهم كانوا يمثلون بالنسبة للسواد الأعظم من السكان - الذين يسودهم الجهل - الطبقة المثقفة القليلة العدد، هذا بالإضافة إلى أن معظمهم كان من عائلات فقيرة تعانى صعوبات مالية فى سبيل إكمال دراستهم، وحتى بعد الانتهاء من الدراسة، لم يكن هناك ثمة ضمان بأنهم سوف يلتحقون بعمل ملائم، وذلك بسبب مزاحمة الأجنبى لهم على الوظائف(٥).

---

(١) سعيد مرسى أحمد، سعيد إسماعيل على: تاريخ التربية والتعليم ص ٢٦١.

(٢) محمد مهدى لهيطة: تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة - مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر - القاهرة، ١٩٤٤ ص ٤١٤.

(٣) أحمد ربيع خلف الله: الفكر التربوى وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين ص ٤٢.

(٤) المرجع السابق وانظر: عبد العظيم رمضان: الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر منذ ثورة يوليو ١٩٥٢، إلى نهاية أزمة مارس ١٩٥٤، ص ٥.

(٥) عبد العظيم رمضان: تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ - ١٩٣٦ ص ٧٨.

ثالثًا: الطبقة الدنيا:

تكونت تلك الطبقة من الفلاحين، وصغار العمال، وكانت حياة تلك الطبقة على قدر كبير من السوء بسبب لجوء كبار الملاك إلى انتزاع أراضيهم لكى يعملوا كأجراء عندهم، وكانت المشكلة الرئيسية لهذه الطبقة تنحصر فى أنهم لا يشتغلون إلا فى موسم الزراعة فقط، ثم يتعطلون خلال فترة طويلة من العام[١].

وكان هناك قطاع كبير من هذه الطبقة لا يمتلك الفرد منهم أكثر من نصف فدان، وهى مساحة من الأرض لا تكفى أن تعيش عليها أسرة طوال العام، لذا كان معظمهم يعمل لدى كبار الملاك[٢]. وإذا أضفنا إلى ذلك أن حوالى ١,٥ مليون أسرة من الفلاحين لم تكن لهم أى ملكيات زراعية على الإطلاق، أدركنا مدى سوء مستوى معيشة الفلاحين المصريين فى النصف الأول من القرن العشرين.

ولا شك أن حياة الفقر التى عاشتها هذه الطبقة وهى تمثل الأغلبية فى المجتمع المصرى جلبت عليها شقائق الفقر من جهل ومرض وضعف ووهن.

أثر هذه الطبقية على نشأة الإمام البنا وجماعته:

نشأ الإمام البنا فى المجتمع الريف وعاين من قرب أوضاع المجتمع فى طبقتيه الوسطى والدنيا، وأدرك حياة البؤس والفقر التى يعيشها غالبية الشعب المصرى، وقد كان لهذه الأوضاع الاجتماعية تأثير مباشر فى فكر وأهداف وحركة الإمام حسن البنا وجماعة الإخوان، فكم من مرة عبر الإمام عن تألمه وتألم جماعته من هذه الأوضاع، وكم علا صوته من هذه الأوضاع، ولا تزال كلماته محفورة فى وجدان الخلود «فاذكروا أيها الإخوان أن أكثر من ٦٠٪ من المصريين يعيشون أقل من معيشة الحيوان، ولا يحصلون على القوت إلا بشق الأنفس، وأن مصر مهددة بمجاعة قاتلة ومعرضة لكثير من المشكلات الاقتصادية التى لا يعلم نتيجتها إلا الله، وأن مصر بها أكثر من ٣٢٠ شركة أجنبية محتكرة كل المرافق العامة وكل المنافع الهامة فى جميع أنحاء البلاد، وأن دولاب التجارة والصناعة والمنشآت الاقتصادية كلها فى أيدى الأجانب المرابين...»[٣].

---

(١) راشد البراوى: حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر، ص ٩١.

(٢) محمد عودة: ميلاد الثورة – مرجع سابق – ص ١١.

(٣) حسن البنا: رسالة بين الأمس واليوم ص ١٤١ مجموعة الرسائل.

المطلب الثانى

الظواهر والمؤثرات على الحياة الاجتماعية فى مصر

أولاً: حركات التبشير فى المجتمع المصرى:

انتهزت دول الغرب الاستعمارية سيادة الأحزاب الداعية إلى الشعوبية فى الأمم الإسلامية، وخفوت صوت الداعين إلي الجامعة الإسلامية، وما يقابل به الداعون إلى الجامعة العربية من الاستخفاف والاتهام بانهم خياليون، وعند ذلك غزوا البلاد الإسلامية بحملة تبشيرية ضخمة، ظهر منها اسم قسيس عرفته مصر قبل الحرب العالمية الأولى فى جولاته التبشيرية، وهو القسيس البروتستنتى «زويمر» الذى كان رئيسًا لإرسالية التبشير العربية فى البحرين، والذى كان أول من دعا إلى عقد مؤتمر عام للداعين إلى التبشير بين المسلمين، فرأس مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦م(١). ولقد عاد اسم «زويمر» للظهور مرة أخرى، وكثر حديث الصحف المصرية عن جرأته على الإسلام فى بلده، حتى إنه ليخطب فى الأحياء التى لا يسكنها إلا المسلمون، حاثا الناس على اعتناق النصرانية، بل لقد بلغ من جرأته أن دخل الأزهر يوما ليوزع فيه نشراته التى تفيض بالطعن على الإسلام(٢)، واستمر هذا النشاط حتى عقد المبشرون مؤتمرهم الثانى فى بيت المقدس فى قلب العالم الإسلامى سنه ١٩٢٩م تحت سمع المسلمين وبصرهم(٣).

وكانت مدارس المبشرين التى انتشرت فى ذلك الوقت فى مصر وفلسطين وسائر البلاد الإسلامية أثراً من آثار ذلك النشاط، وعاملا قويا من عوامل هدم العقيدة الإسلامية فى قلوب النشء المسلم، ولاشك فى أن المبشرين كانوا يهدفون إلى ذلك مستخدمين الوسائل والعبارات التى ربما لا يفهمها السامع لكنها من قبيل دس السم فى العسل، وينتظرون فى اجتناء غرسهم هذا إلى أن يترعرع هذا النشء ويشب فيجدون فيهم قلوبا قابلة لما يريدون، ويؤمئذ يفرحون ويطربون، ويحزن المسلمون ويندمون حيث لا يفيد الندم(٤).

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى، ص ٢٨ وما بعدها: أ. ل . شاتلين – ترجمة مساعد اليافعى ومحب الدين الخطيب، مصر ١٣٥٠هـ.

(٢) مجلة الرابطة الشرقية، العدد الرابع من السنة الثانية ، ص ٦ .

(٣) د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ج٢، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٤) أشارت إلى ذلك جريدة الإخوان المسلمين بالعدد (٣٣) ٢٩ شعبان ١٣٥٤ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٩٣٥م تحت عنوان «مدارس المبشرين فى مصر وفلسطين».

وكان من نشاط التبشير فى ذلك الوقت انتشار صور للصحابة والأنبياء فى المجتمع، يشتريها العوام من المسلمين، ويروجون لها دون وعى لمرماها، ومن ذلك صورة لسيدنا على بن أبى طالب، وصورة أخرى لسيدنا إبراهيم الخليل وابنه الذبيح، والكبش بينهما، وصورة ثالثة لسيدنا الحسن وأخيه الحسين، وكانت الصور جميعها فى حال مخزية كاذبة لا هى من الإسلام، ولا من الجاهلية، ولا من البداوة، ولا من المدنية، وتم نشرها فى الأسواق تحت عيون العلماء وبين أيدى الوعاظ والمرشدين، وما قام منكر لها ولا اهتم لحربها أحد(١) .

وكان من ذلك أيضًا كثرة تماثيل القديسين والرهبان التى تباع وتشترى على أنها دمى ولعب للأطفال، ومنها أصنام الحلوى التى تباع فى مولد المصطفى ﷺ مبيد أصنام الجاهلية، ومبعوث الهداية للعالمين، ومنها بعض الحكايات الخرافية التى أضافوها إلى الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية الشريفة فى المسجد النبوى(٢) .

وفى وسط هذا الزخم من النشاط التبشيرى انتهزت الجمعيات المشبوهة أمثال المحفل الماسونى الفرصة، وكانت تعقد اجتماعاتها فى المناسبات المختلفة، وتعلن عن ذلك – وعن نفسها – على صفحات الجرائد فى غفلة من المسلمين اللاهين النائمين(٣) .

وقد استند المبشرون فى نشاطهم على أقوى قوتين فى المجتمع المصرى هما الإنجليز والحكام والمسئولون فى المدن والقرى، أما الإنجليز: فقد بلغ استهتارهم بمقدرات الأمة أن تجاهلوا أنها أمة مسلمة ذات مجد وتاريخ ففتحوا للحملات التبشيرية أبواب البلاد، بعد أن مهدوا لها بنشر الجهل والفقر والمرض، وبعد أن اطمأنوا إلى أن مقاليد الحكم فى البلاد أصبحت فى يد الفئة التى تدين لهم بالولاء، والتى هى فى حقيقة أمرها غريبة عن هذه البلاد.

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين، العدد (١٠)، ١٧ ربيع أول سنة ١٣٥٤ هـ ١٨ يونيو ١٩٣٥ م مقالة بعنوان «لذعات حرة».

(٢) لم يذكر المقال المنشور فى جريدة الإخوان المسلمين، العدد (١٠)، ١٨ يونيو ١٩٣٥ محتوى هذه القصة لكن يفهم أن النبى ﷺ جاء إلى المدعو أحمد وأمره أمرا ولقنه خبرا.

(٣) من ذلك ما نشرته الأهرام بتاريخ ١٦ يناير ١٩٢٨ ص٢ تحت عنوان «فى الماسونية» تعلن عن احتفال المحفل الماسونى اليونانى بمدينة بنها (محفل صهيون الموقر) فى يوم ١٣ يناير بتثبيت موظفيه عن السنة الجديدة، وذكر عدة أسماء ممن حضر ذلك المحفل.

وأما الحكام: فقد انتشر المبشرون فى أنحاء البلاد فى الوجهين البحرى والقبلى، وفى المدن والقرى المختلفة، تحت سمع المسئولين من الحكام وبصرهم، بل إن هؤلاء الحكام كانوا بحكم تعليمات رؤسائهم يسهلون للمبشرين وسائل دخول المدن والقرى، كما يسهلون لهم وسائل الاتصال بالأهالى وإجراء ما يشاءون من إجراءات بل وإقامة ما يشاءون من منشآت بل واختطاف من يشاءون من أطفال ونساء، فى الوقت الذى يضربون فيه بيد من حديد كل من تسول له نفسه أن يعترض سبيل هؤلاء الغزاة ولو بكلمة معتبرين ذلك اعتداء على الحكومة(١) .

دخل المبشرون مصر مستندين على هاتين القوتين، وقد درسوا طبيعة البلاد قبل أن يحضروا من بلادهم (أمريكا وفرنسا وبلچيكا وغيرها) فعلموا أن هناك مدنا مغلقة لا أمل لهم فيها، حيث لها طبيعة خاصة، وتاريخ لا ينسى، منها رشيد مثلا، فلم يحاولوا دخولها(٢)، وكان الصعيد مرتعًا خصبا لهم، حيث الفقر والمرض والجهل هناك أضعاف ما هو عليه فى الوجه البحرى، وحيث كان الصعيد فى ذلك الوقت يعتبر من المجاهل التى تحتاج إلى من يرتادها ويكشف عن معاناة أهلها المعزولين عن الحياة، لقد فعلوا فيه الأفاعيل وكانت أسيوط نقطة ارتكازهم، وكان لهم فيها مستشفى يخطفون الأطفال والنساء من القرى وينقلونهم إليه، ولا يستطيع أهل المخطوف أن يروه أو يعلموا عنه شيئا، كما لا يجدون من يشكون إليه(٣) .

وكاد الناس يفقدون إيمانهم بالله أمام هذه القوى العارمة المتضافرة، ثم لا يجدون من يعترض طريقهم، حتى الصحف لم تكن تشير إلى ذلك مع أنها كانت صحافة حرة، لكن نفوذ الإنجليز وقانون المطبوعات الذى وضعه الإنجليز كان يعطى حكام مصر المتواطئين معهم السلطة فى مصادرة أية صحيفة أو وقفها أو سحب الترخيص بها إذا هى تعرضت للمؤامرة المدبرة على إذلال الشعب وتكفيره برضاه أو رغم أنفه، كما أن الأموال الطائلة المعتمدة لحملات التبشير من خزائن أمريكا وإنجلترا وفرنسا ودول أوروبا كانت تنفق على هذه الصحف بسخاء، وكان ذلك يلجمها عن النطق بكلمة الحق .

---

(١) محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ، ج١ ص ٥٩ .

(٢,٣) المرجع السابق ص ٦٠ .

ومن ذلك نفهم أن المبشرين لم تكن - فى يوم من الأيام - وسيلتهم إلى التبشير بالمسيحية عرض عقيدتهم، وشرحها أمام الناس - كما هو المتبادر إلى الذهن من لفظ التبشير - وإنما وسائلهم هى استغلال فقر الناس وحاجتهم وجهلهم، فيأخذون هذا الطراز من الناس، ويأخذون نساءهم وأولادهم وينفقون عليهم ببذخ على أن يظلوا معهم داخل كنائسهم يرددون ما يقولونه لهم.

أما الشباب من أبناء الأغنياء فكانوا يغرونهم بالنساء، وهكذا كانت وسائلهم أخس الوسائل وأحطها، لكن الله سبحانه بدد جهودهم، حيث استمر عملهم هذا فى جميع أنحاء البلاد أكثر من سنة، ومع ذلك لم يخرجوا بمحصول يزيد على عشرات الأفراد من هؤلاء الجهلة الفقراء المدقعين(١) .

ولم تكن هذه الحملات العاتية للتبشير ذات أثر يذكر فى نتائجها من ناحية تكفير المسلمين، لكنها كانت صورة بشعة متوحشة للاستعمار البريطانى أمام شعب أعزل مغلوب على أمره، تضافرت على قهره حكومته مع الإنجليز، فكان الناس يبتلون من شدة الغيظ لأنهم يرون بأعينهم من ينتهك حرمة عقيدتهم - وهى أعز ما يعتزون به - وهم لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم لأن حكامهم جعلوا الدفاع عن النفس فى هذه الحالة جريمة يعاقب مرتكبها.

دور الإمام البنا وجماعته ضد الحركة التبشيرية:

وكان لجهود المخلصين من المسلمين أثر فى دحض هذه الحملات، ورد كيد الكائدين إلى نحورهم، وكان من أوائل هؤلاء حسن البنا - الطالب بدار العلوم فى ذلك الوقت - يقول عن إحساساته: كاد صدرى يحترق من زفرات الألم إذا لم يتحول إلى عمل، ولكن كيف نحوله إلى عمل والحراب مشرعة فى وجوهنا من رجال الحكم الذين كان يجب أن يكونوا هم ملاذ الناس، والذين صرنا وإياهم كما قال الشاعر:

وقد كان منا إليك الشكاة ... فأصبحت أنت الذى تشتكى(٢)

فكر حسن البنا فرأى أمامه فى الأزهر شخصيات يرجى نفعها لما يلمس فيها من غيرة على الدين، واستعداد للعمل إذا وجدوا إليه سبيلا كالشيخ يوسف الدجوى، فاتصل

(١) محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، ج١ ، ص ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٠ .

بهذه الشخصيات فوجد فيها تحرقا إلى العمل لكن الطريق أمامهم مسدود، ثم لاحت فى مخيلته صورة شخصية أخر ى لها كيان علمى وأدبى خاص تفردت به دون غيرها، ولها من ظروفها ما قد يعين على إيجاد بصيص من نور فى هذه الحلكة القاتمة... تلك هى شخصية «أحمد تيمور باشا» ذلك العالم الجليل سليل المجد والصديق الشخصى للملك فؤاد.

واستصحب حسن البنا معه عددا ممن استجاب له من هيئة كبار العلماء وطلبوا مقابلة أحمد باشا تيمور فى منزله، فاستقبلهم الرجل أحسن استقبال وكان يعرفهم جميعًا عدا هذا الشاب الصغير، وتقدم هذا الشاب الصغير فتحدث عن الموضوع حديث الثكلى عن فلذة كبدها، ووصف الحال التى تظلل البلاد وكيف يعيث المبشرون فى البلاد فسادا تحت سمع الحكومة وبصرها بل فى حمايتها، وانفجر فى البكاء حتى أبكى الباشا فأبكى الحاضرين، وتداول المجتمعون عسى أن يجدوا مخرجا، وجاءت سيرة الملك فؤاد فقال تيمور باشا: إنه صديقى وأثق فى غيرته على الإسلام، وتعددت الاجتماعات ونوقشت أفكار ومقترحات، وانتهت إلى قرار بأن أول إجراء لابد منه أن نصدر مجلة تتصدى لهذه المؤامرة وتفضح اعتداءاتها، ونستنهض الهمم لمقاومتها. وبمجهود تيمور باشا وتدخل الملك فؤاد صدرت مجلة الفتح وأسندت رياسة تحريرها إلى الكاتب الإسلامى العظيم الأستاذ محب الدين الخطيب(١).

أخذت مجلة الفتح تفضح مؤامرات الإنجليز، فاضطر الإنجليز إلى الانحناء أمام العاصفة، وبدأت الحملة الصليبية لأول مرة تواجه مقاومة، وكانت النتيجة العاجلة لفشل المؤامرة أن اضطر الإنجليز إلى سحب أذنابهم - حكام مصر - من المعركة، فلم يبق فى أرض المعركة إلا الصليبيون والشعب وجها لوجه.

وتكونت لجنة فى القاهرة برياسة الشيخ محمد مصطفى المراغى - الذى كان من قبل شيخا للأزهر - لمقاومة التبشير، وتكونت لها فروع فى المدن والقرى، وتصدت هذه اللجان لمن يسمون أنفسهم بالمبشرين، وما من مرة تقام مناظرة بين الطرفين علنا إلا انهزم المبشرون بالحجة والبرهان بعد أن زال عنصر الترغيب وَالإغراء، وعنصر القهر والإرهاب.

وكان لحسن البنا جهد آخر فى إحباط مؤامرة المبشرين المسعورة على المجتمع المصرى

---

(١) محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، ج١ ص ٦١ .

المسلم، حيث أسس مع صديقه أحمد أفندى السكرى فى المحمودية جمعية إصلاحية هى « جمعية الحصافية الخيرية » واختير أحمد أفندى السكرى التاجر بالمحمودية رئيسا لها، وانتخب حسن البنا سكرتيرا لها، وزاولت الجمعية عملها فى ميدانين مهمين: الميدان الأول: نشر الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، ومقاومة المنكرات والمحرمات الفاشية كالخمر والقمار وبدع المآتم ، والميدان الثانى: مقاومة الإرسالية الإنجيلية التبشيرية التى هبطت إلى المحمودية، واستقرت فيها، وكان قوامها ثلاث فتيات رأستهن (مسز: ويت) وأخذت تبشر بالمسيحية فى ظل التطبيب وتعليم التطريز، وإيواء الصبية من بنين وبنات، وقد كافحت الجمعية فى سبيل رسالتها مكافحة مشكورة وخلفتها فى هذا الكفاح جمعية «الإخوان المسلمين» بعد ذلك(١).

وقد شارك حسن البنا كذلك فى إنشاء وتأسيس جمعية الشبان المسلمين، حيث نشأت فكرة هذه الجمعية فى أذهان العلماء الغيورين على الإسلام والمسلمين، والتى سبق أن أوضحنا دور البنا فى تجميعهم وشحذ هممهم لمقاومة التبشير، وكان من أثر ذلك ظهور مجلة (الفتح) التى أخذت على عاتقها مواجهة الموجة التبشيرية، واكب ذلك عودة د. عبد الحميد سعيد من ألمانيا، وكان حسن البنا يلتقى به ويحيى الدردير وغيرهما، ويعرض عليهم ضرورة عمل جاد لإنقاذ الشباب(٢)، ويرى حاجة المسلمين إلى ناد يجمع شمل شبابهم، لأن النوادى المفتوحة لغير المسلمين وللمسلمين معا يترددون عليها، تتم فيها عمليات تبشير وتشكيك مدروسة، ونجح حسن البنا فى وضع بذرة منتدى للشباب كان مولده بعد سفره إلى الإسماعيلية، ألا وهو مولد « جمعية الشبان المسلمين » التى بادر بإرسال تأييده لها واشتراكه فيها، وكان تشكيل مجلس الإدارة والهيئة التأسيسية من الدكتور عبد الحميد سعيد رئيسًا، والدكتور يحيى الدردير والشيخ محب الدين الخطيب وأمثالهم أعضاء، وكان حسن البنا هو العضو الوحيد الذى يمثل الشباب بين أولئك العمالقة(٣).

ولم ينته دور حسن البنا إلى هذا الحد، بل استمر وازدادت قوته بعد نشأة جماعة الإخوان المسلمين، حيث كان للجماعة دور بارز فى مواجهة تلك الهجمة التبشيرية الشرسة على العالم الإسلامى، سوف نعرض لذلك فيما بعد، لكن يمكن أن يقال إنه

---

(١) حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٥ .

(٢) عبد المتعال الجابرى : لماذا اغتيل الإمام الشهيد ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٦ .

رغم فشل تلك الحملة الصليبية المسعورة فى مصر، إلا إنها كانت من أشد ما أصاب مصر من ويلات الاحتلال البريطانى، إذ كان القصد منها تحويل مصر إلى معسكرين متناقضين، كما فعلوا بالسودان، فشمال السودان مسلمون، وجنوبه مسيحيون، وقد أرضع مسيحيو الجنوب كراهية مسلمى الشمال، كذلك أرادوا أن يفعلوا بمصر، فقد ركزوا على الصعيد، فأنشأوا فيه المركز الرئيسى لهم، وكانوا ينقلون إليه من يختطفونه من أطفال الوجه البحرى ونسائه، وشاء الله مع ذلك أن يخرج من هذا الشر المستطير خير، فلولا هذه الحملة المسعورة ما استطاع حسن البنا أن يجمع على العمل للإسلام هؤلاء الرجال الذين لم تكن تجمعهم جامعة، ولا تضمهم رابطة، وجزى الله الشدائد كل خير[1].

ثانيًا: حركة تحرير المرأة:

بدأ الدعوة إلى تحرير المرأة قاسم أمين، وكان ذلك عند ظهور كتابين له الأول: تحرير المرأة، طبع سنة ١٨٩٩م، والثانى: المرأة الجديدة طبع سنة ١٩٠٠م واقترن اسمه من يومها بـ (محرر المرأة) لكن قاسم كان صريحا فى أنه يريد أن يقف بالحجاب عندما أمر الله به، وأنه يدعو إلى أن لا يجور الناس بتجاوز حدود الله، وستر ما لم ينزل الدين بأنه عورة وبحرمان المرأة من العلم وقصرها فى البيوت، ولم يدع قاسم أمين قط إلى اختلاط المرأة بالرجال ومراقصتهم، ولم يدع قط إلى أن تتجاوز كشف النقاب إلى الكشف عن الأذرع والسوق، والصدور والظهور، ولم يدع قط إلى اتخاذ الملابس الضيقة التى لا تخفى عورات الجسم فحسب بل وتبرز مواضع الفتنة والإغراء منها، ولكن الأمور لم تقف عندما دعا إليه قاسم أمين، وإنما تطورت تطورا سريعا، واندفاع الناس إلى ما وراء دعوة قاسم أمين فى سرعة غير منتظرة، فقد خلعت المرأة النقاب، ثم استبدلت المعطف الأسود بالحبرة[2] ثم لم تلبث أن نبذت المعطف وخرجت بالثياب الملونة، ثم أخذ المقص يتحيف هذه الثياب فى الذيول وفى الأكمام وفى الجيوب[3]، ولم يزل يجور عليها فضيقها على صاحبتها حتى أصبحت كبعض جلدها، ثم إنها تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شواطئ البحر فى المصايف بما لا يكاد يستر شيئًا، ولم تعد عصمة

---

(١) محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، ج١، ص ٦٣.

(٢) الحبرة: هى إزار كانت تلتحف به إذا برزت للطريق، وقد كان يتخذ من قماش أسود ويتكون من قطعتين، تدور إحداهما حول الخصر، وتنسدل إلى أن تغطى الساقين، وتنزل الأخرى من مفرق الرأس فتغطى الصدر والكتفين، وتنتهى إلى ما دون الخصر، وقد اختفى هذا الزى من قديم.

(٣) جيب الثوب: هو طوقه الذى يحيط بالرقبة، والفتحة التى يدخل فيها اللابس رأسه حين يلبسه.

النساء فى أيدى أزواجهن، ولكنها أصبحت فى أيدى صانعى الأزياء فى باريس من اليهود ومشيعى الفجور.

وقطعت المرأة مرحلة التعليم الابتدائى والثانوى واقتحمت الجامعة مزاحمة فيما يلائمها(١) وفيما لا يلائمها من ثقافات وصناعات، وشاركت فى وظائف الحكومة، ثم لم تقف مطالبها عند حد فى الجرى وراء ما سماه أنصارها «حقوق المرأة» أو «مساواتها بالرجل» وكأنما كان عبثا أن خلق الله - سبحانه - الذكر والأنثى وأقام كلا منهما فيما أراد، وامتلأت المصانع والمتاجر بالعاملات والبائعات، حطمت النساء الحواجز التى كانت تقوم بينهن وبين الرجال فى المسارح وفى الترام وفى كل مكان، فاختفت المقاعد التى جرت العادة على تخصيصها للسيدات بعد أن أصبحن يفضلن مشاركة الرجال.

تتابعت هذه التطورات فى سرعة مذهلة، وأعان على اندفاعها جو الثورة التى تلت الحرب، وقد ظهرت طلائع ذلك فى مظاهرة النساء المشهورة سنه ١٩١٩م التى طافت بشوارع القاهرة هاتفة بالحرية، فى طريقها إلى دار المعتمد البريطانى، لتقدم إليه احتجاجا مكتوبا على تعسف سلطات الاحتلال، وقد كان عدد المتظاهرات فيها يربو على الثلاث مائة وعلى رأسهن صفية زغلول حرم سعد زغلول باشا، وهدى شعراوى حرم على باشا شعراوى(٢).

وتجرأت المرأة منذ ذلك الوقت على المشاركة فى القضايا الوطنية، وفى مختلف الميادين الاجتماعية، فتألفت لجنة مركزية للسيدات الوفديات، شاركت مشاركة فعالة فى حركة المقاطعة الاقتصادية سنة ١٩٢٢م(٣) وتزعمت صفية زغلول حرم زعيم الثورة الأول وكريمة مصطفى فهمى باشا هذه الحركة الأولى، التى طفرت بالمرأة إلى وضع لم يحلم قاسم أمين أن تبلغه فى مثل هذه المدة الوجيزة، ثم استأنفت المرأة الطريق الذى وضعت قدمها على أوله باشتراكها فى ثورة ١٩١٩م ، فأخذت تؤسس الجامعات وتقيم الحفلات ، وتعقد الندوات والمحاضرات، وتزعمت هذه الحركة النسوية هدى شعراوى، حرم على باشا شعراوى، الذى كان ثانى الثلاثة الذين توجهوا إلى دار المندوب السامى البريطانى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨م يطالبون بالاستقلال، وتجرأت هذه المتزعمة على مالم

(١) محمد حسين، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، ج٢، ص ٢ .
(٢) المرجع السابق، ج٢ ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .
(٣) أحمد شفيق، حوليات مصر السياسية، المقدمة، ج٢، ص ٣٦٥، ٣٦٧ .

تتجرأ عليه امرأة مسلمة من قبل، فسافرت إلى باريس وإلى أمريكا لدراسة شئون المرأة، وأخذت تلقى بالتصريحات والأحاديث لمندوبى الصحف(١).

وقد كان الناس فى حيرة من أمرهم، لا يدرون ما يأخذون وما يدعون من سيل البدع الذى يتدفق فى غير توقف، ومن معارض كل براق خلاب من غرائب الأنماط والعادات الذى تتوالى فى سرعة مذهلة، وكان تيار الحياة يكتسح المعارضين أنفسهم إذ يصبحون وقد أحاط بهم ما يكرهون، وما يحاربون فى أشخاص بناتهم وزوجاتهم وأخواتهم، حتى بدا التناقض واضحا بين ما يقولون وبين ما يجرى فى بيوتهم.

ولعبت الصحف دوراً حاسماً فى هذه المعركة، بما كانت تنتشر من صور للجمعيات النسائية وللأزياء، وما كانت تروى من أخبار النشاط النسوى الذى قل أن تخلو منه صحيفة(٢). وقد ساعدت هذه الصحف على الدعوة إلى السفور حيث استخدمت النساء العاريات فى الإعلانات بصورة لافتة للنظر فما من إعلان عن أى شىء إلا وفيه امرأة سافرة – وفى بعض الأحيان عارية – تعلن عنه، من ذلك إعلان «كولونيا»(٣) وآخر عن صابون «بالموليف»(٤) وثالث من نوع من «الخمر»، ورابع عن نوع من «السجائر»، وخامس عن «عطر»... إلخ بينما كانت تظهر المرأة المسيحية فى الإعلانات وهى مغطاة الرأس يتدلى غطاء رأسها خلفها، وفى جيبها الصليب(٥).

وقد كان ذلك السفور بمثابة مؤامرة على المرأة المسلمة تنفذ خطوة خطوة، لكى تخلع المرأة المسلمة حياءها فتكون أداة سهلة فى يد دعاة التغريب يهدمون بها القيم والعادات والتقاليد الإسلامية، فيسيطرون على المجتمع.

---

(١) راجع حديثا صحفيا لأحمد الصاوى محمد معها عن هذه الرحلة فى «السياسة الأسبوعية» عدد ١٩ نوفمبر ١٩٢٧م، وقد أثنى الكاتب فى مقاله على ما تبذل هذه السيدة من جهود لرفع مستوى المرأة ورفع اسم مصر – حسب زعمه.

(٢) ارجع فى ذلك لصحيفة السياسة الأسبوعية عدد ١٧ يوليو ١٩٢٦م حيث كتبت مقالات عن (فتاة تركيا ١٩٢٦م) وصحيفة المقتطف عدد إبريل (نيسان ١٩٢٦م) ص ٤١٠، ٤١٣ حيث كتبت مقالا عن (الأحوال فى تركيا المعاصرة).

(٣) الأهرام عدد ١ يناير ١٩٢٨، ص ٩ تحت عنوان (الكمال فى الجمال).

(٤) الأهرام عدد ٤ يناير ١٩٢٨، ص ٢ تحت عنوان «الجمال الذى تحبه المرأة».

(٥) من ذلك ما جاء فى الأهرام عدد ٣ يناير ١٩٢٨م، ص ٣ وفيه امرأة مسيحية تعلن عن دواء «الكمبيو».

ولذلك لم يقف دور المرأة عند حد استخدامها فى الإعلانات كدعوة للسفور ولنبذ القيم والمبادئ الإسلامية، بل تعداه إلى استخدامها فى البغاء، وكان البغاء - ساعتها - رسميا يرخص له بالقانون، وتعجب أن تجد من بين علية القوم من يلتمس أسبابا يستدل بها على **إباحة البغاء على المستوى الرسمي بقوة القانون، يقول أحدهم: وقد فكرت في السبب الذى من أجله وضع البغاء الرسمى ورخص به فى بلد إسلامي، فرأيت أن الأصل في وضعه سببين: الأول: انتشار الأمراض التناسلية، والثاني: انتشار البيوت السرية**(١).

وفى الحقيقة إذا كان الدين لا يوافق- أبدا - على سفور المرأة وخلاعتها واستخدامها سلعة رخيصة للشهوات الحيوانية، فإنه لا يوافق كذلك على المكانة التى قد آلت إليها المرأة فى نهاية القرن التاسع عشر، والتى ثار عليها قاسم أمين ودعا - ساعتها- إلى تحرير المرأة، التحرير الذى يخرجها من القمقم الذى وضعت فيه باسم الدين، والدين منه براء، كان قاسم يريد أن يحررها لتتعلم، وتعامل فى المجتمع كإنسان له حقوق وعليه واجبات، لكن فى حشمتها، وفى حيائها، كى لا يأكلها الفقر والجهل والمرض، وهذا ما جاء به الإسلام ليحرر المرأة من الجاهلية التى عاشتها فى عصور ما قبل الإسلام، قال تعالى: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ولكن فى حشمة، وحياء، يحفظ عليها دينها، وكرامتها.

موقف الإمام البنا والإخوان من دور المرأة فى المجتمع:

وقف حسن البنا ومن بعده الإخوان من قضية المرأة، موقف الإسلام، فرفض ذلك السفور المقصود والعهر المباح، وحاول أن يرد المرأة إلى دورها الحقيقى، وهو بناء الأمة عن طريق تربية النشء المسلم، واستقرار الأسرة المسلمة التى تهيئ جواً من الإبداع والابتكار للزوج المسلم، فحرص منذ بداية دعوته على تكوين قسم للأخوات المسلمات، بدأ ذلك بتكوين فرقة لأخوات الإسماعيلية، ثم أخرى لبورسعيد، ثم ثالثة فى القاهرة، واختار - وهو فى القاهرة - إحدى السيدات كرئيسة لفرق السيدات فى الجماعة: «وقد تكونت للأخوات المسلمات فرقة فى القاهرة من نساء بيوت الإخوان، وقريباتهن، واختيرت

---

(١) من مقال يرد فيه الكاتب على كلام محمد شاهين باشا الذى اقتطعنا جزءا منه، انظر ذلك فى جريدة الإخوان المسلمين عدد ٣ سبتمبر ١٩٣٥م، ص ١٣، وكان محمد شاهين باشا - ساعتها - وكيل الداخلية للشئون الصحية، وهو يتحدث فى المقال عن شخصية نسائية كتبت بحثا عن التصريح الرسمى للبغاء، فكان ذلك دليلها المسوغ له.

السيدة الصالحة الحاجة «لبيبة أحمد» رئيسة لها، ولفرقة الأخوات فى الإسماعيلية، وبورسعيد»[1].

ومن ناحية أخرى حارب الإخوان كل من يدعو لسفور المرأة، أو يحبذ لها خلع حجابها، والاختلاط الفاسد مع الرجال، ومظاهر العهر والخلاعة، وعملوا جاهدين على إلغاء البغاء الرسمى، حتى كلل الله مجهودهم بالنجاح.

من ذلك مقالات كثيرة توضح دور المرأة فى المجتمع ومكانتها من الإسلام وحقوقها التى كفلها الإسلام[2] لها، ومقالات أخرى تدعو إلى التزام النساء بالحجاب، وتفند حجج دعاة السفور[3]، بل وخصص الإخوان للمرأة بابا خاصا فى جريدة الإخوان المسلمين تحت عوان «النسائيات» كتبت فيه أول رئيس للأخوات المسلمات تقول: «أساس إصلاح الأمة إصلاح الأسرة، وأول إصلاح الأسرة إصلاح الفتاة، وأعتقد أن فى تعاليم الإسلام وأحكامه - إن علمناها لها - ما يكفل لنا هذا الإصلاح المنشود»[4].

أما عن البغاء فقد وقف الإخوان منه موقفا تاريخيا، حيث نددوا بحماية الدولة له مما أدى إلى انتشاره، وتناولوا الأضرار الاجتماعية على الفرد والمجتمع من جراء إباحته، وردوا على كلام محمد شاهين باشا وكيل الداخلية للشئون الصحية فى أسباب إباحة البغاء[5]، ثم خصص الإخوان أسبوعا كحملة لمحاربة البغاء، وصدرت جريدتهم - جريدة الإخوان المسلمون - فى هذا الأسبوع مصدرة بعنوان: عدد خاص لمحاربة البغاء[6] كتب فيه الإمام البنا مقالا بعنوان «البغاء» قال فيه: «لقد نال خصوم الشرق من الشرق كثيرا، ولقد عاثوا فيه الفساد، ولقد أذلوا أبناءه بكل ما عرفوا من صنوف الإذلال.. ولا أظن أن فى ذلك كله ماهو أشد ولا أنكى من إباحة الزنا وحماية البغاء وإهدار الأعراض، البغاء أكبر معول يهدم الأسرة ويفكك رابطتها ويأتى على بنائها من

(١) حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص ١٨٦، ص ١١٩.

(٢) انظر على سبيل المثال: مقال فى جريدة الإخوان المسلمين العدد ١١ الخميس ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ هـ بعنوان: منزلة المرأة فى الإسلام وأثرها فى إصلاح المجتمع.

(٣) انظر على سبيل المثال: مقال فى جريدة الإخوان عدد ٢، ٢٦ محرم ١٣٥٣ هـ بعنوان «احتجاب النساء واجب».

(٤) محمد فتحى على شعير، وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ص ٢١٠.

(٥) جريدة الإخوان المسلمون عدد (٣٣٢) سنة ١٩٣٤م، تحت عنوان: «تنظيم البغاء لهدم الدين والأخلاق».

(٦) جريدة الإخوان المسلمون - العدد (٣٣) لسنة ١٩٣٤ م الموافق ١٣٥٣ هـ.

أساسه، والبغاء دركة منحطة ومنزلة سفلى لا تليق بالإنسانية الكريمة التى شرفها الله... العرض هو أغلى شئ فى هذه الحياة، أغلى من المال ، وأغلى من الدم،... وإيما خير للمرأة البغى أم أن تجد أمامها زوجا كريما رحيما يهب لها قلبه، ويحوطها برعايته ويذود عنها غوائل السوء»[١].

وقد شاركت اللجنة التنفيذية لرابطة الشباب المصرى للإخوان فى محاربة البغاء، فنشرت نداء تندد فيه بالبغاء وما تجنيه الأمة من فساد الشباب والقضاء على مصدر قوتها[٢]، وقد نال هذا العمل رضا الشرفاء من الأمة، منهم الأمير عمر طوسون، حيث أرسل للإخوان تأييده لتخصيص أسبوع كحملة لمحاربة البغاء، وشكرهم على ذلك، وأفاد أن أى عمل يعمله الإخوان لمحاربة هذا العار المخزى هو جهد منهم مشكور[٣] .

ثالثًا: التحلل الأخلاقى والعقائدى:

تعرضنا فى تطور دور المرأة فى المجتمع إلى بعض هذا الانحلال مثل سفور المرأة، والبغاء، ونحاول هنا أن نكمل مظاهر هذا الانحلال الأخلاقى والعقائدى الذى كان له أثر كبير على تغريب أبناء المجتمع المصرى عن دينهم وأخلاقهم، والجدير بالذكر أن الفساد الأخلاقى شمل فئات كثيرة من المجتمع، ولم يقتصر على الشباب اللاهى الثرى مثلا، أو على الطبقة المترفة من طبقات المجتمع.

فالفئة المثقفة المنوط بها القيام بدور الإصلاح، ومحل اقتداء الناس من وجهاء القوم وعلمائهم، وأصحاب الاتجاهات الفكرية فيهم، أو من ينتمون إلى الأحزاب والجمعيات المختلفة فى المجتمع، كثير من هؤلاء كان جل ما يشغلهم نقد الآخرين، وانتقاص قدرهم، بعيدا عن الإصلاح أو طلبا للحقيقة «إن أكثر نقاد هذا العصر لا يبتغون بنقدهم وجه الحقيقة لأنهم لا يخضعون لسلطانهم بل هم يلتمسون السقطات، وينقبون عن الخطأ، فإذا ما ظفروا بشئ من هذا أوتوهموا طاروا بذلك فرحا، وعمدوا إلى أقلام أشبه ما تكون بمشرط الحجام يحلقون أعراض الناس ثم يفرون، أما الحقيقة فهم عنها معرضون، وأما ما يكون من خير فهم له يغفلون..[٤].

---

(١) مقال للشيخ حسن البنا: فى جريدة الإخوان المسلمون العدد ٣٣ سنة ١٩٣٤م، بعنوان «البغاء» ص ١١.

(٢) نفس الجريدة ونفس العدد ص ١٩ .

(٣) نفس الجريدة ونفس العدد ص ١٨ .

(٤) جريدة الإخوان المسلمون العدد (٢٨) ٢٤ رجب ١٣٥٤ هـ الموافق ٢٢ أكتوبر ١٩٣٥م مقال بعنوان «حول نقد علمى» للأستاذ محمد عبد الهادى عطية.

والفئة التى يناط بها حماية الدين، ودعوة الناس للتمسك به، والعمل من أجل القضاء على المنكرات والمفاسد الخلقية فى المجتمع، حتى هذه الفئة أصبح حالهم فى المجتمع التنافس على المناصب، وطلب الزعامة الدينية، وعدم الاهتمام بتغيير المفاسد الاجتماعية من حولهم، كالزنا العلنى مثلا، أو الخمارات التى تملأ شوارع القاهرة، بل تراهم يجتمعون للتافه والجليل ثم لا يفعلون شيئا، ولا ينكرون منكرًا، أو يأمرون بمعروف، يقول عنهم أحد كتاب عصرهم: أيرضيك أن تسميهم رجال الدين والخمر تكرع كؤوسها مترعة بينهم سمعهم وأبصارهم وهم سكوت رقود؟(١) لذلك لا ترى لهم تلك المهابة والجلال اللذين كان يفيضان من رجال الدين، ولا ترى فى وجوهم ذلك النور الربانى المعهود على أمثالهم، يقول الكاتب: هل ترى لرجال الدين وشيوخ الإسلام تلك الروعة وذياك الجلال اللذين كانا يفيضان من أردانهم، وهل ترى عليهم ذلك النور الربانى . . . ؟ (٢) . .

أما عن مظاهر الفساد فى المجتمع فحدث ولا حرج عن المقاهى، والملاهى الليلية والحانات، والخمارات، والسجائر، والمخدرات، والزنا الخفى والعلنى والغناء والرقص، وبيوت الدعارة، وغيرها حتى أصبحت الدعوة لهذه المفاسد على صفحات الجرائد ومن خلال وسائل الإعلام المسموعة بصورة مقززة.

فامتلأت صفحات الجرائد بالنساء للإعلان عن الخمر أو السجائر أو بيوت الرقص والفحش(٣). والأدهى والأمر أن تشترك الهيئات الحكومية – التى ينبغى أن تحارب ذلك – فى الدعاية لذلك الفساد، نشرت الأهرام تحت عنوان «الحميات المنتشرة بالقطر المصرى: «ودع عنك الأدوية والمركبات الكيماوية، وهذه من «كونياك بوريس» اليونانى الشهير مستخرج من عصير العنب ملك الفواكه لأهميته ولجودته، قد قررته هذه السنة مصلحة الصحة العمومية إلى عموم مستشفياتها بالقطر المصرى(٤) .

---

(١) العدد السابق من الجريدة ص ٩، ١٠ مقال للأستاذ عمر التلمسانى تحت عنوان «مفرطون متغافلون».

(٢) المصدر السابق، نفس المقال، ونفس الصفحة .

(٣ خذ مثلا على ذلك أعداد الأهرام من ١ يناير إلى ٨ يناير سنة ١٩٢٨، وسوف تجد فيها كما هائلا من ذلك.

(٤) الأهرام بتاريخ ٨ يناير سنة ١٩٢٨ م ص ٩ .

لذلك ارتفعت نسبة الفقراء والمرضى بين الشعب المصرى، وانتشر التسول حتى بلغ عدد المتسولين فى مصر ٥٠٠ ألف شحاذ[١]، وجاء فى إحصاء وزارة الصحة عن المرضى فى مصر أن ٩٠٪ منهم مصابون بأمراض العيون، و٥٥٪ بالبلهارسيا و ٣٠٪ بالإنكلستوما و ١٥٪ بالملاريا و ١٢٪ أمراض صدرية و ٧٪ بالبلارجا و ٣٪ بالسل، ويتضح من إحصائيات أخرى عن الفقر نشرتها وزارة الشئون الاجتماعية أن ١٢ مليون مصرى لا يتمتعون بأية ميزة اجتماعية أو صحية وأنهم يعيشون كأنهم فى القرن الخامس عشر[٢] .

محاربة الإمام البنا والإخوان للانحلال الخلقى والعقائدى:

وقد صور الإمام حسن البنا بعضا من صور الفساد فى المجتمع فى مقال بعث به إلى الملك فاروق قال فيه: حدود الله معطلة لا تقام، وأحكامه مهملة لا يعمل بها، فى بلد ينص دستوره على أن دينه هو الإسلام، بؤر الخمور ودور الفجور وصالات الرقص ومظاهر المجون واللهو تغشى الناس فى كل مكان حتى الإذاعة اللاسلكية كثيرا ما تنقل جراثيم هذا الفساد إلى المخدرات فى البيوت، المحجبات فى القاصية، أندية السباحة والقمار تستنفد الأوقات والأموال، ويعمرها كبار القوم، ويتردد عليها سراة الأمة، حتى أصبحت أندية الموظفين فى العواصم والحواضر عنوان الفساد ومتلفة الأخلاق فى البلاد، كبار الموظفين يضربون للناس أسوأ المثل فى كل تصرفاتهم الشخصية والرسمية، مما أطلق الناس بالنقد وأضعف ثقتهم بالحكام.

الصور السافرة المتبرجة بالزينة التى لا تتفق بحال مع آداب الإسلام وما فرض الله على المرأة من التستر والاحتشام، تظهر فى كبريات الصحف وصغيراتها، تصبح ملهاة العيون الحائرة، والقلوب الفاجرة، وتتناول أعرق الأسر وأكبر البيوت، وأطهر الأعراض، الحفلات الساهرة والاجتماعات المتكررة، والمقابلات الكثيرة من رسمية وأهلية، تختلط فيها الأجناس، وتشرب بنت الكاس، ويقضى الليل فى مجون وعبث ولهو ورقص[٣].

---

(١) ذكر ذلك العدد الأستاذ البابلى بك مدير كلية البوليس «انظر : جريدة الإخوان المسلمون العدد (٣١) ٢٥ مارس ١٩٤٤ م.

(٢) الإخوان المسلمون العدد (٤) ١٧ صفر ١٣٦٣ هـ -١٢ فبراير ١٩٤٤م مقال تحت عنوان: انتشار الأمراض فى المجتمع.

(٣) النذير : العدد (٢) ٨ من المحرم سنة ١٣٥٨ هـ- ١٩٣٩م، مقال بعنوان: «ملك يدعو وشعب يجيب» إلى جلالة الملك الصالح فاروق الأول من الإخوان المسلمين.

ومن ذلك نعلم أن حسن البنا وجماعته من بعده كان لهم موقف قوى واضح من الانحلال الأخلاقى والفساد الاجتماعى، حيث حاربوا أوكاره بكل وسيلة ممكنة، والمقال السابق الذى رفعه حسن البنا إلى جلالة الملك جزء من تلك الحرب، فبعد أن وضح تلك الصور المصغرة - كما قال - للفساد بين يدى جلالة الملك قال: «كل هذا وأمثاله قد حطم عقائد الشعب، وثقته بنفسه، وأنساه المثل العليا، وصرفه عن طاعة الله وعمل الخير، وقضى على العقل والعاطفة والصحة والمال، وهدد الأسر الآمنة، والبيوت المطمئنة بالخراب العاجل والتحلل السريع الذريع، والحوادث التى تنشر تباعا فى الجرائد والمجلات ترعب وتخيف، ولابد من أن تمتد إليه اليد الآسية الطبيبة حتى يطهر هذا المجتمع من الميوعة والطراوة والخنوثة والمجون ، قلها كلمة منفذة وأصدره أمرا ملكيا ألا يكون فى مصر المسلمة إلا ما يتفق مع الإسلام، فإن مائة ألف شاب مؤمن تقى من شباب الإخوان المسلمين فى كل ناحية من نواحى القطر، ومن ورائهم هذا الشعب كله يعملون فى جد وهدوء ونظام، يترقبون هذه الساعة ليسعدوا بالشهود بين يديك فى سبيل الله لنصرة الإسلام، إن الجنود على تمام الأهبة، وإن الكتائب معبأة وقد طال بها أمد الانتظار، واشتد شوقها إلى ميادين العمل والكفاح، فمتى تقام الصلاة، متى يتقدم الإمام»(١).

لقد أدت كثرة صور الفساد فى المجتمع، خاصة ما يسئ إلى العرض من فجور وعهر، ومجون، فى الخمارات وحانات القمار إلى تحمس بعض الشباب، فاعتدى على تلك الأوكار(٢)، فكتب البنا إلى وزير العدل يوضح له الأمور، ويطلب منه معالجة جذور المشكلة، وليس نتائجها، بمعنى أن العلاج هو إغلاق تلك الحانات وليس محاسبة الشباب، وإن كان لا يقره على ما فعل، فبعد التقديم بحمد الله، والثناء على رسوله ﷺ قال: «يا معالى الوزير أنت رجل مسلم، تؤمن بالله ورسوله وكتابه، وتعتقد من أعماق نفسك أن تعاليم الإسلام وأحكام الإسلام هى أفضل التعاليم، وأعدل الأحكام، وأن الإسلام إذا أمر ففى طاعة أمره سعادة الناس وصلاحهم، وإذا نهى ففى ارتكاب ما نهى عن شقاؤهم وبلاؤهم.. ومصر يا معالى الوزير بلد مسلم وهو زعيم بلاد الإسلام، ومع هذا فحسبك أن تمر بأى شارع شئت من شوارع القاهرة، فترى بعينيك كيف زاد عدد

(١) المرجع السابق ، نفس العدد، ونفس المقال.

(٢) هذه الحادثة معروفة فى تاريخ مصر حيث قام بها أفراد جماعة القمصان الزرقاء التابعة لحزب مصر الفتاة.

الحانات على حوانيت ألزم الحاجيات، وكيف صارت دكاكين البقالة خمارات يحميها القانون... أهذا يرضى الله؟ أهذا يتفق مع نصوص الدستور؟ أهذا يساير مكانة مصر وزعامة بلاد الإسلام؟ لست أقر أحدا أن ينقض على القانون، ولست أدعو إلى العدوان في أية صورة من صوره.. لهذا أتقدم إلى معاليكم وذلك حقكم:

أولاً: أن تعيدوا النظر في إجراءات هذه القضية، في الوسيلة القانونية التي بها يطلق سراح هؤلاء الشبان المسجونين.

ثانيا: أن تتقدموا إلى الحكومة عاجلا بتشريع حازم يقضي على هذه الفوضى الخلقية، ويحمي الشعب من الخمر والمهالك والآثام...»[١].

هكذا اهتم حسن البنا وتلامذته بعده - بمحاربة الفساد في المجتمع في شتى صوره، ولم يألوا في ذلك جهدا، أو تلن لهم قناة، وكان لجرائد ومجلات الإخوان دور كبير في تلك الحرب، حيث كانت تحرص على توجيه الشعب من خلال المقالات والموضوعات التي تنشرها إلى التمسك بالأخلاق الكريمة، والابتعاد عن الرذائل والمنكرات[٢]، وحيث كانت توجه سهامها الفاتكة من خلال الحملات الإعلامية إلى المفاسد المنتشرة في المجتمع، فعلت ذلك في الخمر، كما فعلته سابقا في البغاء، حيث توالت المقالات، والتحذيرات، والإحصاءات والتقارير الطبية التي تبين ضرره[٣]، وما كانت تجد انحرافا من السلطات إلا ودعت إلى إصلاحه، من ذلك ما نشرته جريدة الإخوان المسلمون تحت عنوان «على هامش الأخبار» قالت: نشرت جريدة المصري أن وزارة الداخلية بالاشتراك مع وزارة الشئون الاجتماعية تعدان مشروع قانون بتنظيم ألعاب القمار والأندية، وسيعرض على البرلمان، ويؤسفنا ألا تشتغل وزارة الشئون بإعداد قانون يلغي الميسر بأنواعه»[٤].

---

(١) مجلة النذير العدد (٢) ٨ من المحرم سنة ١٣٥٨ هـ صورة خطاب الأستاذ المرشد (حسن البنا) لمعالي وزير العدل، تحت عنوان حول حوادث تحطيم الحانات ص ١١، ١٢، ١٣.

(٢) انظر مثال ذلك في جريدة الإخوان المسلمين العدد (٤١) ١٩ يناير ١٩٣٧ مقال تحت عنوان: «الأمراض الاجتماعية».

(٣) ارجع إلى جريدة الإخوان المسلمون الأعداد التالية عدد ١٩ سنة ١٩٣٣م ص ٢٢، عدد ٣٤ سنة ١٩٣٣ ص ٢٣، عدد ١ سنة ١٩٣٧ ص ١٠، عدد (٥، ٧) سنه ١٩٣٧م ص ٥.

(٤) العدد ٤، ١٧ صفر ١٣٦٣ هـ - ١٢ فبراير ١٩٤٤م، ص ٢.

المبحث الثانى

الحياة الاقتصادية

خضعت مصر للاحتلال البريطانى مع نهاية القرن التاسع عشر؛ وأقبل القرن العشرون وقد ارتبط الاقتصاد المصرى بالاقتصاد العالمى فى بلاد أوروبا وخاصة بريطانيا، ومن ثم تأثر اقتصاد مصر بعوامل الانتعاش الاقتصادى العالمى وأزماته صعوداً وهبوطاً.

«وقد بلغ هذا الارتباط أشده فى فترة الاحتلال، نتيجة تشجيع الاحتلال لعدد من المستثمرين الأجانب الذين أقاموا المشروعات الكبرى، والبيوتات المالية الضخمة التى كان همها تزويد الأسواق الأوروبية بالخامات المصرية، وتوجيه إنتاج البلاد تبعًا لهذه الأسواق»(١).

وقد تأثرت الحياة الاقتصادية بعدة مؤثرات وظواهر عامة كان لها أثر بالغ فى تشكيل ملامح الاقتصاد المصرى، ومن هذه المؤثرات:

١ - الاحتلال البريطانى فى مصر.

٢ - نشوب الحرب العالمية الأولى.

٣ - رغبة المصريين فى تحقيق الاستقلال لمصر وظهور «الاقتصاد الوطنى».

٤ - التوجه الوطنى نحو الصناعة الحديثة.

ونعرض - بإيجاز - لأهم ملامح ومكونات البناء الاقتصادى المصرى فى أوائل القرن العشرين، وأثر ذلك على نشأة الإمام حسن البنا وتكوين جماعته، وذلك على النحو التالى:

المطلب الأولى: ملامح البناء الاقتصادى المصرى فى تلك الفترة.

المطلب الثانى: أثر ذلك على نشأة الإمام حسن البنا وتكوين جماعته.

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، تاريخ مصر السياسى من الاحتلال إلى المعاهدة، ص ٢٤.

المطلب الأول

ملامح البناء الاقتصادى فى مصر فى أوائل القرن العشرين

يستطيع الباحث فى الشئون الاقتصادية أن يوجز القول عن أهم ملامح البناء الاقتصادى فى مصر خلال تلك الفترة فى النقاط التالية :

* خضوع الاقتصاد المصرى للسيطرة الأجنبية .
* اعتماد الاقتصاد المصرى على الزراعة وخاصة محصول القطن.
* ازدياد الاهتمام بالصناعة وبداية عصر الاقتصاد الوطنى.

خضوع الاقتصاد المصرى للسيطرة الأجنبية :

لعب الاحتلال البريطانى دوراً كبيراً فى ربط الاقتصاد المصرى بالاقتصاد الإنجليزى ربطًا كليًا، قوامه قيام مصر بإمداد الصناعة الإنجليزية باحتياجاتها من القطن، وفتح أسواق مصر لمنتجات الصناعة الأجنبية، وقد ترتب على تبعية الاقتصاد المصرى للاقتصاد الإنجليزى فى هذه الفترة، التقلب الكبير فى قيمة صادراتنا من القطن، وبالتالى فى مستوى الدخل القومى تبعًا لتقلبات مستوى النشاط الاقتصادى الإنجليزى[١] .

ونظراً لأن النشاط والركود فى الاقتصاد الإنجليزى كانا يحدثان بسبب طبيعة النظام الاقتصادى الرأسمالى نفسه، لذلك فإن الاقتصاد المصرى كان يتحمل آثار هذا النشاط والركود[٢] ، وفى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الأولى سيطرت الرأسمالية على أغلب الأنشطة التجارية والمالية للدولة، وقد بلغت نسبة رؤوس الأموال الأجنبية فى عام ١٩١٤م ما يقرب من ٩١٪ من مجموع استثمارات الشركات المساهمة فى مصر[٣] .

ومن العوامل التى جعلت الاقتصاد المصرى يدور فى فلك الاقتصاد البريطانى تحويل غطائنا النقدى من الذهب إبان الحرب العالمية الأولى إلى أذونات على الخزانة البريطانية،

---

(١) عاطف صدقى، أحمد الغندور: التحول الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧١م ص ٣٩.

(٢) المرجع السابق ص ٣٩.

(٣) أمين مصطفى عفيفى: تاريخ مصر الاقتصادى و المالى فى العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط٣ سنة ١٩٥٤، ص ٤٨٨ .

مما أتاح لبريطانيا الحصول على ما تشاء من العملة المصرية لتمويل عملياتها العسكرية(١).

وما أن تحددت العلاقات المصرية البريطانية فى إطار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م حتى أخذ الاهتمام البريطانى بربط الاقتصاد المصرى بالاقتصاد البريطانى يتزايد بصورة كبيرة، وذلك لاعتقادهم أن ذلك يدعم وجودهم فى مصر، كما أنه يضعف الحركة الوطنية فى مواجهة هذا الوجود(٢).

وتكشف الوثائق البريطانية القناع عن الدور الذى مارسته الرأسمالية الأجنبية فى الضغط على الحكومة البريطانية لعدم قبول مطالب الحركة الوطنية المصرية فى الاستقلال زاعمة أن ذلك يهدد المصالح المالية البريطانية(٣).

وقد أتاحت معاهدة ١٩٣٦م الفرصة أمام الاستثمارات الإنجليزية فى مصر نتيجة قيام الشركات الإنجليزية بتنفيذ بعض المشروعات، بعد إرساء العطاءات عليها، وقد أدى ذلك إلى عمل مئات الألوف من العمال المصريين فى تلك الشركات، وكان لذلك أثره فى صياغة الشخصية المصرية، لأن الموظفين الكبار فى هذه الشركات أجانب، والعمال المصريون رقيقو الحال، يقبلون الذل والهوان فى طلب لقمة العيش، ولأن الأجنبى قد وفد بلا أهل، فإن العامل المصرى المسكين هو الذى يقوم على خدمته، بل ويرسل زوجته وابنته لخدمة الأجنبى فى بيته، وقد استغلت حاجة المصرى للعمل فى هذه الشركات فضيع عرضه وامتهنت كرامته، ولما اعتاد المصرى فى ذلك الوقت – تحت ضغط لقمة العيش – أن يفرط فى عرضه سهل جداً أن يفرط فى وطنه، فكان هناك إذاً عامل ارتباط بين عطاء أولئك المستبدين عندما يعطون القروش وعندما يدفعون أجر العامل فى شركة من تلك الشركات، وبين تضييع الأخلاق، ثم بين كل ذلك وتضييع البلد وإفقاد المصرى كرامته(٤).

وعموماً فقد أدت سيطرة الأجانب على أغلب الأنشطة التجارية والمالية إلى تفشى البطالة بين المصريين ومنافسة المصنوعات الأجنبية للمنتجات المحلية، لذا فقد نادى البعض

---

(١) عبد الرحمن الرافعى: مصر البعث الوطنى، مطبعة الشروق. القاهرة سنة ١٩٧٧، ص ١٤٤.

(٢) رؤوف عباس حامد: مرجع سابق ص ٦٤، ٦٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٦.

(٤) عبد المتعال الجبرى: لماذا اغتيل الإمام الشهيد؟ ص ١٧، ١٨.

بالحد من هجرتهم إلى مصر، وأن يكون للتعليم دور فى تشجيع الصناعات الوطنية، هذا بالإضافة إلى التوسع فى إنشاء المدارس الصناعية لتكون نواة لتخريج الفنيين المصريين[1].

اعتماد الاقتصاد المصرى على الزراعة وخاصة محصول القطن:

اعتمد الاقتصاد المصرى فى تلك الفترة اعتماداً شبه كلى على الزراعة خاصة محصول القطن، وقد لعب الاحتلال البريطانى دوراً كبيراً فى تحويل السياسة الاقتصادية المصرية إلى سياسة التخصص الزراعى، ومع هذا فإن هذا التخصص لم يتسم بالطابع المتوازن، إذ وجهت العناية إلى محصول القطن على حساب المحاصيل الأخرى، كما أن هذا التخصص جعل الاقتصاد المصرى عرضة لأى تذبذبات تصيب أسعار القطن.

وقد تميزت الزراعة المصرية بعدد من الخصائص أهمها:

أ - عدم قدرتها على مواجهة النمو السكانى:

لما كان الاقتصاد المصرى قد تحول إلى الاعتماد الكلى على الزراعة، أصبح من الطبيعى ألا تنقطع عمليات تحسينها فانشئت قناطر نجع حمادى عام ١٩٣٠م. وتمت تعلية خزان أسوان عام ١٩٣٤م، ورغم هذا فإن معدل التوسع فى مساحة الأرض الزراعية كان أقل بكثير من معدل تزايد السكان[2]، فبينما زادت الرقعة الزراعية خلال المدة من ١٩١٧ - ١٩٤٧م بنسبة ٥٪ زاد معدل السكان بنسبة ٩٪ مما أدى إلى حدوث بطالة سافرة ومقنعة، هذا بالإضافة إلى ضآلة أجر العامل الزراعى[3].

ب - سوء توزيع الملكية الزراعية:

كما تميزت الزراعة بسوء توزيع الملكية الزراعية، ويتضح هذا من الجدول التالى:

(١) سلامة موسى: جيوبنا وجيوب الأجانب مرجع سابق ص ١٢ - ٣٠.

(٢) عبد العزيز مرعى، وعيسى إبراهيم: المشكلات الاقتصادية المعاصرة فى الإقليم المصرى، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة ١٩٦١، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٣) عاطف صدقى، أحمد الغندور: التحول الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة، ص ٤٣.

هيكل توزيع الملكية الزراعية عام (١٩٣٠م)(١)

مساحة الملكية بالفدان	عدد الملاك	النسبة	المساحة بالفدان	النسبة	ملاحظات
من ١ – ٥	٢١٤١٣٣	٩٣٫١٪	١٨٧٤٣٠	٣١٫٦٪	
من ٥ – ٥٠	١٤٥٠٤	٦٫٣٠٪	١٧٥٨٧٨	٢٩٫٧٪	
أكثر من ٥٠	١٢٥٩	٠٫٦٪	٢٢٨٥٣٠	٣٨٫٧٪	
المجموع	٢٢٩٩٩٧	١٠٠٪	٥٩١٨٣٩	١٠٠٪	

ويلاحظ فى هذا الجدول أن حوالى ٩٣٫١٪ من الملاك الزراعيين لا يملكون سوى ٣١٫٦٪ من مجموع الأراضى الزراعية، بينما يملك ٦ فى الألف فقط من الملاك حوالى ٣٨٫٧٪ من الأراضى الزراعية، ومن هنا يتضح أن المشكلة الرئيسية التى واجهت الريف المصرى كانت تنحصر بالدرجة الأولى فى إعادة توزيع الملكية الزراعية(٢).

جـ- ارتفاع قيمة إيجار الأراضى الزراعية:

ارتفعت إيجارات الأراضى الزراعية فى تلك الفترة لدرجة كبيرة جعلت الفلاحين الذين يزرعون الأرض يواجهون صعوبة كبيرة فى الاحتفاظ بها(٣)، وقد أدى هذا إلى لجوء الفلاحين إلى المرابين الذين يقرضونهم الأموال التى هم فى حاجة إليها بفائدة كانت تتراوح ما بين ٣٠ : ٥٠٪ لموسم واحد فقط(٤).

ازدياد الاهتمام بالصناعة وبداية عصر الاقتصاد الوطنى:

أدى انقطاع الواردات من السلع المصنعة خلال سنوات الحرب العالمية الأولى بالإضافة إلى رغبة المصريين فى تحقيق الاستقلال الاقتصادى لمصر إلى ظهور الإحساس بالحاجة إلى تنمية الصناعة، فأنشأت القوى الوطنية لجنة الصناعة والتجارة عام ١٩١٧م، وقد حثت هذه اللجنة الحكومة على الاهتمام بالصناعة ولكن الفتور ما لبث أن عاد مرة

---

(١) راشد البراوى، محمد حمزة عليش: التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث، ص ١٨٩.

(٢) عبد الحميد خلف الله: الفكر التربوى وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين ص ٣٥.

(٣) عاصم الدسوقى: كبار ملاك الأراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى ص ١٤٦.

(٤) راشد البراوى: حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر، ط ٢ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥، ص ٩٠، ٩١.

أخرى إلى الميدان الصناعى المصرى، فقد أدت الزيادة الكبيرة فى أسعار القطن إلى الاعتقاد بأن هذا المحصول وحده قادر على ضمان الرخاء المستمر للدولة[١].

غير أن انهيار أسعار القطن خلال الأزمة العالمية واستعادة الدولة لاستقلالها المالى عام ١٩٣٠م، بفرض التعريفة الجمركية، ورفع الرسوم على الواردات من السلع الاستهلاكية الصناعية، وعدم قدرة القطاع الزراعى على تشغيل العدد المتزايد للأيدى العاملة المصرية أدى إلى جعل النشاط يدب من جديد فى القطاع الصناعى، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية، فكان تاثيرها أكبر بكثير من تاثير الحرب العالمية الأولى فى دفع وتنشيط الصناعة المصرية نتيجة هبوط حجم الواردات، بالإضافة إلى ما تصرفه قوات الاحتلال، وكان نتيجة ذلك أن توسعت صناعات المنسوجات والزجاج والجلد والأسمنت والبترول[٢].

وبالرغم من ذلك لم تكن عملية التصنيع بالقدر اللازم لتغيير الطابع الزراعى للاقتصاد المصرى، إذ ظلت الصناعة قطاعاً «هامشياً» فى الاقتصاد المصرى.

فبينما كان عدد المشتغلين بالزراعة عام ١٩٥٢م يزيدون على نصف العدد الكلى للمشتغلين فى الاقتصاد المصرى، لم تزد نسبة المشتغلين بالصناعة على (١٠٪) من هذا المجموع[٣]، كما أن هذا التوسع لم يكن كافياً لمواجهة الاطراد فى زيادة عدد السكان، فالدخل القومى للفرد كان فى هبوط مستمر وهذا يتضح من الجدول التالى:

دخل الفرد السنوى[٤]

المدة	دخل الفرد سنويا
١٩٢١ – ١٩٢٨	١٢٫٣
١٩٣٠ – ١٩٣٣	٠٨٫٢
١٩٣٥ – ١٩٣٩	٠٩٫٦
١٩٤٠ – ١٩٤٥	٠٩٫٤

(١) سعيد محمد المهيلمى: مذكرات فى التطور الاقتصادى، مرجع سابق ص ١٩٨، ١٩٩.
(٢) رؤوف عباس حامد: الاقتصاد المصرى فى الوثائق البريطانية ١٩٢٠ – ١٩٤٥، ص ٦٢، ٦٢.
(٣) عاطف صدقى، أحمد الغندور: التحول الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة، ص ٤٣، ٤٤.
(٤) شهدى عطية الشافعى: تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ – ١٩٥٦، ص ٩٠.

ومن الأمور المهمة فى حركة الاقتصاد المصرى تدخل الحكومة المصرية فى الحركة الاقتصادية، مما أدى إلى تخطيط الاقتصاد المصرى، وتنميته، وقد بدأ ذلك فى بداية الثلاثينيات، عن طريق فرض الحماية الجمركية لصالح الصناعة الوطنية الناشئة، وكانت تلك السياسة محل معارضة المصالح التجارية البريطانية.

ولعب بنك مصر - الذى أسسه طلعت حرب عام ١٩٢٠م - دوراً رئيسًا فى تقوية القطاع الصناعى المصرى، بإنشاء عدد من الشركات التى اعتبرت نواة الصناعة المصرية مثل شركة مصر للغزل والنسيج ، وشركة مصر للطيران، وشرك مصر للنقل والملاحة.(١) كما تدخلت الحكومة لإنقاذ أسعار القطن من الهبوط نتيجة قلة الطلب على القطن المصرى فى السوق العالمية، بسبب الكساد الكبير، فدخلت الحكومة سوق القطن مشترية منذ مارس ١٩٣٠(٢).

وبرغم تطور الصناعة فى مصر - على النحو الذى شرحنا - إلا أنها انحصرت فى قطاعات استهلاكية لم تكن تشكل تهديداً للرأسمال الأجنبى(٣).

ونخلص مما سبق إلى أن الأوضاع الاقتصادية فى مصر إبان ظهور البنا وجماعته تتسم بعدة سمات أهمها:

١ - استمرار سيطرة الشركات الأجنبية على الاقتصاد المصرى، وعن ذلك يذكر الإمام البنا - رحمه الله - «شركات الاحتكار فى مصر وضعت يدها على مرافق الحياة والمنافع العامة، فالنور، والمياه، والملح، والنقل، ونحوها كلها فى يد هذه الشركات التى لا ترقب فى مصرى إلا ولا ذمة، والتى تحقق أحسن الأرباح وتضن حتى باستخدام المصريين فى أعمالها» ويذكر الإمام البنا أن: «من الظريف المبكى أن نقول إن عدد الشركات المصرية إلى سنة ١٩٣٨ بلغ إحدى عشرة شركة فقط مقابل ٣٢٠ شركة أجنبية»(٤).

٢ - استمرار ارتباط الاقتصاد المصرى بالاقتصاد البريطانى، واعتماد النقد المصرى على أذونات الخزانة البريطانية ودار الضرب البريطانية والبنك الأهلى البريطانى وإن كان مقره مصر(٥).

---

(١) سعيد محمد المهيلمى: مذكرات فى التطور الاقتصادى ص ١٩٨، ١٩٩.

(٢) رؤوف عباس حامد: الاقتصاد المصرى فى الوثائق البريطانية ١٩٢٠ - ١٩٤٥، ص ٦٥.

(٣) د. عثمان رسلان: التربية السياسية عند الإخوان المسلمين ص ١١٤.

(٤) الإمام حسن البنا: رسالة المؤتمر السادس، طبعة دار الوفاء ص ١٩، ٢٠.

(٥) الإمام حسن البنا: مجموعة الرسائل ص ٢٣٨.

٣ - استمرار اعتماد الاقتصاد المصرى على الزراعة، والاعتماد على محصول رئيسى واحد هو القطن، فى الوقت الذى اتجه الوضع فى الريف إلى تركيز الملكيات الزراعية فى يد فئة قليلة، لم تعبأ باستخدام الأساليب الفنية فى الزراعة، مما أدى إلى إجهاد الأرض وفقدها لخصوبتها مع مرور الأيام.

وقد أدت هذه الأوضاع إلى الاستعمار الاقتصادى، وتخلف الاقتصاد المصرى، وانخفاض مستوى المعيشة إلى درجة عَميقة وتعرض العمل الدائم للتعطيل(١).

المطلب الثانى

أثر الاقتصاد السائد فى مصر على نشأة الإمام البنا وتكوين جماعته

نشأ الإمام البنا وعاش فى وسط شعب يتجرع مرارة هذه الأوضاع الاقتصادية التى كانت تسود مصر، وحين انتقل إلى مدينة الإسماعيلية ليعمل فيها مدرسًا(٢) شاهد بعينه الوضع المأساوى الذى يعيشه العمال المصريون فى شركة قناة السويس وغيرها من الشركات الأجنبية المنتشرة على طول القناة.

ولقد كان لهذه الأوضاع المخزية تأثير شديد فى نفس الإمام البنا وتفكيره وقد عبر عن ذلك بقوله:

«إننا فى أخصب بقاع الأرض وأعذبها ماء، وأعدلها هواء، وأيسرها رزقًا، وأكثرها خيراً، وأوسطها داراً، وأقدمها مدنية وحضارة وعلمًا ومعرفة، وأحفلها بآثار العمران الروحى والمادى والعملى والفنى، وفى بلدنا الموارد الأولية والخامات الصناعية والخيرات الزراعية، وكل ما تحتاج إليه أمة قوية تريد أن تستغنى بنفسها، وأن تسوق الخير إلى غيرها، وما من أجنبى هبط هذا البلد الأمين إلا صح بعد مرض، واغتنى بعد فاقة، وعز بعد ذل، وأترف بعد البؤس والشقاء، فماذا أفاد المصريون أنفسهم من ذلك كله؟ لا شىء.. وهل ينتشر الفقر والجهل والمرض والضعف فى بلد متمدن كما ينتشر فى مصر الغنية مهد الحضارة والعلوم وزعيمة أقطار الشرق بغير مدافعة؟!(٣).

---

(١) د. عثمان رسلان: مصدر سابق ص ١١٤، ١١٥.

(٢) كان ذلك يوم الثلاثاء الموافق ١٧ /٩/ ١٩٢٧.

(٣) الإمام حسن البنا: رسالة المؤتمر السادس ص ١٥.

وحين اختلط الإمام البنا بالعاملين فى شركة قناة السويس وغيرها اطلع على حقيقة الأوضاع التى يعيشونها، ومن كلماته التى سطرها فى مذكراته عن تلك الفترة: «وكان للإسماعيلية وحى عجيب، فهذا المعسكر الإنجليزى فى غربها ببأسه وسلطانه، وهيمنته وهيلمانه، يبث فى نفس كل وطنى غيور الأسى والأسف ويدفعه دفعًا إلى مراجعة هذا الاحتلال البغيض، ما جر على مصر من نكبات جسام.. لقد أوحت الإسماعيلية بالكثير من المعانى التى كان لها أثر كبير فى تكييف الدعوة والداعية»[١].

لذلك لا نعجب إذا رأينا الإمام البنا وجماعته يتبنون قضية النهوض بالاقتصاد المصرى الوطنى ويدعون إلى التحرر الكامل والاستقلال التام بعيداً عن أسر الاحتلال وقيود الاستعمار، ونشير - بإيجاز - إلى الجهود الطيبة التى بذلها الإمام البنا وجماعته فى سبيل تحقيق ذلك.

أولاً: جهود الإمام البنا وجماعته فى النهوض بالاقتصاد المصرى «نظريًا»:

١ - الدعوة إلى الاستقلال الاقتصادى عن السياسة الإنجليزية والسيطرة الأجنبية:

حيث تقدم الإمام البنا مطالبًا الحكومة آنذاك بالطلبات الآتية:

أ - استقلال النقد المصرى واعتماده على رصيد ثابت من الموارد والذهب المصرى، وتأميم البنك الأهلى.

ب - تمصير الشركات وإحلال رؤوس الأموال الوطنية محل الأجنبية ما أمكن.

جـ - تخليص كل المرافق العامة من أيدى الشركات الأجنبية، وتأميمها، واسترداد كل الأملاك التى أخذها الأجانب، وتحريم تملك الأرض المصرية على الأجانب - مؤبداً -.

د - التحريم القاطع للربا[٢].

---

(٢) الإمام حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ص ٨٢، ٨٣ بتصرف.

(٣) ساهمت جريدة الإخوان المسلمون فى ذلك مساهمة فعالة عن طريق المقالات والإحصاءات والتعليقات على ما تنشر الصحف الأخرى فى ذلك، انظر على سبيل المثال العدد (٧) ٢٨ مايو ١٩٣٥م.

٢ - الدعوة إلى النهوض بالاقتصاد الوطنى :

وقد كان حسن البنا دقيقًا فى تحديد مطالب بعينها رأى أنها تحقق ذلك النهوض المنشود[١] هى :

١ - استغلال منابع الثروات الطبيعية بصورة منتجة.

٢ - تشجيع الصناعات اليدوية لبثِ الروح الصناعية فى الأمة والوقاية من البؤس.

٣ - التحول إلى الصناعة فوراً بجانب الزراعة.

٤ - إرشاد الشعب إلى التقليل من الكماليات، والاكتفاء بالضروريات.

٥ - العناية بالمشروعات الوطنية المهملة - آنذاك - مثل مشروع خزان أسوان.

٦ - إعادة النظر فى نظام الملكيات فى مصر.

ثانيًا : جهود الإمام البنا وجماعته للنهوض بالاقتصاد المصرى «عمليًا» :

١ - تجاوز الشيخ البنا الدعوة النظرية إلى الجانب العملى للنهوض الاقتصادى : حيث كان يربى الإخوان على الالتزام بعدة أخلاق وسلوكيات اقتصادية، لازمة لكل عضو من أعضاء الجماعة منها[٢] :

أ - أن يزاول العضو عملاً اقتصاديًا مهما كان غنيًا، وأن يقدم على العمل الحر مهما كان ضئيلاً.

ب - أن يخدم العضو الثروة الإسلامية بتشجيع المصنوعات الوطنية، فلا يقع قرشه فى يد غير إسلامية، ولا يلبس، ولا يأكل إلا من صنع وطنه.

جـ - أن يدخر جزءاً من دخله ولا يتورط فى الكماليات أبداً.

د - ومنذ عام ١٩٤٥ دعا البنا إلى مقاطعة البضائع والمحلات والشركات الإنجليزية تمامًا.

٢ - تأسيس عدة شركات اقتصادية مساهمة من أهمها[٣] :

أ - شركة المعاملات الإسلامية (أنشأت مصنعًا للنحاس وآخر للبلاط والأسمنت).

ب - الشركة العربية للمناجم والمحاجر (لإنتاج الأسمنت والبلاط وأجهزة الطبخ).

جـ - شركة الإعلانات العربية.

---

(١) حسن البنا : مشكلاتنا الداخلية - النظام الاقتصادى فى مجموعة الرسائل ص ٢٤٠، ٢٤٤.

(٢) حسن البنا : رسالة التعاليم فى مجموعة رسائل الإمام الشهيد ص ٢٧٨، ٢٧٩.

(٣) محمد شوقى زكى : الإخوان .. والمجتمع المصرى ص ٢٠١، ٢٠٤، ريتشارد ميتشل : الإخوان المسلمون ص ٤٣٥، ٤٣٨.

د - شركة الإخوان المسلمين للغزل والنسيج بشبرا الخيمة.

هـ- شركة التجارة وأشغال الهندسة (لإنتاج مواد البناء وتدريب العمال فى حرف السباكة والكهرباء والنجارة).

و - شركة التوكيلات التجارية بالسويس.

ز - شركة التجارة بالمحلة (لإنتاج المنسوجات والأدوات المنزلية وأدوات المكاتب والأدوات المدرسية والكهربية).

٣ - اهتمام الإخوان الكامل بالعمال، ويظهر ذلك فى:

أ - أنشأ الإمام البنا قسم العمال بالمركز العام، حيث كان له دور بارز - فكريًا وعمليًا - فى الوقوف بجانب العمال المصريين[١]، وكان من أهدافه: تفهيم العمال حقوقهم والطرق المشروعة التى تكفل لهم تحقيقها وتنظيم النشاط النقابى، والدعوة إلى أن ينضم العمال إلى نقاباتهم، ومحاربة الأمية، وتبصير العمال بالمعلومات العامة (اجتماعية وسياسية ووطنية وصحية..) ودراسة الأفكار الصناعية وأساليب الإنتاج الحديثة وتعريفها للعمال حتى لا يقل العامل المسلم عن مثيله - صناعيًا - فى أية أمة من الأمم، بجانب أهدافه التربوية العقدية والروحية والاقتصادية[٢]. وقد أنشأ القسم مدرسة للتوجيه النقابى العمالى[٣].

ب - تبنى الإخوان مطالب العمال والدعوة إلى حقوقهم، فى مجلاتهم وكتبهم، مثل ربط أجور العمال بأرباح المؤسسات الاقتصادية التى يعملون فيها بحيث يكون لهم أسهم مع أصحابها فى الأرباح[٤].

بالحديث عن جهود الإمام البنا وجماعته للنهوض بالاقتصاد المصرى الوطنى نكون قد أنهينا بحثنا عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية التى كانت سائدة فى مصر إبان ظهور الإمام البنا وتأسيس دعوة الإخوان المسلمين.

---

(١) ريتشارد ميتشل: الإخوان المسلمون ص ٤٤٠، ٤٤٤.

(٢) انظر بالتفصيل: لائحة قسم العمال، مجلة الإخوان المسلمون، السنة السادسة، عدد ٢٠٦، ٣ يوليو ١٩٤٨م ص ١٥، وص ٢٢ (المادة ٢ إلى م ٧) واللائحة الداخليَة العامة للإخوان المسلمين، مرجع سابق ص ٥١، ٥٢.

(٣) إبراهيم زهمول: الإخوان المسلمون.. أوراق تاريخية ص ١٨٤.

(٤) انظر مثلا: حسن البنا: نحو النور - فى مجموعة الرسائل - ص ٧٨.

الفصل الثالث

الحياة الفكرية والثقافية للمجتمع المصرى إبان ظهور حسن البنا وتأسيس جماعة الإخوان المسلمين

استعرضنا خلال الفصلين السابقين واقع المجتمع المصرى فى بداية القرن العشرين، وسلطنا الضوء على جوانب الحياة السياسية والاقتصادية، والقوى السياسية وشرائح المجتمع المصرى، وبينا أثر ذلك كله على نشأة الإمام البنا وتكوين جماعته.

ونستعرض فى هذا الفصل المهم الحياة الفكرية والثقافية والتعليمية للمجتمع المصرى من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: جذور الصراع الفكرى فى المجتمع المصرى.

المبحث الثانى: الاتجاه الإسلامى - تيارات الفكر الإسلامى.

المبحث الثالث: الاتجاه التغريبى - تيارات الفكر التغريبى.

المبحث الرابع: أوضاع التربية والتعليم فى مصر.

المبحث الأول

جذور الصراع الفكرى فى المجتمع المصرى

مع مطلع القرن العشرين احتدم الصراع الفكرى بين اتجاهين متمايزين تمامًا فى تصور الأسلوب الذى ينبغى أن يتبع للوصول إلى الإصلاح المنشود، والنهوض بالمجتمع من حالة الركود والهمود الفكرى والاجتماعى التى أصابت المجتمعات الإسلامية والعربية جميعًا، وعلى رأسها مصر.

الاتجاه الأول: اتجاه الفكر الإسلامى الحديث.

الاتجاه الثانى: اتجاه الفكر التغريبى.

ويصدر كلا الاتجاهين عن خلفية فكرية خاصة ومتميزة عن خلفية الآخر، ومن حيث مصادر المعرفة الأساسية التى من خلالها يصوغ رؤيته وتفسيراته، ويبلور قيمه وأهدافه المتعلقة بالكون والحياة.

وترجع بدايات الاتجاه الأول إلى ظهور دعوات الإصلاح فى المجتمعات الإسلامية مثل:

* الدعوة الوهابية فى الجزيرة العربية التى قام بأعبائها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى نجد بالجزيرة العربية «١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ» «١٧٠٣م - ١٧٩١م».

* والدعوة السنوسية فى ليبيا على يد الشريف السنوسى.

* والدعوة المهدية فى السودان، وغير ذلك من الدعوات التى استهدفت بعث الأمة الإسلامية من جديد والتوجه بالمجتمع إلى الإصلاح المنشود.

أما الاتجاه الثانى فقد بدأ إثر الحملة الفرنسية «١٧٩٨م» على المشرق العربى، وفى قلبه مصر، وأعقب ذلك اتساع نطاق الاتصال مع الغرب وتعدد مجالات الاحتكاك به، وبمدنيته الحديثة التى بلغت فى ذلك الوقت درجة كبيرة من التقدم فى مقابلة حالة التردى والانحطاط الحضارى التى كان يعانى منها الشرق الإسلامى كله على اختلاف مجتمعاته.

كان الاتجاه التغريبى يدور فى إطار عقلية الغرب ونمط تفكير أهله ورؤيتهم للحياة، بينما يدور الاتجاه الإسلامى فى إطار العقلية الإسلامية ونمط تفكيرها ورؤيتها للحياة كذلك.

وعلى ساحة المجتمع المصرى نشأ التفاعل والصراع، والتباين فى الرؤى بين الاتجاهين وشمل جميع ميادين الحياة الفكرية والسياسية والأدبية..

وقد يكون الخلاف حول بعض القضايا التى تبدو - لمن يراها اليوم - ثانوية، لكن العبرة بما انطوى عليه هذا الخلاف - ساعتها - من دلالات أعمق تتصل بوضع الاتجاه وخلفيته الفكرية التى يصوغ من خلالها رؤيته وتفسيراته للأمور، وطبيعة الإطار الفكرى الذى كانت تدور فيه، ومدى ملاءمته للسياق الاجتماعى العام، فعلى سبيل المثال: كانت المعركة بين أنطار «الطربوش» وأنصار «القبعة» خلال العشرينات[١] تعبر فى جوهرها عن اشتعال المعركة الحقيقية ليس فى أغطية الرؤوس، بل فيما هو داخل الرؤوس ذاتها، والدليل على ذلك أن كلا من الطربوش والقبعة تركا فيما بعد، ومعنى ذلك أنه

(١) انظر تفصيلات ما دار بين الفريقين على صفحات الجرائد والمجلات: د. محمد محمد حسنين: الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ٢ / من ص ٢٥١ : ص ٢٥٥ .

توجد عقليتان مختلفتان تتنازعان ليس فى مصر – وحدها – ولكن فى أقطار وبلدان الشرق الإسلامى كلها. عقلية تتمثل حضارة الغرب وتبشر بها، وعقلية تتشبث بالإسلام وحضارته وتدافع عنها وتسعى لإحياء مجدها، وقد كان كل فريق يدرك حقيقة المعركة، فمصطفى صادق الرافعى – وكان من أكبر المدافعين عن الإسلام وتراثه – كان يدرك ويعتقد أن القضية ليست قبعة على الرأس أكثر مما هى طريقة لتربية الرأس المسلم تربية جديدة وليس فيها ركعة ولا سَجدة(١).

وبالرغم من وجود بعض المحاولات للخروج من تلك الحالة الفكرية الراكدة إلا إنها كانت محدودة جدا ولم تحدث الهزة الاجتماعية والفكرية المؤثرة، إلا على إثر الحملة الفرنسية (١٧٩٨) وما تلاها من اتساع نطاق الاحتكاك بالغرب ومدنيته الحديثة التى بلغت فى ذلك الوقت درجة كبيرة من التقدم والنهوض فى مقابل حالة التردى والانحطاط الحضارى التى تعانى منها المجتمعات الإسلامية.

ومنذ نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، بدأت مرحلة جديدة من الصراع والتحدى الحضارى بين الغرب والشرق – الذى كان يقصد به مجتمعات العالم الإسلامى – كان الغرب فيها فى وضع التفوق، ويمتلك المبادرة، أما الشرق فقد كان فى وضع الضعف والانقياد، ومن ثم فقد اتسمت كل ردود الفعل الصادرة منه بسمات ذلك الوضع غير المتكافئ.

وقد تبلورت تلك الردود فى نمطين أساسيين : الأول: هو نمط «الإصلاح المؤسسى» على مستوى الدولة، وأبرز نماذجه مصر في عهد محمد على، أما الثانى: فهو نمط التجديد الفكرى(٢) ومحاولات الإحياء لمواجهة التحدى الغربى بطريقة أكثر جذرية، أدى ذلك إلى الاهتمام بعلوم الغرب الحديثة، بدأ بالعلوم التطبيقية وتطور حتى شمل العلوم الإنسانية فى السياسة والاجتماع والأدب والفلسفة، وحول هذه الاهتمامات نشأت نخبة جديدة ذات ثقافة حديثة مستفادة أساسا من نتاج العقلية الغربية، أدت إلى حالة من الازدواجية الفكرية فى المجتمع، التى استمرت منذ ذلك الحين ، وحتى الآن.

---

(١) المرجع السابق ٢ / ٢٥٤ .

(٢) انظر: طارق البشرى: الصيغ التقليدية والصيغ الحديثة فى التعددية السياسية حالة مصر، ورقة بحثية قدمت لـ (ندوة التعددية السياسية فى الوطن العربى) نظمها مؤتمر الفكر العربى فى عمان ٢٦- ٢٩ / ٣ / ١٩٨٩م.

ويمكن رد أسباب تلك الازدواجية الفكرية إلى محورين رئيسيين.

الأول: هو محور التأخر والانحطاط، **والثاني** : هو محور التحدى الغربى .

أما بالنسبة لمحور التأخر والانحطاط، فقد كان بسبب أبرز سمات الحياة الفكرية التى أدت إليه سمتان الأولى: سمة الجمود [١] الذى انتفت به كل محاولة للتجديد، وسمة الذرية[٢] التى أفقدت العقل المسلم فاعليته وقدرته على امتلاك النظرة الشاملة لمشكلات الحياة، لكن الضغوط التى نجمت عن التحدى الغربى أسهمت فى تحريك تلك الفاعلية من جديد، بحثا عن سبيل للنهوض.

وكان الخيار إما منهج النموذج الغربى المفروض، أو منهج النموذج الإسلامى المعقود، ومن ثم فقد ظلت وضعية التخلف والانحطاط عاملا من عوامل تغذية الانقسام وفقدان التجانس الفكرى وفقا لرؤية كل فريق لسبيل النهوض والتقدم.

وأما بالنسبة (للتحدى الغربى) فلا يمكن تبيين أثره فى تمزيق الحياة الفكرية بعيدا عن تفاعله بكل أبعاده السياسية والثقافية والحضارية مع حالة الانحطاط المشار إليها. فقد اتخذ هذا التفاعل مسالك وقنوات عديدة تم من خلالها ونجم عنها تكريس الازدواجية الفكرية والثقافية، وتشتيت عقول أبناء الأمة فى مرحلة باكرة، ومن أهم تلك المسالك: المؤسسات التعليمية والتربوية الأجنبية، وحركة الترجمة والنشر والصحافة الأجنبية، والبعثات العلمية الأوروبية التى قدمت إلى مصر فى منتصف القرن التاسع عشر، أو التى سافرت إلى أوروبا وبصفة خاصة فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن العشرين.

وكانت سلطة الإدارة الاستعمارية تقوم بدور كبير خاصة فى مجال التعليم ورسم سياسته ،لا لكى يقتصر على تخريج موظفين إداريين حسب كما هو شائع فى معظم الكتابات التى تتناول هذا الموضوع، ولكن إضافة إلى ذلك، لكى يؤدى إلى إعادة تشكيل العقل المسلم على نحو يخدم الأهداف الاستعمارية ضمن الإطار الأكبر، وهو إطار الصراع الحضارى بين الشرق الإسلامى والغرب، فكرومر المعتمد البريطانى يقول

---

(١) انظر : محمد عبده : الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية - بيروت - دار الحداثة ط٣ سنة ١٩٨٨، ص ١٤١، ١٥٦ .

(٢) هذا التعبير لمالك بن نبى: وهو يقصد به نزوع الفرد إلى تجزئة مشكلات الحياة فيتناولها ذرة ذرة، دونما رؤية شاملة فى إطار واحد، انظر: وجهة العالم الإسلامى ص ١٥ والهامش رقم ١ .

صراحة: «فى محاولاتنا الهادفة إلى طبع العقلية الشرقية بعاداتنا الفكرية، يجب أن نتقدم بكل حذر ممكن، وأن نتذكر أن واجبنا الأول هو إقامة نظام يسمح لجمهور السكان بأن يكون محكوما وفقا لقانون الأخلاق المسيحية، ومع تجنب أية حركة للتبشير الرسمى، فإن علاقتنا مع مختلف الأجناس التى تمثل رعايا ملك إنجلترا يجب أن تقوم على أساس الصخرة الجرانيتية التى تمثلها الأخلاق المسيحية»(١).

ولذلك اتجه الاستعمار إلى تجفيف المنابع التى تعمل ضد هذا الخط الذى رسمه «كرومر»، وعلى رأسها الأزهر، وحتى الكتاتيب لم يأل جهدا فى التضييق عليها وإن تظاهر بغير ذلك، وكان يسعى دائما لإخضاع ما أنشئ منها بجهود الأهالى لإشراف نظارة المعارف التى يسيطر عليها وعلى ميزانيتها ممثلو الاحتلال(٢).

وفى المقابل ازدهرت المدارس الأجنبية التى أقامتها الجاليات الأجنبية المقيمة فى مصر، كالفرنسيين والطليان واليونانيين والأرمن، كما ازدهرت المدارس التى أقامتها البعثات والإرساليات التبشيرية المسيحية التى كانت تفد إلى البلاد بانتظام على مدى القرن التاسع عشر، ووصلت ذروتها خلال العقد الثالث من القرن العشرين(٣). وطبقا للإحصاءات التى يوردها أمين سامى باشا فقد كان عدد المدارس التى أنشأتها إرساليات التبشير المسيحية فى مصر يبلغ ضعف عدد المدارس الأميرية سنه ١٨٧٥م، وكان عدد المدارس الابتدائية لتعليم البنات والتى أنشأتها الإرساليات ٢٩ مدرسة، فى حين لم يتعد عدد المدارس النسوية الأميرية ٣ (ثلاث) مدارس فقط(٤).

والأهم من كثرة مؤسسات التعليم الأجنبية أنها كانت بمثابة الأوعية التى يتم فيها

---

(١) حول هذا النص وغيره من النصوص الكثيرة المتعلقة بالفلسفة التى كان كرومر يطبقها فى التعليم فى مصر والشرق عامة، وهى منقولة من تقارير وكتابات كرومر نفسه، انظر أنور عبد الملك – نهضة مصر – القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣، ص ٣٦٤، ٣٦٥ .

(٢) جرجس سلامة ميخائيل: أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر ١٨٨٢ – ١٩٢٢ مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ط ١ سنة ١٩٦٦ ص ١٧٩، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥ .

(٣) قد سبق الحديث عن هذه الإرساليات فى الأحوال الاجتماعية.

(٤) أمين سامى باشا: التعليم فى مصر – القاهرة – مطبعة المعارف سنة ١٩١٧م ص ٣٢، والكتاب يحتوى على إحصائيات التعليم فى القطر المصرى، وفيه معلومات مهمة مثل أن تدريس الإلهيات (العقيدة والدين) اقتصر فقط على المدارس الأجنبية، أما المدارس الأميرية فقد كانت تدرس بها الفنون والصنائع وشتى فروع العلم الأخرى.

تشكيل عقلية قطاع أساسى من أبناء المجتمع، كى يحقق الهدف الاستعمارى فى القضاء على الرؤية الإسلامية، أو يقوم بتطويرها فى مجال التعليم والتربية، فيحقق رؤية أوروبية بدلا منها.

وقد دعم هذا الاتجاه أفواج البعثات الطلابية إلى أوروبا على مدى القرن التاسع عشر، وازداد أوائل القرن العشرين، فبلغ عدد المبعوثين عام ١٩١٤م ٧٥٠ طالبا، وكان عددهم سنة ١٨٧٩ قد بلغ ١٧٢ طالبا فقط، أما فى سنة ١٩٢٠ فقد بلغ عددهم ٨٠٠ طالب فى مختلف العواصم الأوروبية(١).

وعندما تأسست الجامعة المصرية ١٩٠٨م استطاع المستشرقون الذين تولوا التدريس بها منذ نشأتها أن يقوموا بدور أساسى فى إدخال المناهج الغربية للبحث العلمى إلى مصر على نحو مباشر، حيث بلغ عدد الأساتذة المستشرقين الأوروبيين الذين درسوا بالجامعة فى الفترة من ١٩٠٨ - ١٩١٦ حوالى ٣٨ أستاذاً، حاضروا فى علوم التاريخ والإنسانيات والفلسفة وآداب اللغة العربية، وعلم النفس والاقتصاد والجغرافيا(٢). ولطه حسين عبارة دقيقة توجز مجمل تأثيرات مناهج التعليم الحديث فى مصرمن الابتدائى إلى العالى، وهو قوله: «نحن نكون أبناءنا فى مدارسنا الأولى والثانية والعالية تكوينا أوروبيًا لا تشوبه شائبة»(٣).

فى الوقت نفسه كان الأزهر على ضعفه - وما به من أوجه القصور - بمثابة قطب المواجهة إزاء الجامعة العلمانية الجديدة، ثم اتسع نطاق هذه المواجهة مع قيام الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ١٩١٩م، وجرت أول مناظرة بقاعة يورث التذكارية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة بين بعض علماء الأزهر، وبعض المبشرين الأمريكان... وكانت مجلة الفتح الإسلامية تحذر من الدور الذى تقوم به الجامعة الأمريكية فى القاهرة وبيروت وتركيا، فى حين كانت مجلة الهلال العلمانية - ومحررها سلامة موسى - تدافع عن تلك الجامعات خاصة فى مصر(٤).

---

(١) جرجس سلامة : أثر الاحتلال .. ص ١٤٧ .

(٢) انظر خطة الدراسة بالجامعة فى الجدول الذى وضعه أمين سامى : أثر الاحتلال ص ٥٤، ٥٥ .

(٣) طه حسين - مستقبل الثقافة - ١ / ٣٧ .

(٤) انظر صورة من صور الجدل بين الفريقين : مصطفى حسنى الشواء: الجامعات الأمريكية، بمجلة الفتح الأسبوعية، عدد ١٤٨ / ١٦ مايو سنة ١٩٢٩ ص ٩ .

والحاصل أن ازدواجية نظام التعليم وهذا الانتشار الهائل للمدارس الأجنبية فى البلاد، وازدياد البعثات العلمية إلى أوروبا، وما رافقها من حركة ترجمة واسعة للفكر الغربى، وكذلك استخدام المستشرقين للتدريس بالجامعات المصرية، كانت كلها إجراءات تتم تحت وطأة ضغوط التقدم الغربى وتحدياته فى إطار مشاعر الانبهار والدهشة منذ رفاعة الطهطاوى وحتى طه حسين على الأقل، وقد تمخضت تلك التطورات والإجراءات عبر تفاعلات متشابكة ومعقدة عن تبلور نخبة فكرية جديدة لها وزنها إلى جوار نخبة الفكر الإسلامى من رجالات الأزهر وغيرهم، تنطلق أساسا من الإطار المرجعى العام للفكر الغربى، وقدر لها أن تقوم بدور أساسى فى الحياة المصرية بصفة عامة، وفى تشكيل مناخها الثقافى بصفة خاصة خلال النصف الأول من هذا القرن.

وكان لابد لهذا التمزق الفكرى المكرس عبر مسالك عديدة - على النحو السابق بيانه من أن يؤدى إلى تبديد قوى المجتمع وشل فاعليته، إذا لم تعد له « ثقافة واحدة » (١) يرجع تحديد السلوك الاجتماعى إلى معاييرها ومنطلقاتها، ويتم توجيه الفكر والعواطف وفقا لقيمها، ومنها تستمد عقليته وثقافته، وبداخل كل منهما أكثر من تيار، وإن ظلت تيارات كل اتجاه يجمعها إطاره المرجعى الأساسى، إما الغرب، وإما الإسلام، مع الإقرار باختلاف وتغير منظورات ومواقف ومواقع كل تيار داخل كل اتجاه(٢).

الواقع الفكرى إبان ظهور الإمام البنا:

تناول كثير من الباحثين الواقع الفكرى لهذه الفترة بالتحليل والدراسة، لعل أسبقهم د. محمد حسين فى كتابه الاتجاهات الوطنية ، حيث حلل الحياة الفكرية إلى اتجاهين، أحدهما يتجه نحو الغرب، والآخر يتجه نحو الإسلام، ولمح بين الاتجاهين ظهور اتجاه ثالث يتجه نحو التوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية، وتتابعت وجهات النظر بعد ذلك، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ثلاث وجهات نظر هى :

---

(١) يقصد بمفهوم الثقافة « الأفكار وأسلوب الحياة فى مجتمع معين، وكذلك السلوك الاجتماعى الذى يطبع تصرفات الفرد فى ذلك المجتمع » انظر: مالك بن نبى : مشكلة الثقافة - طرابلس - لبنان - إصدار ندوة مالك بن نبى، ص ١١ ويعد هذا التعريف لمالك من أدق وأوضح التعريفات لمفهوم الثقافة. انظر: د. إبراهيم غانم: الفكر السياسى للإمام البنا : ص ٧٥ .

(٢) إبراهيم غانم: الفكر السياسى عند الإمام حسن البنا ص ٧٥ .

أ- حلل د. أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله فى كتابه: «الفكر التربوى وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين» الواقع الفكرى إلى أربعة تيارات أولها: التيار الإسلامى، والثانى : التيار الغربى، والثالث: التيار الإقليمى الذى يتجه نحو مصر الفرعونية، والرابع: التيار القومى العربى الذى يتجه نحو العروبة.

ب- حلل د. عثمان عبد المعز رسلان فى كتابه «التربية السياسية عند الإخوان المسلمين» الواقع الفكرى إلى خمسة تيارات الأربعة السابقة، وزاد عليها تيار التغريب الشيوعى ويقصد به الاتجاه نحو النظرية الشيوعية .

ج- حلل د. إبراهيم بيومى غانم فى كتابه: «الفكر السياسى للإمام البنا» الواقع الفكرى إلى اتجاهين، يشمل كل منهما عدة تيارات الأول: الاتجاه الإسلامى ويشمل ثلاثة تيارات: تيار الفكر الدفاعى، والتيار السلفى، والتيار التجديدى الإصلاحى، والثانى الاتجاه التغريبى، وتشمل ثلاثة تيارات أيضًا: تيار التبشير بالغرب، التيار العلمانى، التيار الليبرالى. فاتفق بذلك مع د. محمد محمد حسين فى تقسيم الواقع الفكرى إلى اتجاهين فقط.

وعلى ذلك فسوف نتناول الحياة الفكرية إبان القرن العشرين عن طريق تناول كل اتجاه من الاتجاهين فى نقاط منها «تعريفه، أفكاره، القضايا التى يثيرها، أنصاره، الكتب التى ظهرت تؤيده»، ثم نتعرض بإيجاز لأوضاع التربية والتعليم فى تلك الفترة، لما لها من أثر قوى على شخصية الفرد والمجتمع وذلك من خلال المباحث الثلاثة التالية.

المبحث الثانى

اتجاه الفكر الإسلامى

تيارات الفكر الإسلامى :

إن الاتجاه الإسلامى فى مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين – وبصورة أكثر تبلورا خلال الربع الثانى منه – قد تمثل فى عدد من الجمعيات والجماعات، وفى عدة تيارات فكرية، كانت تشكل فى مجموعها مجمل النشاط العام للاتجاه الإسلامى فى المجتمع ككل، وكانت تشكل أيضًا جزءا أساسيًا من المناخ الثقافى والفكرى لدى الجزء الآخر الذى تشكله تيارات التغريب، ذلك المناخ الذى كان بمثابة الخلفية العامة التى نشأ ونشط فيها حسن البنا، ولم يكن أى من تلك الجمعيات أو التيارات يمثل بمفرده الاتجاه الإسلامى بالمعنى الشامل، وإنما قام كل تيار وقامت كل جماعة أو جمعية بجزء أو أكثر – فى بعض الحالات – من مهام الاتجاه.

وتيار الفكر الإسلامى قديم قدم الدعوة الإسلامية ذاتها، إلا أننا نهتم هنا بمحاولات التجديد التى ظهرت بعد مرحلة الركود التى أصابت الفكر الإسلامى قبل عصر النهضة، وتعتبر دعوة الموحدين (الدعوة الوهابية) أول محاولة تجديدية فى العصر الحديث للعودة بالإسلام إلى ما كان عليه السلف، متأثرة بخطى ابن تيمية[١]، وقد اعتقدت أن السبب الأوحد لسقوط يالمسلمين هو فساد العقيدة، وأنه لابد من العودة إلى التوحيد الصحيح، وهدم البدع والخرافات، ومن ثم فقد اهتموا بتقوية العقيدة، وبالناحية الخلقية كما حددها الدين، غير أنهم لم ينظروا إلى مشاكل المدنية الحاضرة، ومطالبها، ولم يعملوا على ترقية الحياة العقلية إلا فى دائرة (العلوم الدينية)[٢].

وبعد سقوط الدولة الوهابية الأولى جاء السيد جمال الدين الأفغانى وقدم فكرة الإسلام المجاهد المقاوم للغزو الأجنبى الذائد عن الحوزة الإسلامية فى مواجهة الأطماع الاستعمارية.

---

(١) مالك بن نبى : وجهة العالم الإسلامى، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط١ سنة ١٩٨١م، دار الفكر سوريا ص ٤٣ .

(٢) عثمان رسلان : التربية السياسية عند الإخوان ص ١١٦ .

وكانت أهدافه:

أولاً: تقوية دعائم نظم الحكم الموجودة آنذاك، كيما يعيد بناء التنظيم السياسى فى العالم الإسلامى على أساس (الأخوة الإسلامية) التى بددتها النظم الاستعمارية.

ثانيا: مكافحة المذهب المادى الذى كان يعتقد أنه راجع إلى التأثير الخفى لأفكار الغرب.

ثالثًا: مقاومة النفوذ الأجنبى، وبعث تعاليم القرآن بين الجمهور، وبناء روح الكرامة بين المسلمين، وإشعارهم بحقهم فى الحرية(١).

ثم جاء تلميذه محمد عبده الذى واجه مشكلة الإصلاح بحسبانها مشكلة تربوية بدلا من تناولها من الزاوية السياسية، معتقدا أنه لكى يتحقق الإصلاح يجب أن يبدأ خطواته الأولى من الفرد، ومن ثم فقد نقل حركة العودة إلى الإسلام من عمل سياسى إلى عمل تربوى ثقافى، باعتبار أن التربية هى أساس كل حركة إصلاحية، وأن بناء الأجيال الجديدة هو الذى يحقق النهضة (٢).

وبرغم أن حركة محمد عبده نجحت فى إزالة الركود العقلى إلا أن بعث النهضة الإسلامية ظل لا يكترث بالفاعلية الاجتماعية، بل لم يستطع تغيير النفس الإسلامية، ولا أن يترجم إلى لغة الواقع فكرة الوظيفة الاجتماعية للدين(٣).

وقبل الحرب العالمية الأولى، وفيما بين الحربين - قبل نشأة الإخوان - تبلور هذا الاتجاه فى تلامذة محمد عبده (رشيد رضا، عبدالعزيز جاويش، محب الدين الخطيب،.. وغيرهم) لكنهم قد سلك كل منهم طريقًا - مع آخرين- يختلف عن الآخر فى الرؤية، وفى الأسلوب، وغير ذلك، ومن هنا وجد فى هذا الاتجاه بعض التيارات التى تأخذ على عاتقها نفس هدف الاتجاه، وروحه، ويمكن أن تعد منها ثلاثة اتجاهات رئيسيةً هى :

التيار الأول: تيار الفكر الدفاعى.

التيار الثانى: التيار السلفى.

---

(١) مالك بن نبى : وجهة العالم الإسلامى ص ٤٣ ، ٤٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٦، ٤٧، ٤٨، وانظر: أنور الجندى : اليقظة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار ص ١٣٠، ١٣٥ .

(٣) مالك بن نبى : وجهة العالم الإسلامى ص ٥٥ .

التيار الثالث : التيار التجديدى الإسلامى .

ونعرض لهذه التيارات الثلاثة – بإيجاز – من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول

تيار الفكر الدفاعى

ويقصد به مجموعة من العلماء الذين كرسوا نشاطهم – أو معظمه – لمهمة الدفاع عن الإسلام بإظهار حقائقه، ورد الاتهامات التى توجه إليه، والشبهات التى تثار حوله، والأباطيل التى تلتصق به، وكذلك القيام بدحض الحجج التى يستند إليها خصومه من دوائر الاستشراق والتبشير والاستعمار ودعاة التغريب فى توجيه افتراءاتهم. ويمثل هذا التيار فريقان :[١] **الأول** : رأى أن أفضل أسلوب للدفاع هو استخدام نتاج الفكر الغربى – الذى يستخدم فى الهجوم بشكل أو بآخر – وبخاصة فى مجال العلوم العصرية، وكان من أبرز ممثلى هذا الفريق الشيخ طنطاوى جوهرى[٢]، والشيخ رضوان شافعى المتعافى،[٣] ومحمد فريد وجدى[٤]. وقد كانوا متأثرين بمنهج الإمام محمد عبده، بيد أنهم توسعوا فى اللجوء إلى الأفكار والفلسفات الغربية. وكان محمد فريد وجدى

---

(١) يقدم محمد محمد حسين عرضا مفصلا لآراء وأفكار الفريقين من خلال الشيخ طنطاوى جوهرى كممثل للفريق الأول، والشيخ مصطفى صبرى كممثل للفريق الثانى، انظر كتابه : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ٢ /٣١٨، ٣٣١ .

(٢) الشيخ طنطاوى جوهرى ولد سنة ١٢٨٧هـ – ١٨٧٠م عمل أستاذاً بدار العلوم لفترة طويلة، وكان ذائع الصيت ، لقب بحكيم الإسلام، وقيل عنه أن علمه لا ينحصر فى دائرة محدودة، له اهتمامات ومؤلفات عديدة ومتنوعة، أهمها تفسيره للقرآن المعروف « بالجواهر » أسندت إليه رئاسة تحرير مجلة « الإخوان المسلمين » الأسبوعية، توفى سنة ١٣٥٨هـ – ١٩٤٠م انظر لمزيد من التفصيل حول حياة وأعمال الشيخ طنطاوى جوهرى : محمد عبد الجواد : تقويم دار العلوم، ١٩٢، ١٩٦ .

(٣) كان من علماء مدرسة القضاء الشرعى ودار العلوم، وله كتاب بين فيه ما فى القرآن والشريعة الإسلامية من النظريات العلمية الجديدة، وناقش قضايا من قبيل « هل فى القران الكريم نظريات علمية؟ » ومن قبيل كيفية استخدام نظريات علم الطبيعة فى الأحكام الشرعية، وغيرها من موضوعات، مثل الحريات والأخلاق والعدالة، والمرأة ... إلخ انظر كتابه : التوفيق العلمى بين الحضارة والإسلام، القاهرة : المطبعة السلفية ومكتبتها ط٢ سنة ١٣٥٤هـ ص ١٤، ٦٤ .

(٤) محمد فريد وجدى : من الكتّاب الفضلاء ولد ونشا بالإسكندرية وأقام زمنا فى دمياط وسكن القاهرة وعمل فى وظيفة صغيرة بديوان الأوقاف أنشا بعدها مطبعة أصدر بها جريدة الدستور اليومية ثم الوجديات وهى شبه مجلة اسبوعية، من أهم مؤلفاته « دائرة معارف القرن العشرين » فى عشر مجلدات وكتاب المرأة المسلمة فى الرد على المرأة الجديدة لقاسم أمين وكتاب الإسلام فى عصر العلم وتوفى بالقاهرة عام ١٩٥٤م .

أكثرهم توسعًا لدرجة أن كثرة اعتماده على فلسفات الغرب جنحت به بعيدا عن بعض العقائد الإسلامية دون أن يدرى، مما جعل د. محمد محمد حسين يحمل عليه بشدة فى كتاباته لا للتشكيك فى نيته، ولكن للتحذير من التمادى فى هذا الاتجاه(١).

وعادة ما ينظر إلى ممثلى هذا الفريق باعتبارهم معبرين عما يسمى «بالتيار التوفيقى» ويشار بصفة خاصة إلى الإمام محمد عبده، والشيخ طنطاوى جوهرى، حيث يؤكد البعض(٢) أن توفيقية محمد عبده حاولت الجمع بين الإسلام والغرب فى صيغة تصالحية واحدة ويبدو أن هذا التأكيد قد جانبه الصواب، إذ أن جهود الإمام محمد عبده ومن نهج منهجه فى الدفاع عن الإسلام لم تنطلق من محاولة «التوفيق» بالمعنى المشار إليه، وإنما انطلقت من محاولة «استيعاب» منجزات الفكر الغربى، واستخدامها كأداة للدفاع والذود عن الإسلام ضمن سياق الظروف التى شهدتها مرحلتهم، وعلى ضوء خصائص وطبيعة الجهات التى وجهوا إليها خطابهم الدفاعى(٣).

أما الفريق الثانى: فقد رأى أن أفضل السبل للدفاع عن الإسلام هو اللجوء إلى الإسلام ذاته، وإلى ما يمكن إعادة تقديمه واستخدامه من التراث الإسلامى، وخاصة فى عصور ازدهار الحضارة الإسلامية، ومن ثم فقد انصرف رواد هذا الفريق عن استخدام الفكر الغربى كأداة للدفاع عن الإسلام، «ونظروا إليه بمختلف صوره وأساليبه نظرة عدائية»(٤) ومن أبرز رموز هذا الفريق الشيخ مصطفى صبرى(٥)،

(١) د. إبراهيم غانم : الفكر السياسى عند الإمام حسن البنا ص ٨٧، هامش ٣ حيث أحال القارئ إلى كتاب : W.C Smith, Islam in Modern History prencton (1959).

(٢) د. محمد جابر الأنصارى: تحولات الفكر والسياسة فى الشرق العربى ١٩٣٠، ١٩٧٠م ص ١٧ الكويت: سلسلة ثقافية يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون.

(٣) د. إبراهيم البيومى غانم : الفكر السياسى للإمام حسن البنا ص ٨٨.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر: محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية ٢ /٢١٨، ٣٢٦ .

(٥) غادر الشيخ مصطفى صبرى الأستانة فرارًا من الكماليين قبيل استيلائهم عليها سنه ١٩٣٢. فحضر إلى مصر، ثم انتقل إلى ضيافة الملك حسين فى الحجاز، ثم عاد إلى مصر حيث احتدم النقاش بينه وبين المتعصبين لمصطفى كمال، فسافر إلى لبنان، وطبع هناك كتابه «النكير على منكرى النعمة» ثم سافر إلى روسيا ثم إلى اليونان، حيث أصدر جريدة «بارن» ومعناها «الغد» وظل يصدرها نحو خمس سنوات حتى أخرجته الحكومة اليونانية بناء على طلب الكماليين، فاستقر فى مصر إلى أن توفى بها سنة ١٩٥٤م وقد بدأ مصطفى صبرى نشاطه السياسى بعد إعلان الدستور الثانى سنة ١٩٠٨م إذا انتخب وقتذاك نائباً عن بلدته «توقاد» فى الأناضول، فبرز اسمه وقتذاك لمقدرته الخطابية، ولم يلبث حين تبين سوء نية الاتحاديين أن انضم إلى الحزب الذى تألف من الترك والعرب والأرددام الذين يعارضون النزعة الطورانية=

والشيخ محمد الخضر حسين[1]. والدكتور محمد أحمد الغمراوى[2]. وقد كان من شأن المنهج الذى اتبعوه أن ينشط العودة إلى الأصول والتراث وأن يمهد للقيام بجهود هدفها تخليص التراث مما شابه من أفكار بالية وممارسات خاطئة ترجع إلى عصور الانحطاط.

المطلب الثانى
التيار السلفى

وهذا يصعب تحديده بدقة نظرا للاستخدامات المتعددة والمختلفة لمفهوم «السلفية» لدى من يتناولون هذا الموضوع، ودون الدخول فى تفاصيل المعانى المختلفة لهذا المفهوم فإنه يمكن التمييز بين ثلاثة مستويات له على الأقل:

= التى اتسم بها الاتحاديون وقتذاك، وكان نائبًا لرئيس هذا الحزب المعارض ولما استفحل نفوذ الاتحاديين فر من اضطهادهم سنة ١٩١٣ فاقام فى مصر مدة ثم تنقل فى بلاد أوروبا حتى عاد إلى الأستانة مقبوضًا عليه عند دخول الجيوش التركية إلى بوخارست فى الحرب العالمية، حيث كان يقيم لاجئًا إليها وقتذاك، وقد ظل معتقلا بها إلى أن انتهت الحرب بهزيمة تركيا.وفرار زعماء الاتحاديين، فعاد إلى نشاطه السياسى فى الأستانة وعين شيخًا للإسلام وعضوا فى مجلس الشيوخ العثمانى ونائبا عن الصدر الأعظم فى رياسة الوزارة أثناء غيابه فى أوروبا بالمفاوضات، وظل فى منصبه إلى أن استولى الكماليون على العاصمة ففر إلى مصر، انظر د. محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية جـ٢ /٣٢٧، ٣٢٨ والهامش. وقال إنه سمع هذه القصة من إبراهيم صبرى، نجل الشيخ مصطفى صبرى.

(١) كان الشيخ محمد الخضر حسين رئيسًا لجميعة الهداية الإسلامية، وصار شيخا للأزهر فيما بعد، وله كتابات تدافع عن الإسلام دفاعًا مجيدًا، منها كتابه الشهير «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق» ومنها أيضًا كتيب بعنوان العظمة: المطبعة السلفية بمصر عام ١٣٤٦ هـ وهو يرد فيه على مقالة أخرى لعلى عبد الرازق، كان نشرها فى جريدة السياسة «صحيفة حزب الأحرار الدستوريين» بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١٣٤٦هـ بمناسبة المولد النبوى وغمز فيها شخصية الرسول ﷺ فتولى الشيخ الخضر الرد عليه، وتفنيد ما ذهب إليه، انظر الشيخ الخضر: العظمة (القاهرة: المطبعة السلفية ص ١٣، ١٧، ارجع إلى د. إبراهيم غانم الفكر السياسى عند الإمام البنا ص ٨٨ هامش ٣.

(٢) كان الدكتور الغمراوى مدرساً بكلية الطب بالجامعة المصرية وأحد مؤسسى جمعية الشبان المسلمين، وله كتاب مشهور فى الرد على طه حسين فى كتابه الشعر الجاهلى وقد وضع برنامجًا مفصلا لكيفية تربية النشء الإسلامى للدفاع عن الإسلام قال فيه: «إن خير طريق لإكساب الناشىء المسلم المقدرة على الدفاع عن الإسلام يتضمن الآتى: أولا: قراءة حصة يسيرة من القرآن كل يوم، ثانيًا: دراسة السيرة النبوية، ثالثًا: دراسة تاريخ الخلفاء الراشدين وخصوصا ما اتصل منه بالحروب والفتوح، انظر التفاصيل د. محمد أحمد الغمراوى، الطريقة المثلى للمحافظة على كرامة الإسلام، دعاية الطاعنين عليه (القاهرة: المطبعة السلفية – ١٣٥٧هـ) ص ١٦، ١٨ .

الأول: هو السلفية كمفهوم، وغالبا ما تطلق ويراد بها الاتجاه الإسلامى عامة(١).

والثانى: هو السلفية كحركة ومنهج إسلامى(٢)، وغالبا ما يقصد بها الحركات الإصلاحية التى نشطت خلال القرن التاسع عشر، كالوهابية، والسنوسية.

أما الثالث: فهو السلفية كتيار فكرى، وتعنى – وهو المقصود هنا – إعادة تقديم فكر السلف الصالح فى فهمهم للإسلام وفى نمط حياتهم والتمسك به، ودعوة الناس إلى ذلك باعتبار أن هذا هو سبيل النجاة، حيث يكون محور النشاط هو تنقية الإسلام مما ألحق به من البدع والخرافات وأنواع الشرك المختلفة على النحو الذى يؤدى إلى تصحيح العقيدة لتصبح كعقيدة السلف الصالح، وكذلك استقامة السلوك ونمط الحياة ليتفق مع نمط حياة ذلك السلف.

وقد بدأ هذا التيار بالمعنى الموضح آنفا بصورة جلية من خلال بعض الجمعيات والجماعات الإسلامية، ومن أهمها الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة بقيادة الشيخ خطاب السبكى، وجماعة أنصار السنة المحمدية التى أسسها الشيخ محمد حامد الفقى ، وقد تأثر سلفية محمد بن عبد الوهاب(١١١٥هـ – ١٢٠٦ هـ = ١٧٠٣ – ١٧٩١م).

ولما كان التيار السلفى مرتبطًا بنمط تفكير وحياة السلف على النحو المشار إليه، فقد دعمت عملية إعادة طبع ونشر كتب السلف نشاط هذا التيار، ففى الفترة الممتدة من ١٩٠٠ إلى ١٩٤٠ تمت إعادة طبع ونشر عدد كبير من كتب السلف من مختلف العصور والبلدان، وفى شتى المجالات، كالتفسير والحديث والفقه وأصول الدين، والعقائد والفرق والتصوف... إلخ، ومن الأمور ذات الدلالة أنه خلال تلك الفترة وخاصة من ١٩٠٠ إلى ١٩٢٥ أعيد طبع ونشر كتب ورسائل الإمام أحمد بن تيمية من خلال «مطبعة المنار» أو «المطبعة السلفية» غالبا، وبتحقيقات وتمهيدات لشخصيات سلفية أمثال الشيخ: محمد حامد الفقى والشيخ محمد منير الدمشقى، وغيرهما، وكذلك بالنسبة لكتب ابن القيم وابن الجوزى وأمثالهما من أعلام السلف ، واحتلت الكتب التى توجه النقد للممارسات الصوفية، مكانةً ملحوظة فى حركة إعادة الطبع

(١) انظر على سبيل المثال هشام شرابى: مقدمات لدراسة المجتمع العربى ص ١٢٠، ١٢٧ بيروت الدار المتحدة للنشر ط ٣ ، ١٩٨٤م.

(٢) محمد فتحى عثمان: السلفية فى المجتمعات المعاصرة: الكويت دار القلم ط٢، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.

والنشر إلى جانب كتب العقيدة وأصول الدين(١).

المطلب الثالث

التيار التجديدى الإسلامى

أ- اختلاف هذا التيار عن التيارين السابقين:

ويقصد به تلك الجهود التى وجهت أساسا لإصلاح الفكر الإسلامى وتصحيح النظر إلى التراث وما يترتب عليه من ممارسات فى الحياة اليومية بهدف شحذ الفاعلية الإسلامية لتصبح قادرة على القيام بأعباء النهضة ورد التحدى الغربى .

ويرى بعض الباحثين أن هذا التيار - التجديدى أو الإصلاحى - لا يمثل تيارا مستقلا عن التيارين وإنما - هو فى رأيهم - عبارة عن خلاصة جهودهما الموجهة لغرض الإصلاح بطريقة مباشرة أو غير مباشرة(٢)، ويرى أن خلاصة جهود هذا التيار قد انطلقت من أن كل محاولة لإعادة بناء حضارة الإسلام ونهضة المسلمين لابد أن تقوم على أساس «سيادة الفقه الخالص على الواقع السائد»(٣) ولاشك أن هذا يقتضى رجوعاً إلى الإسلام فى منابعه الأصلية بعد تخليصها مما شابها من أفكار وممارسات خاطئة(٤).

وتبنى الباحث وجهة نظر مالك بن نبى الذى يمتد بجذور هذا التيار فى الضمير المسلم إلى عصر ابن تيمية على الأقل، ثم كانت تتواصل - دون انقطاع - بعد ذلك فى جهود زعمائه فى مناطق متفرقة من العالم الإسلامى(٥).

ومن خلال وجهة النظر السابقة فإن هذا التيار يختلف عن التيارين السابقين فى أنه يستشعر وجود الغرب، وما يمثله من تحديات سياسية وفكرية وحضارية بصورة أكثر إلحاحا من (التيار السلفى) بصورة أكثر إيجابية من تيار (الفكر الدفاعى) ويظهر هذا

---

(١) د. إبراهيم بيومى غانم: الفكر السياسى ص ٩٠ وذكر الباحث أنه توصل إلى تلك الملاحظات من خلال استقرائه لعناوين الكتب التى نشرت فى مصر فى الفترة من ١٩٠٠ إلى ١٩٤٠ انظر عايدة إبراهيم نصير: فهرس الكتب العربية التى نشرت فى مصر بين عامى ١٩٠٠ - ١٩٢٥ القاهرة ١٩٨٣، وانظر عايدة إبراهيم نصير: فهرس الكتب العربية التى نشرت فى مصر بين عامى ١٩٢٥ - ١٩٤٠، القاهرة ١٩٨٠ .

(٢) رأى د. إبراهيم البيومى غانم : انظر الفكر السياسى عند حسن البنا ص ٩٠ .

(٣) مالك بن نبى: وجهة العالم الإسلامى ص ٦٥ .

(٤) د. إبراهيم غانم : الفكر السياسى ص ٩٠ .

(٥) انظر وجهة النظر هذه والمنطق الذى تستند إليه عند مالك بن نبى، وجهة العالم الإسلامى ص ٤٩ وما بعدها.

فى محاولة الشيخ محمد عبده لإصلاح الأزهر، وفى محاولة رشيد رضا رد كثير من منجزات الغرب إلى أصول إسلامية، ثم فى محاولات حسن البنا لاستيعاب تلك الجهود وطرح تصورات إضافية تصب فى نفس الاتجاه.

ب- التشابه بين دعوة البنا ودعوة سابقيه (الأفغاني ومحمد عبده):

ورغم تميز فكر حسن البنا ودعوته إلا أن التشابه كان موجودا بينه وبين كثير من دعاة الإصلاح السابقين، خاصة الأفغانى حيث كان الإخوان يحسون بهذا التقارب الشديد بين البنا والأفغانى، وكان كثير منهم يعتبرونه «الأب الروحى» لحركتهم، وكان البنا يقرن بالأفغانى أكثر مما يقرن بغيره[1]. وواضح أن الشعور بهذا التقارب من الأفغانى والالتقاء معه ساد الإخوان نظرا لما ارتبط بذكر الأفغانى من إيجابية فى العمل وفعالية، وقد بين «كانتوبل سميث» أهمية الحركات الأخيرة التى قام بها هذا المدافع المتأجج عن الدين ضد الفساد الداخلى والاعتداء الخارجى[2].

أما عن علاقة البنا بمدرسة محمد عبده فقد كانت قديمة، حيث كان والد حسن البنا تلميذا لمحمد عبده، وأن البنا ذاته كان يقبل فى باكورة حياته على قراءة مجلة المنار[3]، حتى نحا فى أسلوبه الصحفى فى صباه منحى أسلوبها، وأنه ذهب يبحث أثناء دراسته فى القاهرة عمن أعجب بهم من حوارى الإمام، من أمثال فريد وجدى وأحمد تيمور، ومن هذا القبيل أيضا صلته الوثيقة بتلميذ آخر من تلامذة محمد عبده وهو شيخ الأزهر المشهور مصطفى المراغى[4].

وإن مما يعبر عن أصالة وعمق علاقة حسن البنا بمدرسة محمد عبده، قائمة أسماء الكتب التى كانت توزع على معلمى الإخوان لتوجيههم حتى يعدوا أنفسهم لخلق جيل جديد من (الشباب المسلم) من بين تلامذتهم، فقد ورد فى هذه القائمة تحت عنوان القراءات القرآنية، تفسير المنار، قبل تفسير ابن كثير، وهو التفسير الغالب تفضيله، ثم لم يرد أى مؤلف آخر سوى تفسير الفاتحة لحسن البنا، كم احتلت رسالة التوحيد للشيخ

---

(١) انظر: مجلة الدعوة ٦ فبراير ١٩٥١م ص ١٣، وانظر محمد شوقى زكى: الإخوان والمجتمع المصرى ص ٣٢٢.

(٢) ميتشل: الإخوان المسلمون ص ٤٩٣، ونقل كلام سميث من كتابه: الإسلام فى التاريخ الحديث ص١٥.

(٣) مجلة المنار أصدرها رشيد رضا وهو يعد تلميذ الشيخ محمد عبده.

(٤) ريتشارد ميتشل: الإخوان المسلمون ص ٤٩٣، ٤٩٤.

محمد عبده مكان الصدارة بين عدد محدود من المؤلفات (للبنا والغزالى) فى قائمة الدراسات العامة للعقيدة[١].

ويمكن أن نقول إن صلة حسن البنا الفكرية بمدرسة محمد عبده قد انعكست فى مواقفهما من بعض الأمور العامة الرئيسية، فكان مما توافقت فيه الآراء بذل الجهد لتبسيط الإسلام لمعتنقيه، وقصره على الضرورى والأساسى منه، بحيث يقضى على تلك الخلافات المهلكة التى باعدت بين فرقه ومذاهبه، كذلك اعتقدت المدرستان أنه لا يمكن أن يحدث تغيير فى ظاهر المجتمع الإسلامى دون أن تتغير عقلية المسلمين، ولا يمكن أن يتحقق تقدم فعلى دون إصلاح تربوى، وأخيرا رأت المدرستان - وربما كان ذلك أهم مما عداه - أن يكون الإصلاح من ذات الإسلام، نابعًا من صميم تعاليمه متمشيًا مع أوامره ومنطق حركته[٢].

ج- بعض الفوارق بين البنا وسابقيه (الأفغانى ومحمد عبده) :

وهذا التشابه بين الدعوتين - دعوة البنا، ودعوة محمد عبده - لا يعنى عدم وجود بعض الفوارق بينهما، حيث كان أهم الفوارق بينهما فى التجديد هو الروح التى أوحت بأفكار الإخوان وحالاتهم الفكرية، وقد قال فى ذلك أحد الإخوان: «إن رسالتنا تعنى بالجهاد والكفاح والعمل... إنها ليست رسالة فلسفية»[٣] وهكذا انعكس تفضيل العمل على الفكرة بتفضيلهم كلمة «منهاج» على كلمة «فكرة» حين وصفوا عقيدتهم[٤]، وهكذا كانت شخصية حسن البنا.

ويرى د. الطاهر أحمد مكى فارقا مهما بين شخصية جمال الدين الأفغانى وتلميذه محمد عبده وبين شخصية حسن البنا، مما أثر ولا شك على دعوة كل منهم يقول: «إن حسن البنا داعية إسلامى من طراز فريد، عبقرى، وفذ، وعالم، ومخطط مجدد، ورجل دين، خطيب مؤثر، ومحدث مقنع، وداعية يبشر بنظام إسلامى، يجمع إلى شجاعة

---

(١) رأى ريتشارد ميتشل، المرجع السابق ص ٤٩٤؛ ٤٩٥، ونقل تلك القائمة من البرنامج الثقافى المعنى للمدرسة (١٩٥٢).

(٢) ريتشارد ميتشل: الإخوان المسلمون ص ٤٩٥ .

(٣) أنس الحجاجى : الرجل الذى أشعل الثورة ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) ريتشارد ميتشل: الإخوان المسلمون ص ٤٩٨ .

جمال الدين، وتطور فكر الإمام محمد عبده قدرة فائقة على التنظيم لم تكن لأى منهما»(١).

وعلى ذلك فإن الفارق فى الفهم والعمل، والفارق فى الشخصية، جعل البعض يرى أن الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا(٢)، يمثلون مرحلة لدعوة الإسلام، لم تتجاوز أن تكون حركتهم تعبيرا عن رغبة فى الإصلاح، أو محاولة لم تستطع أن تنظم جهودا عملية ترمى إلى سيادة مبادئ الإسلام فى الحكم والسياسة والاجتماع، أما مرحلة حسن البنا فتمثل - عندهم - مرحلة الإعداد الجاد لعمل عظيم محدد المراحل والخطوات، ومرحلة التقويم والتثقيف لما اعوج من حركة محمد عبده والأفغانى ورضا، مما لا يكاد يرى إلا بمجهر دقيق، ولما اعوج من حركة غيرهم كعبد العزيز جاويش ومن نهجوا طريقه أو أوغلوا فى الخطأ فكان انحرافهم بينًا(٣).

ويرى الدكتور محمد عمارة فارقًا آخر وهو تأسيس الإمام الشهيد حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين كأول تنظيم جماهيرى لتيار الإحياء والتجديد الإسلامى فى العصر الحديث يقول: وأمام تصاعد التحديات وعموم البلوى جاءت اللحظة التاريخية التى استدعت إشراك «الأمة» وليس فقط «الصفوة» فى هذا الصراع الحضارى الذى أخذ يهدد «هوية الأمة» بالمسخ والنسخ والتشويه، وعند هذه اللحظة التاريخية التى أثمرت قيام جماعة الإخوان المسلمين تجاوزت الدعوة إلى «الصفوة» والنخبة... والعلماء... والقادة... حيث استدعت الصفوة والأمة من خلال التنظيمات الإسلامية الجماهيرية لتبنى الدعوة إلى الإسلام منهاجًا شاملا لكل ميادين النهضة والتقدم والتجديد والتغيير(٤).

تلك كانت بعض نقاط التماس والتوافق وبعض الفوارق والتمايز بين دعوة الإمام البنا، ودعوة سابقيه «السيد جمال الأفغانى والشيخ محمد عبده».

---

(١) مجلة الهلال: مايو ١٩٧٧م ص ٤٠، ٤١.

(٢) رشيد رضا عالم سورى الأصل، سكن القاهرة واستقر بها وهو من أنجب تلاميذ الشيخ محمد عبده، وهو صاحب مجلة «المنار» مات عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م.

(٣) أ/ عبد المتعال الجابرى: لماذا اغتيل الإمام الشهيد؟ ص ٢٣.

(٤) د. محمد عمارة: هل الإسلام هو الحل؟ لماذا وكيف؟ ص ٣٤.

أما علاقة الإمام حسن البنا بزعماء وأعلام التيار الإسلامى المعاصرين له فنتعرض لها بإيجاز وذلك على النحو التالى :

المطلب الرابع
روافد أخرى للفكر الإسلامى

لا ينكر أحد أن الطرق الصوفية في مصر قامت بدور مهم في مواجهة الاستعمار (الحملة الفرنسية، والاحتلال البريطانى) إبان ثورة عرابى، شأنها شأن غيرها من الطرق الصوفية فى أنحاء العالم الإسلامى، وقد شهدت الطرق فى مصر ازدهارا ملحوظا أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مما دفع السلطة الخديوية مؤيدة من الاحتلال إلى إصدار أول لائحة تنظيمية للطرق الصوفية – صدرت فى ربيع الأول سنة ١٣٢١هـ – ٢ يونيه ١٩٠٣م – وهذه اللائحة أخضعت الطرق بحكم القانون للسلطة السياسية، وكان هذا عاملا إضافيًا لسلبيتها وعزلها عن الحياة العامة، شأنها شأن الأزهر الذى أخضع لإجراءات مماثلة مع الفارق بينهما بالطبع[١] .

وقد بدأت الجمعيات الإسلامية فى الظهور قبيل الحرب العالمية الأولى (مثل الجمعية الشرعية، وجمعية مكارم الأخلاق الإسلامية)، وازداد عددها بصورة ملحوظة فى الفترة التى أعقبت الحرب وخاصة خلال العشرينيات، وأهمها جمعية أنصار السنة المحمدية، وجمعية الشباب المسلمين، وقدر عدد الجمعيات الإسلامية التى كانت موجودة فى مصر عام ١٣٦٦ هـ – ١٩٤٧م بحوالى مائة وخمس وثلاثين جمعية لم ينشأ منها بعد نشأة جماعة الإخوان المسلمين(١٣٤٧ هـ – ١٩٢٨م) إلا عدد محدود.

ويرى البعض أن هذه الجمعيات نشأت نتيجة ضعف الأمة الإسلامية وانتشار الفساد الخلقى فى المجتمع، واتجاه الحكام المسلمين إلى تقاليد الغرب، ولذلك فقد تعددت مناهجها، فمنها ما توجه نحو المعونة والمواساة، ومنها ما توجه إلى إعانة الفقراء والمساكين، كجمعية العروة الوثقى، والجمعية الخيرية الإسلامية، أما ما عدا ذلك من الجمعيات فإن منهجها إلقاء العظات والنصائح والإرشادات الدينية، ما عدا « الإخوان المسلمون »، فقد كان لهم منهج آخر[٢] .

---

(١) إبراهيم غانم : الفكر السياسى ص ٩٢ الهامش رقم ٢ .

(٢) جريدة الإخوان المسلمون العدد السابق ٢٦ مايو ١٩٣٦م، مقال بعنوان الجمعيات الدينية فى مصر، أسباب إنشائها – منهجها فى الدعوة .

ويرى البعض الآخر أن تلك الجمعيات - من حيث أسباب قيامها ومجالات اهتمامها ومن حيث سلوكيات أعضائها وألوان نشاطها - كانت تسعى - فى مجملها - لأن تعبر التعبير العملى عن التمسك بالهوية الإسلامية فى العقيدة، وطريقة التفكير ونمط الحياة اليومية بصفة عامة، وذلك فى مواجهة موجات الدعاية لتقليد الغرب واقتفاء أثره فى كل شئ بحجة العمل على اللحاق به وإحراز التقدم، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فقد كان بعضها منذ نشأته (كالجمعية الشرعية، وأنصار السنة، والشبان المسلمين) يتمتع بدرجة أو بأخرى من «التنظيم» والنشاط «الحركى» فى المجتمع وإن كان محدودا فى إطار قضايا محدودة، وفى أوساط فئات اجتماعية بعينها، ليس منها الطلبة ولا المثقفون بصفة عامة، وكانت جهود تلك الجمعيات غالبا ما تصب فى اتجاه هدف إصلاح تدين الفرد المسلم دونما وجود تصور متكامل لإصلاح المجتمع، وقد أدت سمة «الجزئية» التى طبعت اهتمام كل منها إلى وقوع الفرقة[1] فيما بينها، ونشوب الخلافات الكلامية التى كانت تؤدى بدورها إلى تكريس طابع الاهتمام الجزئى بالإسلام[2].

ورغم جهود التيارات الفكرية السابقة فى مجالات تجديد وبعث الفكر الإسلامى ورغم جهود الجمعيات الإسلامية على اختلافها وتعددها فى السعى لتقديم نماذج عملية لتطبيق المنهج الإسلامى فى الحياة اليومية، فقد ظلت بعض القضايا الحاسمة فى مسيرة الاتجاه الإسلامى كله خلال تلك الفترة إما غائبة (كقضية الجهاد) وإما دون إجابة محددة وتصور كامل كقضية الفهم الشامل للإسلام ودوره فى الحياة الاجتماعية، وقضية الوحدة، وبعبارة واحدة ظلت فاعلية المسلم إزاء قضايا وتحديات العصر، غير مستكملة، فإذا أضيف إلى ذلك أن الطرق الصوفية فى مصر - فى تلك الفترة - كانت من خلال ممارستها تضفى مزيدا من السلبية على أتباعها، وتعزلهم عن الحياة العامة شيئًا فشيئًا، فسوف يتضح أن مهمة استيعاب قضايا تلك الفاعلية وطرحها ضمن إطار نظرى متماسك، وإطار حركى منظم ليست بالمهمة الميسرة، خاصة فى ظل وجود نشاط جماعات الاتجاه الآخر وهو اتجاه التغريب.

---

(١) زكريا سليمان بيومى: الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية (١٩٢٨ - ١٩٤٨) القاهرة مكتبة وهبة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م ص ٢٥٥، ٢٥٦ .

(٢) إبراهيم غانم : الفكر السياسى ص ٩١، ٩٢ .

المبحث الثالث

الاتجاه التغريبى أو «اتجاه الفكر التغريبى»

تيارات الفكر التغريبى:

يعنى الفكر التغريبى عند أصحابه: ضرورة جعل الغرب الحضارى هو المنبع الرئيسى الذى يجب أن تعب منه الثقافة العربية، ولا نبع سواه[١].

واختلف الناس فى تسميته، فالبعض[٢] يسميه تيار التغريب، من الرباعى غرّب، والبعض[٣] يرى أن الأفضل تسميته (المحدثون) لما للأحداث من تداعيات ترتبط بمفهوم «البدعة»، وهى بذورها مفهوم يرتبط أساسًا بإحداث أمور من شأنها تخريب العقيدة الصحيحة للمسلمين سواء فى مجال العقائد والأفكار، أو فى مجال الاختراعات والتكنولوجيا الحديثة. وبعيداً عن اختلاف الألفاظ، فإن المقصود أن هذا التيار مناقض تمامًا للتيار الإسلامى فى اهتماماته، وميوله ونظرته للمجتمع، ومصادر الثقافة، وغير ذلك، ويجسد سلامة موسى - أحد دعاة هذا الاتجاه - هذا التيار بقوله: «كلما زادت معرفتى بالشرق زادت كراهيتى له، وشعورى بأنه غريب عنى، وكلما زادت معرفتى بأوروبا زاد حبى لها، وتعلقى بها، وزاد شعورى بأنها منى، وأنا منها»[٤].

وقد تسرب هذا التيار إلى مصر عبر منافذ عديدة غير الاستعمار، منها:

١- مدارس الإرساليات الأجنبية، التى سارت وفق نظم التعليم الغربية وعملت على نشر الثقافة الغربية، وبناء جيل من الأمة له ولاء وتبعية لهذه الثقافة[٥].

٢- المصريون الذين تلقوا تعليمهم بالخارج، وتأثروا بالثقافة الأجنبية ودعوتهم إلى

---

(١) عثمان رسلان: التربية السياسية ص ١١٨.

(٢) د. عثمان رسلان، التربية السياسية ص ١١٨، وما بعدها.

(٣) ذكر هذا المصطلح د. إبراهيم غانم: الفكر السياسى ص ٩٣، ٩٤، ويرى أنه أفضل تعريب لكلمة Westernis.

(٤) سلامة موسى: اليوم والغد، المطبعة العربية، القاهرة ١٩٢٧، ص٧.

(٥) أنور الجندى: التربية وبناء الأجيال فى ضوء الإسلام: دار الكتاب اللبنانى بيروت سنة ١٩٨٢م، ص ٣١، ٣٢.

تبنيها باعتبارها المنهج السليم للرقى والنجاح، وأبرزهم سلامة موسى، وعلى عبد الرازق، وطه حسين.

أما سلامة موسى: فقد أصدر عام ١٩٢٧م كتاب (اليوم والغد) ويحدد أهدافه في: حرية المرأة، كما يفهمها الأوروبى، أن يكون الأدب ٩٩٪ أوروبيًا، أن تكون ثقافتنا وتعليمنا أوروبيًا لا سلطان للدين عليه، أن تكون الحكومة كما هى فى أوروبا، وأن يعاقب كل من يحاول أن يجعلها دينية، وأن يبطل شريعة الإسلام فى الزواج والطلاق - بحيث يعاقب بالسجن كل من يتزوج أكثر من امرأة ويمنع الطلاق إلا بحكم محكمة[١].

وأما على عبد الرازق: فقد خرج على الناس بكتاب: الإسلام وأصول الحكم - صدر عام ١٩٢٥ - وأنكر فيه أن تكون الخلافة أو القضاء أو وظائف الحكم والدولة جميعًا من الدين فى شيء، وقد روج هذا الكتاب للفكر العلمانى وعبّد له الطريق[٢].

أما طه حسين فى كتابه: «مستقبل الثقافة فى مصر» صدر عام ١٩٣٨م فقد كان يدعو إلى عدة أصول منها[٣]:

أ - حمل مصر على تبنى الحضارة الغربية وطبعها بها.

ب- إقامة الوطنية وشئون الحكم على أساس مدنى لا دينى[٤].

ج- الجامعة المصرية، حيث كانت فكرتها تدعيم هذا التيار وتقوم على العلمانية - ضد الدين - ويذكر الإمام حسن البنا أن البحث العلمى والحياة الجامعية - بعد عام ١٩٢٥م - قد اتخذت عند كثيرين صورة مضمونها أن الجامعة لن تكون علمانية إلا إذا ثارت على الدين، وحاربت التقاليد المستمدة منه، واندفعت مع التفكير المادى المنقول عن الغرب بحذافيره[٥].

د- الأحزاب السياسية المدنية، وعلى رأسها حزب الوفد باعتباره أول وأقدم هذه

---

(١) محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية ص ٢ / ٢١٣ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق: ص ٨٢.

(٣) طه حسين: مستقبل الثقافة فى مصر: دار المعارف ١٩٤٤، ص ١٩، ٢١، ٤١.

(٤) سوف يأتى الحديث عن هذه الكتب بالتفصيل فى محور الأدب.

(٥) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ص٣٠.

الأحزاب، والذى انبثق عنه (الأحرار الدستوريون والسعديون والكتلة الوفدية) وغيرهم، وحيث تبنت جميعًا النموذج الغربى العلمانى فى الفكر والتنظيم ومعايير الاحتكام والشرعية.

ومن الممكن من خلال مطالعة أهم الأعمال الفكرية لأبرز ممثلى هذا الاتجاه فى مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين أن نقول: إن فكر هذا التيار وجهود ممثليه قامت على فكرتين أساسيتين تسودان جميع تياراته هما:

١- فكرة التبشير بالغرب والحضارة الغربية والولاء لها، وضرورتها للتقدم البشرى وما عداها فهو التخلف والانحطاط.

٢- فكرة العلمانية والفصل بين الدين والحياة، وتميز فى داخل هذا الفكر تياران:

- تيار الفكر الليبرالى البرجوازى.

- تيار الفكر الشيوعى والاشتراكى.

ونتناول هذه الأفكار والتيارات فى المطالب الآتية:

المطلب الأول

فكرة التبشير بالغرب

ويقصد به التبشير بالغرب كحضارة وثقافة لها صفة العالمية وباعتبارها الطريق الوحيد للرقى واللحاق بركب التقدم، ومعنى هذا ضرورة نبذ الشرق أو العرب والإسلام والحضارة المرتبطة بهما، والإسراع باللحاق بالغرب، أو الأوروبيين والعقلية الأوروبية والحضارة الأوروبية، وهذا التصور مؤسس على فقدان الثقة فى الحضارة الإسلامية ومقاومتها، فسلامة موسى - على سبيل المثال - وهو من هو من رواد هذا التيار يرى أنه لابد أن «نرتبط بأوروبا، وأن يكون ارتباطنا بها قويًا، نتزوج من أبنائها وبناتها وننظر للحياة بنظرها»[1]. أما الارتباط بالشرق فهو فى رأيه سخافة يقول: «هانحن نجد أنفسنا الآن مترددين بين الشرق والغرب، لنا حكومة منظمة على الأساليب الأوروبية، ولكن فى وسط الحكومة أجسامًا شرقية، مثل وزارة الأوقاف، والمحاكم الشرعية التى

---

(١) سلامة موسى: اليوم والغد: نقلاً عن كتاب إبراهيم غانم: الفكر السياسى ص ٩٥.

تؤخر تقدم البلاد، ولنا جامعة تبعث بيننا ثقافة العلم المتمدن لكن جامعة الأزهر تقف إلى جانبها تبعث بيننا ثقافة القرون المظلمة، ولنا أفندية قد تفرنجوا ، لهم بيوت سليمة، يقرأون كتبًا سليمة، ولكن إلى جانبهم شيوخًا لا يزالون يلبسون الجبب والقفاطين...، ولا يزالون يسمون الأقباط واليهود «كفاراً» كما كان يسميهم عمر بن الخطاب قبل ١٣٠٠ سنة»(١).

أما طه حسين – وهو من أبرز رواد هذا التيار أيضًا – فيدعو – صراحة – إلى أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم، ويتساءل: أمصر من الشرق أم من الغرب؟ وهو بالطبع لا يريد – وهذا قوله – الشرق الجغرافي والغرب الجغرافي، وإنما يريد الشرق الثقافي والغرب الثقافي، بمعنى: هل العقل المصرى شرقى التصور، والإدراك والفهم والحكم على الأشياء، أم هو غربى التصور والإدراك والحكم على الأشياء(٢). وبعد أن يعرض الكثير من الشواهد التاريخية والحجج العقلية يصل إلى «أن مصر كانت دائماًجزءاً من أوروبا» فى كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على اختلاف فروعها وألوانها»(٣).

ويتضح من ذلك أن منطلقات هذا التيار قد قادته إلى نتائج غاية فى الأهمية والخطورة فى آن معًا، ففضلاً عن فقدان الثقة بالإسلام والحضارة الإسلامية، قد دعا رواد هذا التيار إلى ضرورة التمسك بمفهوم (القومية المصرية الفرعونية) المعادى صراحة لكل انتماء إسلامى وشرقى! تاريخى أو دينى أو أدبى، وحين اعتبروا مصر جزءاً من أوروبا على رأى طه حسين ورأوا أن الأجانب يحتقروننا بحق، ونحن نكرمهم بلا حق على رأى سلامة موسى، فقد كان من المنطق الا تصبح أوروبا هى العدو الذى يستغل مصر، وأن يكون إحكام علاقات الود مع الإنجليز هو عين الصواب(٤).

ويعد من رواد هذا التيار مع طه حسين وسلامة موسى كل من: أحمد لطفى السيد، ومحمود عزمى، ومنصور فهمى، – قبل تطوره الأخير – وغيرهم(٥).

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٥.

(٢) طه حسين: مستقبل الثقافة فى مصر ١/ص ٧.

(٣) المرجع السابق ١/ ص٢٦.

(٤) محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية ٢/ ٢٢٦.

(٥) إبراهيم غانم: الفكر السياسى ص ٩٦.

المطلب الثانى

فكرة العلمانية

ويفهم هذا التيار الإسلام بصفة خاصة، والدين بصفة عامة كما يفهمه الغربيون، وكما أوضحه رواد المدرسة الوضعية وعلماء الاجتماع والسياسة الغربيون، فالدين ليس إلا ظاهرة اجتماعية وأثرا للحياة الجماعية كالعادات والتقاليد، وعبر صراعات طويلة ومريرة فى أوروبا فى العصور الوسطى بين الكنيسة والسلطة الزمنية، انتهى الغرب إلى تقرير أن الدين – ممثلاً فى الكنيسة – عامل من عوامل التخلف ووأد التقدم، وكانت هذه الفكرة هى أساس فهم رواد هذا التيار، وكانت محوراً أساسيًا من محاور الاهتمام والنشاط الفكرى لهم، ونظراً للأسباب الاجتماعية والسياسية التى ظهرت فيها هذه الفكرة فى أوروبا، والتى كانت تجسد الاستبداد الفردى المطلق، والظلم الاجتماعى الناجم عن الاستغلال الإقطاعى والطبقى، فقد كان الحل هو فصل الدين عن الدولة، وحصره فى حدود العلاقة الخاصة بين العبد وربه.

وفى مصر كان الترويج للعلمانية نتيجة طبيعية للتوجه التغريبى الذى حث رواده على تقليد الغرب، والارتباط به على النحو المشار إليه، ومن ثم فقد أصر رواد هذا التيار على فصل الدين عن الدولة، ونادوا بتأسيس الدستور على القانون الوضعى، وأكدوا على ضرورة الفصل بين الدين والعلم، وإخضاع الحقيقة الدينية للبحث العلمى العقلانى الحر، وعلى نحو ما حاول طه حسين فى كتابه «فى الشعر الجاهلى» وأكدوا أيضًا على أن العقيدة شيء والشريعة أو القانون شيء آخر(١) ولا علاقة بينهما، أو على حد ما ذهب إليه طه حسين من أن الشريعة الإسلامية متميزة لا لأنها مستمدة من الأصول المنزَّلة، ولكن – فى رأيه – لأنها متصلة أشد الاتصال بما كان للرومان من سياسة وفقه»(٢).

وفى مجال النظريات العلمية الحديثة احتلت نظرية دارون «النشوء والارتقاء» مكانة مهمة ضمن النشاط الفكرى لرواد هذا التيار، ويعتبر تبنيهم تلك النظرية دليلاً على رفضهم للإسلام وأصوله كمصدر للمعرفة وإطار مرجعى له حجية نهائية(٣).

---

(١) ليونارد بايندر: الثورة العقائدية فى الشرق الأوسط ص ٥٧، تعريب خيرى حماد – القاهرة – دار القلم سنة ١٩٦٦م.

(٢) طه حسين: مستقبل الثقافة ١ / ص ٢٩.

(٣) إبراهيم غانم: الفكر السياسي، ص ٩٧.

ومما يلفت النظر أن مسيحيى الشام الذين هاجروا إلى مصر كانوا أبرز دعاة العلمانية فى مصر، منهم – على سبيل المثال – فارس نمر (١٨٥٤– ١٩٥١م) ويعقوب صروف (١٨٥٢ – ١٩٢٧م) صاحب مجلة «المقتطف» التى كان لها باع كبير فى الترويج للأفكار العلمانية، واهتمت اهتمامًا خاصًا بنظرية التطور لداروِن، و«فرح أنطوان» (١٨٧٤ – ١٩٢٢م) الذى أصدر فى القاهرة مجلة «الجامعة العثمانية» وكان يرى أن الوحى يمكن أن يفهم على أنه «القدرة الفلسفية للأنبياء على تقديم الحقيقة فى رموز دينية للجماهير، ولكن النخبة المتعلمة تستطيع أن تصل إليها بالعقل»(١) وشبلى الشميل (١٨٥٠– ١٩١٧م) الذى كان يؤكد أنه «لا يصلح حال الأمة إلا كلما ضعف فيها شوكة الديانة، ولا يقوى شأن الدينَ إلا كلما انحط شأن الأمة، ولم يكن الشميل ليفهم من خلال نشاطاته الفكرية المختلفة إلا فى مسألة هى فصل الدين عن الدولة(٢)، وكان يكتب باستمرار فى المقتطف والبصيرة وغيرهما من الجرائد والمجلات.

ومن مصر كان من أبرز دعاة العلمانية: سلامة موسى، ومحمد حسين هيكل، وإسماعيل مظهر، والشيخ على عبد الرازق الذى أثار ضجة كبيرة بكتابه «الإسلام وأصول الحكم» بالإضافة إلى طه حسين وأحمد لطفى السيد ومحمود عزمى ومن على شاكلتهم من رواد التيار التغريبى بوجه عام(٣).

وقد استخدم هؤلاء الكتاب العلمانيون وسائل عديدة لنشر أفكارهم والتعبير عن اتجاههم، وكانت وسائلهم فى الواقع هى أهم مؤسسات التنشئة الفكرية وأدوات تشيكل المناخ الثقافى العام فى المجتمع، مثل الجامعة المصرية ، والمنتديات الفكرية، وعدد كبير من الصحف والمجلات، مثل الجريدة، والسياسة، ومجلة المصور(٤)، بالإضافة إلى المقتطف، والهلال، والأهرام، وغيرها. وتؤكد بعض الدراسات على أن سلطات الاحتلال الإنجليزى فى مصر منذ عهد كرومر كانت تقف خلف هذا التيار المروج للعلمانية، وتمده بالمال، ويؤكد هذا ما خلصت إليه دراسة أخرى حول العلمانية ودورها

---

(١) لمعرفة بعض التفاصيل انظر: على الدين هلال: التجديد ص ٤٦، ٤٧، ٤٨.

(٢) حول آراء الشميل ومواقفه السياسية وتأكيده على فصل الدين عن الدولة انظر: إبراهيم عيسى، شلبى الشميل: داعية العقائد الغربية، دراسة منشورة بمجلة الفكر العربى الصادرة عن معهد الإنماء العربى للعلوم الإنسانية : العددان ٣٩، ٤٠ معًا، السنة السادسة يونيو / أكتوبر سنة ١٩٨٥، ص ٩٧، ١١٢.

(٣) إبراهيم غانم : الفكر السياسى ص ٩٨.

(٤) المرجع السابق، ونفس الصفحة.

فى مصر، من أنها – أى العلمانية – «كانت أداة من أدوات فرضت السيطرة الاستعمارية، وضمان التبعية بعد زوال الاحتلال العسكرى المباشر»(١)، ومن خلال بحثها بحثًا سوسيولوجيا ضمن الإطار الاجتماعى والسياسى الذى طرحت فيه وروج لها «لم تكن العلمانية دعوة فكر بقدر ما هى أيديولوجية قمع وقهر لا تتجلى حقيقتها إلا بتدبر ظروف طرحها والجهات المساندة لها، والأحداث المقترنة بها»(٢).

المطب الثالث

التيار التحررى «التيار الليبرالي»

تعتبر الليبرالية بمثابة التعبير السياسى عن قيم المجتمع البرجوازى الأوروبى الحديث، ومن أهم هذه القيم: الحرية، وتقوم على أساس الإقرار للفرد بحقوقه المختلفة، وحرية التدين والفكر والتعبير والعمل والتملك والاجتماع... إلخ(٣) وترجع أصولها الفكرية الاجتماعية إلى التقاليد السياسية للغرب التى أرست قواعدها فلسفة العقد الاجتماعى خلال القرن الثامن عشر، وأوجدتها الثورة الفرنسية فى شعاراتها، وإعلان حقوق الإنسان ١٧٩٨م، وارتبطت فى ظهورها ارتباطًا وثيقًا بازدواجية الكنيسة والدولة وما نبع عنها من ازدواجية المجتمع والسياسة فى الفكر الغربى بصفة عامة(٤).

وقد أصبحت الليبرالية هى الأيديولوجية الرسمية المعلنة للنظام السياسى فى مصر على مدى ثلاثة عقود من الزمان (١٩٢٣ – ١٩٥٢م) مما يجعل الحديث عن التيار الليبرالى لا ينصرف إلى مجموعة من الأفكار التى انتشرت وروج لها عبر قنوات مختلفة فحسب، بل إلى مجموعة من الممارسات السياسية الواقعة التى شكلت جزءًا لا يتجزأ من التاريخ الحديث لمصر.

ففى ظل تطبيق النموذج الليبرالى أتيحت فرصة كبيرة لازدهار الدعوة للأفكار التغريبية عامة والعلمانية بصفة خاصة، وقيم المجتمع الغربى وسلوكياته المرتبطة بمفهوم

---

(١) محمد يحيى، ورقة ثقافية فى الرد على العلمانيين ص ١٨، الزهراء للإعلام العربى ط١ سنة ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م القاهرة.

(٢) المرجع السابق ص ١٩، وانظر إبراهيم غانم: الفكر السياسى ص ٩٨، ٩٩.

(٣) إبراهيم غانم: الفكر السياسى ص ٩٩.

(٤) انظر Watkins, Frednck mundell, The Political Traditions Ofthewest study in the Develoment of Modern liberlism.. Hardoni, 1962, PP. 13- 32.

الليبرالية بصفة أخص، مثل الحرية الشخصية أو الفردية بمعناها الواسع الذى يشمل حرية الإلحاد والإباحية والتهتك وارتكاب المنكرات، والدعاية المكثفة لقضية (تحرير المرأة) وكان لمجلات الأدب والفن حظ وافر من الازدهار ضمن هذا الإطار، فشاع الأدب القصصى على النمط الغربى بما يحمل من مضامين وقيم المجتمع الغربى نفسه، وفى أغلب الأحيان كانت الترجمة المباشرة للقصص الغربى هى أساس شيوع هذا الأدب.

وعلى صعيد آخر، وفى إطار الأفكار والممارسات الليبرالية كانت القوانين والتشريعات والمحاكم ميدانًا أساسيًا لنشاط التغريبيين، فمحمود عزمى دعا إلى مدنية القوانين، وانتقد النص فى دستور ١٩٢٣ م على أن دين الدولة هو الإسلام، وعلى عبد الرازق رأى فصل الشريعة عن النظام السياسي، ووضع الإسلام فى دائرة الروح فقط، أما ما يخص الحياة الاجتماعية والسياسية فيدخل - فى تصوره - فى دائرة العلم الوضعى(١).

وهكذا يمكن القول إنه فى ظل المناخ الليبرالى ونشاط التغريبيين على اختلاف اهتماماتهم، تزايدت الضغوط والجهود الرامية إلى إبعاد الدين (الإسلام) عن شئون الحياة، «فالفصل بين الدين والدولة قدم على أنه الديمقراطية والليبرالية(٢)، وإطلاق الحريات الفردية بلا ضابط أو رابط هو «التحرر والتقدم» والتشكيك فى قيم وحقائق القرآن الكريم ومبادئ الإيمان بالغيب يتم تحت ستار الحيدة والموضوعية والمنهج العلمى» ومحاولة القضاء على رابطة العقيدة والأخوة الإسلامية تأخذ شكل الدفاع عن الوحدة الوطنية وضمان المساواة بين المؤمنين بهذا الدين والكافرين به(٣).

المطلب الرابع
تيار التغريب الشيوعى

وجد هذا التيار ضمن تيارات الفكر التغريبى فى مصر إبان ظهور الإمام البنا ودعوته، حيث بدأت تتكون فى مصر حلقات ماركسية من الأجانب واليهود الروس، وبعض المصريين بعد الثورة الاشتراكية فى روسيا عام ١٩١٧م، وتكون الحزب الاشتراكى

(١) إبراهيم غانم : الفكر السياسى ص ١٠٠.

(٢) محمد يحيي : فى الرد على العلمانيين ص٢٢.

(٣) إبراهيم غانم : الفكر السياسى ص ١٠٠.

المصرى عام ١٩٢١، وحمل برنامجه معالم الماركسية وكانت تسيطر عليه العناصر اليهودية، وبعد عدة انقسامات تحول إلى حزب شيوعى تبنى خط (العمل المباشر)، مما أدى إلى تصادمه مع حكومة سعد زغلول عام ١٩٢٤م، فما كان منه إلا أن وجه – سعد – ضربة لهذا الحزب بدأ بعدها الفكر الشيوعى فى الاختفاء»[١]. وبعد الحرب العالمية الثانية تكونت عدة جماعات شيوعية مارست أنشطتها من خلال مجموعة من الأندية والروابط الثقافية، وكانت قيادة الحركة الشيوعية فى مصر ساقطة تماماً على يد اليهود قبل عام ١٩٤٨م[٢].

وفى الأربعينيات كون (هنرى كوريل) الحركة المصرية للتحرر الوطنى التى جعلت الفكر الاشتراكى مطروحًا ومتاحًا فى مصر عن طريق كتبها ونشراتها، وكون (هليل شوارتز) تنظيم الشرارة (إيسكرا) الذى أسهم بدور كبير فى تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال سنة ١٩٤٦، واتحدت التنظيمات عام ١٩٤٧ باسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، وفى عام ١٩٥١م قاد الشيوعيون المصريون الحركة بعد التخلص من شوارتز وكوريل[٣].

ويتبين من ذلك أنه قد برزت حركة شيوعية تبنت الأصول الماركسية، ويرى طارق البشرى أن تكوين المنظمات الشيوعية كان أثرًا مبالغًا فيه من آثار حركة التغريب[٤].

استعرضنا تيارات الفكر التغريبى المختلفة والتى تشكل فى مجموعها الاتجاه التغريبى

---

(١) رؤوف عباس: هنرى كوريل والحركة الشيوعية المصرية – ترجمة عزة رياض، ط ١ سيناء للنشر، القاهرة ١٩٨٨م ص ١٥، ١٨.
– وطارق البشرى: المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ص ٦٣٣، ٦٤٨.
– على شلش: اليهود والماسون فى مصر دراسة تحليلية ط ١– الزهراء للإعلام العربى القاهرة ١٩٨٦، ص ١٣٠، ١٣٢، ١٣٥.

(٢) رؤوف عباس: هنرى كوريل والحركة الشيوعية المصرية – ترجمة عزة رياض ط ١ سيناء للنشر، القاهرة ١٩٨٨م ص ١٥، ١٨.
– وطارق البشرى: المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ص ٦٣٣، ٦٤٨.
– على شلش: اليهود والماسون فى مصر دراسة تحليلية ط ١– الزهراء للإعلام العربى القاهرة ١٩٨٦، ص ١٣٠، ١٣٢، ١٣٥.

(٣) رؤوف عباس: هنرى كوريل: والحركة الشيوعية ص ٣٠، ٤٠، ٤٤، ٤٥.
(٤) طارق البشرى: المسلمون والاقباط، ص٦٦٦.

المضاد للاتجاه الإسلامى، وقبل أن نختم هذا المبحث نلقى نظرة سريعة يراد منها تقييم الاتجاه التغريبى، وذلك من خلال المطلب الأخير.

المطلب الخامس

نظرة تقويمية للاتجاه التغريبى بتياراته المختلفة

ورغم كل هذا النشاط المكثف للاتجاه التغريبى بتياراته المختلفة، فقد كانت النتيجة فى نهاية الأمر هى الإخفاق والفشل ، وظهر ذلك فى نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م، فكان إعلان قيام الدولة الصهيونية يعنى سقوط المشروع التغريبى وخاصة النظام الليبرالى الذى كان مسيطراً وقتها. وفى عام ١٩٥٢م وضعت حركة يوليو حداً للانهيار والتمزق السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى ظل النظام الليبرالى الدستورى لتبدأ مرحلة جديدة - لم تكن أقل تدهوراً وسوءاً- فى ظل النظام الاشتراكى الناصرى، إلا أن نكبة ١٩٦٧م كانت بمثابة الإعلان عن سقوط هذا التوجه الفكرى أيضًا - النظام الاشتراكى الناصرى - قبل إعلان اغتصاب إسرائيل لمزيد من أراضى وديار المسلمين فى مصر والأردن وفلسطين وسوريا.

وفى مجال بحث أسباب هذا الإخفاق والفشل الذى جلبه دعاة التغريب على البلاد نجد عدة رؤى منها:

يرى البعض أن أسباب السقوط تكمن فى فشل المثقفين فى ترسيخ التقاليد الديمقراطية، وفى بلورة القيم الفكرية والديمقراطية بطريقة أصلية وخلاقة، لقد تمت عملية نقل مبتسرة ومشوهة وانتقائية لبعض الأفكار الديمقراطية الغربية، ولكن بغير وعى دقيق بنشأتها التاريخية وتغيراتها عبر الزمن(١).

فى حين يرى آخرون أن هذه الأسباب لها وجاهتها إلا أنها تظل قاصرة عن النفاذ إلى جوهر الأسباب الحقيقية التى أدت إلى الإخفاق والفشل، وذلك لانطلاقها من التسليم بكونية منجزات الغرب وقيمه وأفكاره الحديثة، وإلا فما معنى رد الفشل إلى فقدان مجتمعنا لقيم الحرية والعقلانية والتمثيل النيابى المعروف فى الغرب بدلاً من رده إلى

---

(١) سيد يس: إشكالية الأصالة والحرية والتحديث فى الفكر العربى الحديث (بحث منشور) ص ٥.

عدم ملاءمة تلك الأفكار الوافدة؟ وما معنى إخفاق المثقفين فى ترسيخ التقاليد الديمقراطية الغربية[1].

لذلك يرى هذا الفريق – وعلى رأسهم مالك بن نبى – أن الأسباب الجوهرية التى تكمن خلف فشل دعاة التفرنج وتقليد الغرب فى السعى لتحقيق النهضة يمكن إيجازها فى أنها «انعدمت لديهم فكرة النهضة ذاتها» فالمسألة فى نظرهم لم تكن مسألة تجديد العالم الإسلامى – ومصر فى القلب منه – وإنما كان هدفهم تطبيق النظم والأطر الغربية الحديثة فى حياة المجتمع، ولم يعد الأمر لديهم الغرام بالمستحدثات من الأشياء والأفكار التى يقدمها الغرب صاحب الحضارة المتقدمة، ومن ثم كانت حصيلة توجههم متمثلة فى الإسراف فى الولوع بكل ما هو غربى وفى «تكديس أشياء ومنتجات» حضارة الغرب، وفى توثيق عرى التبعية والذيلية لهذا الغرب»[2].

وقد رأى أنصار هذا التوجه باعينهم أن الغرب الذى طالما بشروا بقيمه ومبادئه عن الحرية والمساواة والعقلانية.. لم يزدد إلا تحكمًا وقهرًا للشعوب الواقعة تحت سيطرته، ولم يأت إلا بكل ما يناقض ادعاءاته المعلنة، كما أنه فى غمار الترويج للعلمانية والعقلانية كانت حملات التنصير على أشدها فى أرجاء مختلفة من العالم الإسلامى، وفى مصر بصفة خاصة خلال العشرينيات والثلاثينيات، وقد أسهمت مثل هذه العوامل فى رسم الإطار العام للجدل الفكرى بين الاتجاهين: الإسلامى والتغريبى وتياراتهما، كما أسهمت فى قيام بعض المتغربين بمراجعة مواقفهم الفكرية وتحولهم بدرجة أو باخرى إلى مواقف جديدة تمثلت فى محاولة التوفيق بين الإسلام وحضارته من ناحية، والغرب وحضارته من ناحية أخرى.

---

(١) إبراهيم غانم: الفكر السياسى ص ١٠١، ١٠٢.

(٢) هذه الفكرة خلاصة مكثفة لتحليل مالك بن نبى لأسباب إخفاق التوجه التغريبى المقلد للغرب فى تحقيق النهضة ، د. إبراهيم غانم: الفكر السياسى ص ١٠٢.

المبحث الرابع

أوضاع التربية والتعليم فى مصر وأثرها على الإمام البنا والإخوان

حدثت عدة تطورات فى التعليم المصرى وفى الفكر التربوى قبيل وبعد ظهور الإمام حسن البنا ونشأة جماعة الإخوان، إلا أن أوضاع التعليم نفسه – برغم هذه التطورات – عانت من أنواع عديدة من القصور، أثرت بشكل مباشر فى ثقافة المجتمع، وبالتالى فى فكر وحركة حسن البنا وجماعته، ويمكن أن نجملها فيما يلى:

أ – ظلت سياسة وزارة المعارف المصرية هى السياسة الجوهرية التى وضعها الإنجليز، وأقامها القسيس دنلوب، وكانت الأسس الجوهرية التى وضعت للعملية التعليمية سواء ما يتعلق بالأهداف أو اتجاه الخطط والمناهج تكفل دعم الاستعمار وتعضد وجوده فى مصر عن طريق القضاء على القيم الإنسانية فى المتعلمين، وتخريج أشباه بشر لا يكادون يصلحون لشىء يعتد به فى الحياة، لذلك فقد كانت السياسة التعليمية توجه أكبر قسط من العناية إلى حشو الذهن بالمعلومات، وإغفال ما عدا ذلك من مقومات التربية، أو وضعه فى مرتبة أخيرة، وإغفال التربية الخلقية والتراث الثقافى للأمة مما أدى إلى انحلال التلاميذ(١) وفساد عقولهم.

إلا أنه فى الفترة من ١٩٢٢ إلى ١٩٥٢ تمت عدة إصلاحات فى التعليم من أهمها: مشروع التعليم الإلزامى عام ١٩٢٥م، ومشروع إصلاح التعليم الإلزامى عام ١٩٤١، وإلغاء مصروفات التعليم الابتدائى عام ١٩٤٤، وقانون توحيد التعليم فى المرحلة الأولى عام ١٩٥١، كما تم تحويل الجامعة الأهلية إلى جامعة حكومية عام ١٩٢٥، وإنشاء جامعة فاروق (الإسكندرية) عام ١٩٤٢م، وقانون إنشاء جامعة عين شمس عام ١٩٥٠م(٢).

---

(١) محمد جبر: سياستنا التعليمية، مجلة الإخوان المسلمون – السنة الأولى، عدد ١ ص ١٢، د. على عبد الواحد وافى: سياسة دنلوب هى المسئولة عن انحلال التلاميذ – مجلة الإخوان عدد ١٢ ص ١٢، سيد قطب: نقطة البدء، مجلة الرسالة، السنة العشرون عدد ٩٩٥ (٢٨ يوليو ١٩٥٢م) ص ١٢٥، ١٢٧.

(٢) انظر فى تفصيل ذلك: د. علية على فرج: التعليم فى مصر بين الجهود الأهلية والحكومية (دراسة فى تاريخ التعليم) دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ١٩٧٩، ص ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٣، ٢٤٥.

ب- ونتيجة لنمو الوعى القومي، وتحديًا لسياسة التعليم الإنجليزية فى مصر، ظهر فكر تربوى تعليمى كان من أبرز قادته إسماعيل القبانى، وطه حسين اللذين كان لفكرهما التربوى صدى عند جماعة الإخوان المسلمين، حيث نادوا ببعض أفكارهما، وعارضوا بعضها.

فمن أفكار القبانى الأساسية: العمل بأسرع ما يستطاع على توفير التعليم المثمر لجميع أبناء وبنات الشعب المصرى إلى المستوى الذى يعتبر حداً أدنى لإعداد الطفل للحياة فى مجمتع راق، أى تعميم تعليم أولى صالح، ورفض التعليم بين تعليم الكافة وتعليم الخاصة فى مصر، لأنه مناف للعدالة الاجتماعية والتأكيد على مبدأ تكافؤ الفرص فى التعليم، بتوحيد تعليم المرحلة الأولى وإلغاء المصروفات منه، وأن تغير النظرة إلى وظيفة المدرسة، وخاصة مدرسة المرحلة الأولى من كونها مجرد أداة لمحو الأمية أو تلقين بعض مبادئ العلم، إلى أن تكون أداة لرفع مستوى حياة الشعب ثقافيًا واجتماعيًا وصحيًا واقتصاديًا[١]، وكان لهذه الأفكار تأثيرها فى مطالب الإخوان المتعلقة بإصلاح بعض جوانب التعليم فى مصر، وخاصة ما يتعلق بتوحيد التعليم فى المرحلة الأولي، وتعميمها وتطوير الغاية من التعليم[٢].

وكان لتقرير طه حسين أن سبيل التحضر فى مصر هو الأخذ بالحضارة الغربية - خيرها وشرها - تأثير فى فكره التربوى حيث قرر عدة أمور منها:

الدعوة إلى تطوير الأزهر ليصل إلى الملاءمة بين تفكيره وبين التفكير الحديث، وأن تدرس الوطنية والقومية بمعناهما الأوروبى فى التعليم الأولى والثانوى فى الأزهر[٣].

الدعوة إلى ما أسماه إصلاح اللغة العربية وتطوير لغة الكتابة والأدب فى العربية[٤].

الدعوة إلى عدم تدريس الدين فى المدارس، ولم يفصح طه حسين عن هذه الدعوة، ولكن د. محمد محمد حسين يؤكد أنه كان يخفى ذلك، ويتمناه، لكنه خاف أن يثير

---

(١) إسماعيل محمود القبانى: دراسات فى تنظيم التعليم بمصر ص ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١٣، ١١٥.

(٢) عثمان رسلان: التربية السياسية ص ١٢٤.

(٣) طه حسين: مستقبل الثقافة فى مصر ص ٦٩.

(٤) المرجع السابق ص ٢٢٨، وما بعدها.

عليه الرأى العام، كما حدث فى كتاب الشعر الجاهلى(١). لذلك فقد كان كلامه على لسان غيره فى موازنة بين من يريد تدريس الدين، وبين من يقول بترك تدريسه للأسرة، ثم ترك الخيار للدولة وتوجهها، يقول: «وواضح جداً أن أمر الدين منذ العصر الماضى يختلف باختلاف النظرة التى تنظرها إليه الدولة، فإن رأت إقامة التعليم على الفكرة المدنية الخالصة تركت أمر الدين إلى الأسرة، ولم تقم فى سبيل تعليمه المصاعب والعقبات، وإن رأت إقامته على الفكرة المدنية الدينية قسمت للتعليم الدينى مكانه من هذا البرنامج(٢).

وقد تضمن كتاب طه حسين (مستقبل الثقافة فى مصر) هذه الأفكار وغيرها، وقد عارضها الإمام البنا وجماعته، ونشروا مذكرة تتعلق بمستقبل الثقافة فى مصر موجهة إلى د. طه حسين، كما نشروا عدة مقالات للرد على هذه الأفكار(٣).

ج - ويمكن أن نوجز أهم سمات التعليم المصرى فى الفترة من ١٩٢٢ - ١٩٥٢م فى النقاط التالية(٤):

١- ضعف النزعة القومية فى التعليم المصرى:

وكان ذلك واضحًا فى أمرين:

الأول: دراسة التاريخ، حيث ظل التاريخ الأوروبى غالبًا على المنهج، وأهمل التاريخ العربى والإسلامى إهمالاً تامًا إلى آخر الفترة، ولم يخصص لتاريخ مصر الحديث إلا نصف مقرر السنة الخامسة أدبى، فكان طلاب القسم العلمى يتخرجون فى المدارس الثانوية دون أن يعرفوا عن وطنهم شيئًا(٥).

ويذكر د. أبو الفتوح رضوان أن مناهج هذه الفترة «كانت تمثل تناقضًا خطيرًا فقد

---

(١) انظر محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية ج٢/ ص٢٢٤، ٢٢٥.

(٢) طه حسين: مستقبل الثقافة فى مصر ص ٨٣.

(٣) حسن البنا: مستقبل الثقافة فى مصر للحقيقة والتاريخ.. ليسمع د. طه حسين، مجلة النذير السنة الثانية، العدد (٦) (٦صفر ١٣٥٨هـ) ص٣: ٧.

(٤) ذكرها د. عثمان رسلان: التربية السياسية ص ١٢٤، ١٢٨.

(٥) هنرى جونسون: تدريس التاريخ ص ١٤١، ١٤٢، ترجمة وتقديم أبو الفتوح رضوان - النهضة العربية - القاهرة سنة ١٩٦٥.

كانت ترمي إلى تربية الوطنية بمقررات فى التاريخ غير وطنية، كما كانت ترمى إلى دعم القومية فى التلاميذ بمقررات فى التاريخ غير قومية[1] وكان الحال كذلك فى مقرر الجغرافيا[2].

الثاني: ضعف الاهتمام باللغة العربية، ففى عام ١٩٣٥م كانت حصص اللغات فى المدارس الثانوية (١٩) حصة، (٩) منها للإنجليزية، و(٤) للفرنسية، و(٦) للعربية، وكانت الإنجليزية أساسًا فى المناهج التعليمية فى المدارس الابتدائية مما أدى إلى ضعف التلاميذ فى لغتهم الوطنية ضعفًا مخجلاً[3].

٢- عدم وجود سياسة قومية ثابتة للتعليم:

ويرجع غياب هذه السياسة حتى ١٩٥٢م إلى استمرار السياسة التى وضعها الاحتلال الإنجليزى من قبل، والمتمثلة فى العمل على الإقلال من نشر التعليم، وجعل هدفه هو إعداد طبقة متعلمة تفى بمطالب الخدمة فى الحكومة، ومحاربة اللغة العربية والدين..[4]، كما يرجع إلى التغيير المستمر فى وزراء المعارف، فقد تولى وزارة المعارف من ١٩٢٢م: ١٩٥٢م، (٥٩) وزيراً[5]، إلا أن التطورات التى حدثت فى التعليم لم تمس جوهر هذه السياسة، وقد ترتب على ذلك أنه لم تكن للتعليم المصرى أهداف تخدم القضية الوطنية، وتثبت فى الشباب روح الاستقلال[6] اى أن التعليم كان بعيداً عن البناء السليم لشخصية الإنسان المصري.

٣- ازدواج التعليم فى المرحلة الأولى:

فقد كان هناك المدرسة الابتدائية المفتوحة للتعليم الثانوى والعالى من جهة، وكانت سائدة فى الحضر، ومن جهة أخرى المدارس الإلزامية والأولية التى لا تسمح بالترقى

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٢.

(٢) سعيد إسماعيل على: تاريخ التربية والتعليم فى مصر ص ٤٩٥.

(٣) حسن البنا: فى مناهج التعليم. (٥) جريدة الإخوان المسلمون، السنة الثالثة العدد ١٦ (٣٠ يوليو ١٩٣٥م) ص ٣، ٤.

(٤) عبد الحميد فهمى مطر: التعليم والمتعطلون فى مصر ، ط ١ مطبعة مدرسة محمد على الصناعية - الإسكندرية - ١٣٥٧هـ- ١٩٣٩م، ص ١٤، ١٦.

(٥) سعيد إسماعيل على: تاريخ التربية والتعليم فى مصر ص ٤٨٥، ٥٠٣، ٥٠٤.

(٦) حسن البنا: فى مناهج التعليم. (٣) جريدة الإخوان المسلمون، السنة الثالثة العدد ١٤ (١٦ يوليو ١٩٣٥م) ص ٣، ٤.

التعليمي، وكانت سائدة في الريف، وكان هذا الوضع انعكاساً للفروق الطبقية بين غير القادرين وبين الأغنياء عموماً(١).

٤- عدم تكافؤ الفرص فى التعليم:

وقد برز هذا القصور من جهتين:

الأولى: نتيجة ازدواجية التعليم.

والثانية: مصروفات التعليم التى كانت من الكثرة بحيث أعجزت كثيرين من أن يلحقوا أولادهم بالتعليم المفتوح(٢).

٥- الثنائية:

أ- بين التعليم الدينى والتعليم فى المدارس والجامعات المدنية:

فقد كانت هناك وسيلتان للتعليم:

الأولى: التعليم الدينى فى الأزهر وفروعه الابتدائى والثانوى والكليات.

والثانية: التعليم المدنى حيث التعليم الإلزامى والابتدائى والثانوى والخصوصى والجامعي، وكان كل نوع يهيمن على عقول الملتحقين به، ويوجهها بصورة بعيدة عن توجيه النوع الآخر، مما شكل خطورة على وحدة الثقافة فى الأمة(٣).

ب- بين التعليم الوطنى والتعليم الأجنبى:

واتسمت هذه الفترة بأن حركة نشر التعليم الأجنبى كانت قائمة وقوية، ففى عام ١٩٤٥م كان لإرسالية راهبات الرسول الفرنسية وحدها (٢٣) مدرسة، ويوضح الجدول التالى عدد مدارس بعض الدول الأجنبية فى مصر عام ٣٣/١٩٣٤م:

مسلسل	الجنسية	عدد المدارس	عدد المعلمين والمعلمات	عدد الطلاب والطالبات	ملاحظات
١	مدارس مصرية	٨٠٥٢	٣٤٧٨٩	٨٧١٥٢٩	
٢	مدارس أمريكية	٣٧	٤٥٤	٦٣٢٩	
٣	مدارس إنجليزية	٣٩	٢٩٤	٤٤٥٤	
٤	مدارس فرنسية	١٥٧	١٨٦٥	٣٢٤٨٥	

(١) سيد إبراهيم الجيار: تاريخ التعليم الحديث فى مصر، وأبعاده الثقافية - دار الثقافة - القاهرة.

(٢) إسماعيل محمود القباني: دراسات فى تنظيم التعليم بمصر ص ١٠٤.

(٣) حسن البنا: مستقبل الثقافة فى مصر للحقيقة والتاريخ، مجلة النذير، ص ٤.

وتتمثل خطورة هذه المدارس في أن معظمها كانت تخدم أغراضًا دينية ثقافية مما أدى إلى عدد من الأخطار منها[1]:

١- إغفال اللغة العربية.

٢- حرمان الطلاب من التاريخ القومي والعربي والإسلامي، والتركيز على تاريخ أوروبا.

٣- خلوها من تعليم الدين وأخلاق أبناء البلاد.

٦- عدم تعميم تعليم ابتدائي صالح:

حيث استمر هذا القصور حتى عام ١٩٥٢، وكان في مصر في هذه السنة ٣ ملايين طفل في سن التعليم الابتدائي لم يدخل التعليم منها إلا مليون وكان فيها ١٥ مليون جاهل من سكان مصر[2].

د- أثر سمات التعليم المصري (السابقة) على فكر حسن البنا والإخوان:

يمكن القول إن تلك السمات السابقة للتعليم المصري كانت عاجزة عن تكوين الإنسان المصري، وقد أثرت على هذه السمات على الإخوان كما يلي:

١- جعل حسن البنا الهدف الرئيسي له هدفًا تربويًا وهو: تكوين جيل مسلم، يبدأ بتكوين الفرد المسلم، الذي يكون الأسرة المسلمة، فالمجتمع المسلم، فالحكومة الإسلامية، فالأمة الإسلامية، فأستاذية العالم، ولذلك ابتكر أساليب كثيرة وبرامج مطورة لتكوين الوحدة الأساسية لهذا الجيل، وهي بناء الشخصية المسلمة.

٢- تقدم حسن البنا ومفكرو الإخوان وقادتهم من بعده، بمذكرات ومقالات تربوية لمواجهة كل مظاهر القصور السابقة، حيث غدت تكون فكرًا تربويًا خاصًا بهم.

٣- وقد عمل حسن البنا - ومن بعده الإخوان - على تلافي مظاهر القصور السابقة - علميًا - بإنشاء مدارس كثيرة على النهج التربوي الصحيح، منها: مدرسة غار حراء للبنين، وأمهات المؤمنين للبنات، ومدارس الجمعة للأشبال، ومدارس الجيل الجديد،

---

(١) عبد الحميد فهمي مطر: التعليم والمتعطلون في مصر ص ١٩١.

(٢) إسماعيل القباني: دراسات في تنظيم التعليم بمصر ص ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧.

وبعض المدارس الابتدائية والثانوية، ومدارس محو الأمية، ومشاريع محو الأمية التى نفذوها.. وغير ذلك، وكان يشرف على هذه الأعمال لجنة التربية ولجنة محو الأمية بالمركز العام للإخوان المسلمين، وفروع المعلمين التابع لقسم المهن(١).

ويمكننا أن نصور الواقع الذى نبتت فيه بذرة الإخوان المسلمين تصويراً مختصراً فنقول(٢):

١- كانت مصر وطنًا باهتًا اقتطع من أصله بعد أن قطع الحلفاء أوصال الإمبراطورية العثمانية، وبعد أن أطاح كمال أتاتورك بالخلافة الإسلامية وأعلن العلمانية، حينئذ طبق الإنجليز معاهدة (سايكس - بيكو) السرية التى عقدت فى موسكو عام ١٩١٥م، وأصبحت مصر فى داخل نطاق الإمبراطورية البريطانية وإن منحت فى الظاهر ملابس الاستقلال، وجدت مصر نفسها منعزلة عن دول العالم الإسلامى فى الشرق الأوسط، وأحست بعجز المسلمين، وفى عنقها قيد ثقيل من الاستعمار، وشجع المستعمرون النعرة الوطنية، هادفين إلى أن يحل (الوطن) محل (الدين)، وأن يكون الولاء (للوطن) لا (لله)، وأن يقسم الناس (بالوطن) لا (بالله) وأن يموتوا فى سبيل الوطن لا (فى سبيل الله).

٢- وكان شعب مصر شعبًا مؤمنًا بالله، عقيدته الإسلامية راسخة، ولكنه شعب جاهل، الأغلبية الساحقة فيه لا تقرأ ولا تكتب، وهو شعب فقير مستغل مع ذكاء وفطنة، أضفت عليه ظروفه البيئية والتاريخية حب السلام، ليس الاستسلام كما يظن الكثيرون، فقد يرضخ المسلم وغير المسلم لحاكم ظالم، وقد يكف عن المجاهدة المادية إذا غلبه مستعمر فاتح، ولكنك تجده أبداً ثائراً فى ذات نفسه على الظلم والاستعمار، ترى ذلك فى بسمته الساخرة وتسمعه فى نكته اللاذعة، بل إنه ليندفع فى ثورته حين تتاح له فرصة، فإذا به يحقق ما كان يظن أنه مستحيل عليه.

وكان الشعب فى هذه الحقبة الزمنية مغلوبًا على أمره تمامًا، وما قام بثورة ١٩١٩م إلا

---

(١) عثمان رسلان: التربية السياسية ص ١٢٨.

(٢) انظر: د. يوسف القرضاوى: مقدمة كتابه: الإخوان المسلمون ٧٠ عامًا.. ص ١٨ وما بعدها، ومقدمة أ/ محمود أبو السعود لكتاب ريتشارد ميتشل: الإخوان المسلمون.

لإحساسه بالضياع، وقد وجد فيها تحقيقًا لذاته، وتعبيرًا عن وجوده، وكأنه أراد أن يحس بإنسانيته بإظهار إرادته.

ثار هذا الشعب ولم يطالب بالخبز وهوجائع، ولا بإلغاء ملكية الأرض الزراعية وهو لا يكاد يملك منها شيئًا، ولم يطالب بإلغاء الألقاب والقضاء على طبقة (البكوات والباشوات) والجمهور من لابسي الجلاليب والطواقي، كانت ثورته تعبيرًا عن صادق شعوره برفضه الاستعمار، وكان مخلصًا في مطالبته بالاستقلال، وإن لم يفكر أو يتصور ماذا سيكون من شانه بعد الاستقلال، بل لم يرسم لنفسه صورة ولو باهتة لهذا الوطن في ظل الاستقلال، ومع هذا كله وفي وسط هذه الثورة العارمة، كان الإسلام حيًا في قلبه متحركًا في باطن عقله ومستتر ضميره، فاعتبر من مات في الثورة برصاص الإنجليز أو السلطة الحاكمة شهيدًا له جنات الخلد عند ربه، واقترنت الثورة (بالمسجد) وخرجت المظاهرات من الأزهر، وهو رمز الإسلام ومعهده آنذاك.

٣- كان المستعمر قويًا ذكيًا لئيمًا، ذا دهاء ومكر شديد، درس أحوال البلاد عن كثب، ومكن لنفسه على أيدى بعض الحكام، وكون منهم طبقة المستوزرين، ومهد لتضامن الحكم إليه عن طريقين:

أ - **الاستعمار الفكرى**: حيث عمل منذ بدء الاحتلال على تنحية الشريعة الإسلامية من قانون القضاء، وحصرها في الأحوال الشخصية، وحيث فصل بين العلم والدين، بل فصل بين المدارس المدنية والمدارس الدينية، فأوجد هوة سحيقة بين المثالية الإسلامية والمذهبية المادية التي فرضت بحكم القانون والتعليم.

ب- **الاستعمار المادى**: حيث وجه اقتصاد البلاد إلى إنتاج المادة الخامة التي تنتجها الأرض الزراعية، حتى كنا نقرأ في كتب المدرسة أن مصر بلد زراعي لا يملك مقومات الصناعة، يضاف إلى ذلك أن الاستعمار وجه الناشئة إلى محراب الحكومة، فكانت المدارس تخرج الموظفين، وأصبحت القيم الاجتماعية تقيس المرء بوظيفته الحكومية.

فإذا علمنا أن من يدرس العلوم الدينية تقتصر وظيفته على إمامة مسجد أو مأذونية زواج وطلاق، أو عمل في المحكمة الشرعية، أو تدريس اللغة العربية والقرآن في المدارس المدنية أو التدريس في المعاهد التي تخرج فيها.

إذا علمنا هذا اتضح لنا كيف استطاعت السياسة الاستعمارية أن تحارب شريعة الإسلام كفلسفة حياة، ونظام تعامل، ودستور يرسم للأفراد حدود المساواة والحرية، وحقوق التكافل والتعليم والعمل.

٤- وكان نظام الحكم ظالمًا: حيث فرض الملك على شعبه، وحيث صيغ الدستور ليحد من سلطة الحكومة المصرية ومن سيادتها ويعامل بقانون يختلف عن القانون الذى يسرى على المواطنين، ويطبقه قاض من غير المواطنين، وكان الملك غريبًا عن رعيته، لا يكاد يتحدث لغتهم، دع عنك مشاركته لعواطفهم، وآلامهم وآمالهم، وكان همه البقاء فى الحكم، والاستمتاع بجاه الملك ونعيمه، وكان ينظر إلى هذا الوطن نظرته إلى ملك يمينه يتحكم فى الشعب ومصيره بما يراه ويهواه.

٥- كانت الطبقة الحاكمة التى استصفاها الملك ورضى عنها المستعمر، غالبيتها من سلالة ألبانية أو تركية، ورثت عن آبائها وأجدادها القريبين مساحات واسعة من الأرض الزراعية التى أممتها الدولة فى عهد محمد على الكبير، ووزعها إسماعيل على أقربائه وأصفيائه.

وظلت هذه الطبقة التى لم تكن تعرف من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه وبعض شعائره، والتى تربت فى مدارس الأوروبيين، وأتقنت لغاتهم أكثر مما أتقنت لغة القرآن، ظلت تتولى مقاليد الحكم حتى بعد قيام الثورة عام ١٩١٩م، وبعد دستور ١٩٢٣م، وإن ظهر على المسرح رجال من صميم الشعب انضموا إلى حزب الوفد الذى كان يمثل غالبية المصريين، وكانوا يحكمون لفترات قصيرة كلما هبت رياح أزمة أتى بهم الملك، ثم يعصف بهم إثر أزمة يفتعلها هو، أو يفتعلها له المستعمر المحتل للبلاد.

وكانت الطبقة الحاكمة هى الطبقة الغنية، وهى الطبقة المتعلمة، وهى المالكة لمنابع الثروة، وبالرغم من وجود الأحزاب المتعددة ، فإن الكثرة من الشعب كانت متعلقة بحزب واحد: هو حزب الوفد الذى تزعمه رجل من صميم الشعب هو سعد زغلول، وخليفته مصطفى النحاس.

ولم يناد الوفد قط بالإسلام نظامًا للحياة، ولم يكن فى برنامجه أن يعيد للناس قوانينهم الإسلامية، أو أن يشيع بينهم الإسلام منهاجًا وفكرة، وشريعة نزل بها وحى الله على نبيه عليه الصلاة والسلام تجدد المثل الأعلى، وترسى للناس قواعد معاملاتهم

السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقيمية، ومع ذلك كان زعماء هذا الحزب يدركون تمامًا مدى تغلغل الإسلام فى النفوس، فاستعملوا الدين وسيلة لتوطيد زعامتهم، واكتساب قلوب العامة من شعبهم، وكان غير المسلمين من القادة الوفديين يحفظون من آيات القرآن الكريم ما يترنمون به فى خطبهم، وهم يعلمون كم يلقى ذلك من قبول الناس فى نفوس السامعين، وكيف تخشع له قلوبهم.

هكذا كان حال مصر والمصريين: وطن ضربت عليه العزلة، وشعب مؤمن جاهل مغلوب على أمره، ومستعمر داهية متمكن من الحاكم سافرًا أو مقنعًا، وملك غريب عن شعبه لغة وفكرًا وعاطفة، وطبقة حاكمة منعزلة عن الرعية،وهى المالكة لمنابع الثروة بغير حق شرعي، نظام قانونى مستقى من الغرب بعيد عن أعراف الناس ومعتقداتهم، وإقصاء متعمد للدين الإسلامى عن واقع الحياة.. التعليم لا توجهه فكرة الإسلام، والثقافة لا ترتكز على مفاهيم الإسلام، والتقاليد لا ترجع إلى قيم الإسلام، كما أن القوانين لا تحتكم إلى شريعة الإسلام(١).

ولم يكن حال الوطن العربى الإسلامى بأحسن حظًا من حال مصر، في تحكم الاستعمار فى مقدراته، وفى اصطناع طبقة يربيها الاستعمار فى حضانته ، ويرضعها من ألبان ثقافته، ويهيئها لحكم الشعب كما يريد المستعمر، الفجوات الاجتماعية بين ذوى الثراء الفاحش، والفقر المدقع، والفلسفة العلمانية الدخيلة، التى عزلت الدين عن الحياة، وبنت فكرة (الوطنية الإقليمية) أو فكرة (القومية العنصرية) بين شعوب المسلمين، حتى تغيب فكرة (الأمة الواحدة) التى أرادها الله، لتتحول إلى (أمم شتى) يجافى بعضها بعضًا، بل يعادى بعضها بعضًا، بل ربما قاتل بعضها بعضًا، بعد أن كانت تضمهم (دار واحدة) هى دار الإسلام، وتجمعهم (دولة واحدة) هى دولة الخلافة.

فى هذا الجو الغائم القاتم ولدت دعوة الإخوان المسلمين، أحوج ما تكون مصر - والوطن العربى والإسلامى الكبير - إليها لتكون دعوة البعث والإنقاذ كما عبر عنها الإمام حسن البنا مؤسس الحركة، بدأت هذه الدعوة منطلقة من فكر مؤسسها وشعوره الداخلى الغامر بأن عليه فرضًا لأمته يجب أن يؤديه، وأن لديه طاقة يجب ألا يدخرها فى إحياء الأمة ، وتجديد دينها.

---

(١) انظر د. أبو السعود مقدمة كتاب ريتشارد ميتشل عن الإخوان ص ٢٠، ٢٤.

وخلاصة القول أن ظهور حسن البنا وتأسيس جماعة الإخوان المسلمين كان فى وقت أحوج ما يكون المسلمون إليه «لقد كان من دلائل التوفيق فى ظهور حركة الإخوان المسلمين: أنها جاءت دعوة فى أوانها[1]، ليس فقط لمقاومة التدهور الأخلاقى فى الأمة، أو لمدافعة فكر التغريب فيها، أو لمحاربة الهجمات التبشيرية عليها، .. إلخ، وإن كان كل ذلك من أهدافها، وتشهد به أفعال رجالها، لكنها جاءت أيضًا استجابة ليقظة الروح الإسلامية فى قلوب الناس، بعد طول فترة ركود، وجاءت بفهم شامل صحيح للإسلام الذى نزل على رسولنا الكريم ﷺ، فهم قديم قدم الدعوة الإسلامية لكنه جديد على العقول والقلوب التى طغت عليها المادة، وبهرتها مدنية جوفاء فانحرفت عن جادة العقيدة الإسلامية... وجاءت لترفع راية الجهاد وترفع معها العزة والكرامة – ضد مستعمر غاصب، أذل العباد وأخذ خيرات البلاد، جاءت لتقيم العدل وترفع الظلم، وتحكم بالقسط، فيسعد الناس ويعم الرخاء على المجتمع، جاءت بقدر الله وقدرته ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠]، ولا زالت تعمل من أجل تحقيق أهدافها رغم كل الصعوبات التى قابلتها، ورغم كل الضربات التى لحقتها، تضحى من أجل ذلك بكل غال ونفيس، وتبذل نفوس الشهداء وأموالهم لله العلى القدير، دون مقابل تطلبه إلا الجنة.

(١) د. يوسف القرضاوى: الإخوان المسلمون ٧٠ عامًا فى الدعوة والتربية والجهاد ص ١٢.

الباب الثانى

شخصية الإمام الشهيد حسن البنا

ويشتمل على:

الفصل الأول: المولد والنشأة والأسرة والتكوين العلمى والثقافى.

الفصل الثانى: أضواء على الإمام البنا.

الفصل الثالث: جوانب من شخصية الإمام البنا.

الفصل الرابع: اغتيال الإمام البنا.

الفصل الخامس: بعض ما كتب عن الإمام البنا.

الفصل الأول

المولد والنشأة والأسرة والتكوين العلمى والثقافى

المبحث الأول

المولد والنشأة

أولاً: المولد والأسرة:

المولد:

ولد الإمام الشهيد حسن أحمد عبد الرحمن البنا فى ضحى يوم الأحد ٢٥ شعبان ١٣٢٤هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٩٠٦[١]، بالمحمودية فى محافظة البحيرة بمصر، وكان الابن الأكبر لأبوين مصريين من قرية شمشيرة بندر فوه التابع لمديرية الغربية سابقًا ومحافظة كفر الشيخ حاليًا.

أبواه وأخوته:

هو الابن الأكبر للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتى، وذلك نظرًا لعمله فى إصلاح الساعات[٢]، وكان الشيخ أحمد عالمًا بالسنة، فقد رتب معظم أسانيد الأئمة الأربعة على أبواب الفقه، وله مؤلفات فى السنة منها «بدائع المنن فى جمع وترتيب مسند الشافعى والسنن» كما شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل وسمى الشرح «بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى»[٣]، وقد كان الشيخ يعتبر نفسه من تلامذة الإمام محمد عبده[٤].

ووالدة الإمام الشهيد هى السيدة الفضلى: أم سعد إبراهيم صقر، والدها تاجر مواش

---

(١) جمال البنا: خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه، ص ٢١، ويرجح الأستاذ محمود عبد الحليم أن الإمام ولد بقرية شمشيرة حيث سمع ذلك من الإمام بنفسه، الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ص ٤٧.

(٢) محمد السيد الوكيل: كبرى الحركات الإسلامية، ص ١٣، ١٤.

(٣) أحمد ربيع: الفكر التربوى وتطبيقاته لدى الإخوان ص ٥٩.

(٤) طارق المهدوى: المرجع السابق: ص ١٨ سوف ياتى الحديث عنه فى شيوخه.

بقرية شمشيرة، وهى أيضًا من نفس قرية والد الإمام الشهيد وهى تواجه المحمودية على الضفة الثانية للنيل.

وكانت ذكية ومدبرة وواعية، كما كانت على جانب كبير من العناد، فإذا انتهت إلى قرار فمن الصعب أن تتنازل عنه، وهى صفة ورثها - الإمام الشهيد - ابنها الأكبر كما ورث منها ملامح الوجه، ولكن العناد تحول إلى صورة سوية أصبح معه «قوة إرادة» ولم يشاركه فى هذه الوراثة من إخوته سوى شقيقه عبد الباسط رحمه الله[1].

إخوته: عبد الرحمن الذى أسس جمعية الحضارة الإسلامية فى القاهرة التى اندمجت فى الإخوان عند انتقال الإمام البنا إلى القاهرة وأصبح من الأعضاء البارزين فى الإخوان. وفاطمة (حرم الأستاذ عبد الحكيم عابدين)، ومحمد توفى فى مارس ١٩٩٠م شعبان ١٤١٠هـ، وعبد الباسط (وكان ضابطًا بالبوليس ورافق الإمام الشهيد حتى قبيل أيام من اغتياله، واستقال من خدمة البوليس وعمل بالسعودية وتوفى بها ودُفن بالبقيع بناء على وصيته رحمه الله)، وزينب التى توفيت وهى لم تتجاوز السنة من عمرها، والأستاذ أحمد جمال الدين (الكاتب المعروف والمصنف والمشهور باسم جمال البنا)، وفوزية (حرم الأستاذ عبد الكريم منصور المحامى الذى كان مع الإمام الشهيد ليلة الاستشهاد وأصابه رشاش من رصاصات القتلة وتوفى سنة ١٩٨٩ رحمه الله).

وقد ولد كل هؤلاء الأولاد والبنات فى بيت واحد وفى غرفة واحدة كان يطلق عليها «غرفة الدكة» أو «مسقط الرؤوس العظيمة»[2].

ثانيًا: علاقة الإمام البنا العائلية:

أ - الأسرة التى نشأ فيها وترعرع:

كان الإمام الشهيد حسن البنا هو الابن الأكبر للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا ثم تلاه عبد الرحمن ثم فاطمة ثم محمد فعبد الباسط فزينب التى توفيت بعد عام تقريبًا من ميلادها، فجمال ثم الأخت الصغرى فوزية، وقد أحاط الأب وكذلك الأم ابنهما حسن برعاية كاملة حتى أن الأم «تتمسك بأن يتم حسن تعليمه على أعلى مستوى، وعندما ضاقت موارد الأسرة باعت (كردانها) الذهبى، وفى مرحلة لاحقة ولاستكمال

---

(١) جمال البنا: «خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه» ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٢.

التعليم أيضًا باعت سواريها وكانت مضفرة ثقيلة من الذهب البندقى - كما يقولون - أى أنها من الذهب الخالص عيار ٢٤»[١] وعندما تجاوز الابن مرحلة الطفولة قام بمعاونة أبيه فى إصلاح الساعات وقضاء بعض الأعمال نيابة عن الوالد، وكان والد الإمام الشهيد يكلفه بقضاء العديد من المصالح وتسوية بعض المشكلات بالبلد (المحمودية) بعد أن مضى على انتقاله إلى القاهرة قرابة عامين، وظل والده يتعلق بهذه الأعمال حتى عام ١٩٣٣م»[٢].

وبعد تعيين الإمام بالإسماعيلية ظل يعاون أباه ولكن بطريقة أخرى، فقد كان يمد أباه بربع أو ثلث مرتبه فضلاً عن استضافته لبعض إخوته، وذلك عندما ضاقت أحوال والده المادية يقول جمال البنا: «عندما بدأت الضائقة الإقتصادية تطبق عليه (والد الإمام البنا) أعانه ابنه الأكبر - الإمام الشهيد - بمبلغ أربعة أو خمسة جنيهات فضلاً عن أنه استقدم إليه بعض أشقائه لمدد طويلة»[٣].

ولم تقتصر مساعدة الإمام الشهيد لوالديه على المساعدة المالية بل ساعد أيضًا فى تربية إخوته من الناحية الخلقية ومن الناحية العلمية. ولم يكتف بالاهتمام بمن يعيش معه من إخوته بل كان يقدم النصيحة للأب للعناية ببقية الأخوة فهو يقول فى أحد خطاباته لوالده: «أما جمال فهو مسرور كل السرور وقد أدخلته مدرسة أولية فهو يتعلم بها ويحبه أساتذتها ويكرمونه جداً، أما فاطمة فانا أوصيها كلما سنحت الفرصة الوصايا التهذيبية وسأشرع معها فى القراءة والكتابة بحول الله وقوته. وعبد الباسط كذلك أهتم بتهذيبه جداً، وبالجملة فآمل بعون الله أن أوفق إلى إرشادهم خير الإرشاد إلى ما ينفعهم فى المعاش والعبادة ولهم درسان فى الأسبوع بعد العشاء يحفظون فيها الحديث، وكم يكون سروركم عظيمًا إذ سمعتم جمال الدين وهو يقرأ الأحاديث التى حفظها بتجويد وإتقان مثلاً «**يا معاذ أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك ولتبك على خطيئتك**» وحديث «**صل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك وقل الحق ولو على نفسك**» إلخ، وكذلك الجميع، ولنا جدول منظم يشمل الرياضة والمذاكرة والسمر والطعام، فاطمئنوا من هذه الوجهة كل الاطمئنان.

وزارنا بعض الإخوان المدرسين والموظفين فكان لتلك الزيارات أثر فى نفس عبد الباسط جعله يتعلم كيف يتادب ويقابل الناس وهكذا، وقد فصلت لكل منهما

(١، ٢، ٣) خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه، جمال البنا ص ٨٨، ٩٦.

جلابيتين من اليابانى وضمنت عليهما النظافة وعدم السير بالحفاء ودوام الصلاة والنظام والغسل ونحو ذلك فأصبحا يسران الناظرين، وأسأل الله التوفيق والإعانة، والذى أرجوه أن تؤدبوا محمداً وفوزية كما أؤدب أنا عبد الباسط وجمال »(١).

وقد أرشد البنا والده لطريقة تحبب النظام إلى الأولاد وتجعل النظام هو سمت كل أعمالهم فيقول فى خطاب لوالده « سيدى الوالد . . . الآن عرفت أن الأولاد إذا شعروا بالنظام فى المنزل نظموا كل أعمالهم، ولذلك أرجو أن تنظموا المنزل نظاماً حسناً، فمثلاً تجعلون الصالة لسفرة الأكل وحجرة للجلوس والمذاكرة وحجرة لنومكم وحجرة لنوم محمد وعبد الرحمن، وتضبطوا مواعيد الطعام والنوم بقدر الإمكان »(٢).

ولا يفعل البنا ذلك على سبيل التفضل على والديه بل يرى أن ذلك حقهم، ويرى أن من حقهم متابعة كل تصرفاته المادية حتى أنه فى خطاب من خطاباته يشرح له مصروفاته خلال ثلاثة أشهر ما تم صرفه وما تم استدانته من الأصدقاء، ويتوقع منهم ألا يتقبلوا بعض التصرفات فيقدم لهم عذره عن هذه التصرفات ومبرراته لفعلها ويطلب من والده بعد شرح ظروفه أن يسكن غضب والدته عليه ويرضيها عنه بحكمته »(٣).

وقد كان البنا مثالاً لما يجب أن يكون الابن لوالديه، فقد كان أسعد أيامه كما يقول يوم يرضى عنه والداه فهو يقول فى أحد خطاباته : « فقد ورد خطابكم الكريم وإن اليوم الذى أستطيع فيه إرضاءكم هو أسعد أيامى حقاً، وعقيدتى أننى ما خلقت إلا لأرضيكم، وليس لى من الحق فى كل ما يقدره الله لى بعض ما لكم، ذلك ما أعتقده وأقوله بإخلاص ويقين. والذى أريده فقط أن تغتبطوا بذلك وتعلموه وأن تخفف سيدتى الوالدة من ألمها لعدم التوفير فإن هذه ضرورة لا بد منها ستنفرج عما قليل، والله إننى لأقضى ساعات طوالاً فى ألم لتألم والدتى، وفى تفكير كيف أرضيها وكيف أسعدها وكيف أجعلها هانئة مغتبطة. فهل يوفقنى الله إلى هذه الأمنية »(٤).

ب - الأسرة التى أسسها :

زواج الإمام البنا :

كان ممن استجاب للدعوة من أهل الإسماعيلية أسرة كريمة من أسرها تدعى أسرة الصولى، وهم تجار من متوسطى الحال، وكانت هذه الأسرة من الأسر المتدينة بطبيعتها

(١، ٢) خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه، جمال البنا ص ١١٢ .

(٣، ٤) خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه، جمال البنا ص ١٢٢، ١٢٤ .

ومن يربون أولادهم على الدين، وكانت والدة الأستاذ تزور هذه الأسرة، فسمعت في إحدى ليالي زيارتها صوتًا جميلاً يتلو القرآن فسألت عن مصدر ذلك الصوت فقيل لها إنها فلانة تصلي، فلما رجعت الأم إلى منزلها أخبرت نجلها بما كان في زيارتها وأومأت إلى أن مثل هذه الفتاة الصالحة جديرة أن تكون زوجة له، وكان ما أشارت به، فقد تزوجها فكانت أم أبنائه وهي التي رافقته في السراء والضراء وكانت خير عون في دعوته حتى لقي ربه شهيداً مظلومًا»(١).

ومما تذكره الابنة ثناء في حق والدتها: والدتي رحمها الله كانت تقدم دائمًا مصلحة الدعوة على مصلحة نفسها وبيتها، فقد كانت تقوم على رعايتنا حق الرعاية وتهيئ جو البيت لاستقبال الوالد المرهق من كثرة الأعباء والأعمال، فيجد راحته في بيته لمدة سويعات قليلة ينطلق بعدها ثانيًا إلى الدعوة، ويذكر لوالدتي رحمها الله أنه عندما قام والدي بتأسيس المركز العام للإخوان المسلمين طلبت منه أن يأخذ كثيراً من أثاث البيت عن طيب نفس منها ليعمر بها المركز العام، فنقل السجاجيد والستائر والمكتبات وكثيراً من الأدوات وكانت سعيدة بذلك غاية السعادة، لقد كانت رحمها الله تعتبر أي فرد من أفراد الجماعة هو أحد أبنائها، وأذكر أنه عندما كانت تأتي أخت من الأخوات لتشكو زوجها كانت أمي تناقشها وكأنها أمها، وفي نفس الوقت حماتها، وتبادرها بالسؤال ماذا فعلت في ابني فلان حتى تصرف معك هذا التصرف؟! ولقد كانت تشارك الإخوان أفراحهم وأحزانهم، فكانت فرحة أي بيت من بيوت الإخوان هي فرحة في بيتنا، وكانت مصيبة أي بيت هي مصيبة بيتنا أيضًا(٢).

البنا وأولاده:

كان البنا رب أسرة مثاليًا فلم يقصر في رعاية أبنائه والعناية بهم والاهتمام بكل شئونهم، فقد كان لكل ابن من أبنائه دوسيه خاص يكتب فيه الإمام بخطه تاريخ ميلاده ورقم قيده وتواريخ تطعيمه، ويحتفظ فيه بجميع الشهادات الطبية التي تمت معالجته على أساسها، وهل أكمل العلاج وكم استغرق المرض إلى آخر هذه التفاصيل، وكذلك الشهادات الدراسية ويدون عليها البنا ملاحظاته، وتروي ابنته الفاضلة ثناء

(١) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، محمود عبد الحليم ص ٦٨.
(٢) لواء الإسلام جمادى الأولى ١٤١٩ هـ / ١١ - ١٢ / ١٩٨٨م، أعلام الدعوة من الأخوات ص ٥١.

«وكان عند عودته ليلاً إذا وجدنا نائمين يطوف علينا ويطمئن على غطائنا ويقبلنا، بل يصل الأمر أنه كان يوقظ أحدنا ويصطحبه إلى الحمام»(١)، وكان البنا كريمًا مع أولاده وكان يعطى كل واحد منهم مصروفًا يوميًا ثلاثة قروش وكان يعطى ابنه سيف الإسلام مصروفًا شهريًا إضافيًا قدره نصف جنيه لشراء الكتب وتكوين مكتبة خاصة به، وكان الإمام يتابع كل ما يقرأه أبناؤه رغم مشاغله الدعوية. وكان أسلوب البنا فى تربية أبنائه هو التوجيه غير المباشر فقد عرض لابنه سيف الإسلام بأن دخول السينما أمر لا يليق بالمسلم فلم يدخلها سيف قط، وكان يتابع تصرفاتهم فعندما اشترى سيف بعض الروايات الأجنبية عن المغامرات لم ينهه عن قراءتها ولكنه أبدله خيرًا منها مثل قصة الأميرة ذات الهمة وسيرة عنترة بن شداد وسيف بن ذى يزن، وبعض روايات البطولة الإسلامية وسيرة عمر بن عبد العزيز وكان فى رمضان يجلس مع سيف الإسلام وابنته الكبرى وفاء قبل الإفطار لكى يسمعا له القرآن وكان ذلك بغرض تعليمهما ولكن ذلك تم فى بعض الأحيان فى غير رمضان. وتطبيقًا لسنة الرسول ﷺ **«إن الله يحب المؤمن المحترف»** فقد دفع بابنه الوحيد سيف الإسلام إلى مدير مطبعة الإخوان ليعلمه فن الطباعة.

وتروى ابنته ثناء عن رعاية الإمام له فتقول: «وفى شهور الإجازة الصيفية والتى كان يقضيها مع الإخوان فى محافظات الصعيد والوجه البحرى كان لا ينسانا أو يتركنا بلا رعاية، بل كان يصطحبنا إلى بيت جدى وأخوالى بالإسماعيلية لنقضى إجازتنا هناك ونستمتع ونمرح حيث المزارع الخضراء والحدائق الغناء، وكان أخى سيف يمارس رياضة ركوب الخيل»(٢).

إكرام البنا لأهل زوجته:

عندما تزوج الإمام البنا حرص على أن يتعرف على كل أهل زوجته وأقاربها، وكل من له صلة رحم بها، وكان يزورهم جميعًا وكثيرًا ما كان يفاجئ زوجته بأنه قد زار قريبها فلان اليوم.

وكان رحمه الله يعامل خادمته كأنها من أهل البيت حيث كان للخادمة مثل أولاده سرير مستقل ودرج مستقل فى دولاب واحد، لكل واحد من أبنائه درج فيه. وكان

(١) لواء الإسلام جمادى الأولى ١٤١٩ هـ / ١١ - ١٢ / ١٩٨٨م، أعلام الدعوة من الأخوات ص ٥١.
(٢) المصدر السابق.

يكلف ابنته الكبرى وفاء بتعليم الخادمة فى المساء القراءة والكتابة وأن تعلمها الصلاة وكثيراً ما كان يزور الخادمة فى بيت زوجها عند زواجها وبعد مدة من توقفها عن الخدمة فى بيته»(١).

وتقول ابنته ثناء: أذكر أننى ذات مرة عاملت الشغالة معاملة غير لائقة فافهمنى أن ما فعلته معها خطأ لأنها أختى فى الإسلام، وكان عقابه لى أن أمسك بقلم رصاص وضربنى به على يدى، وكان هذا كافيًا جداً ليشعرنى بانه غاضب على وكان درسًا لى لم أنسه طوال حياتى(٢).

---

(١) مجلة لواء الإسلام ص ٤٠، ٤١، ٤٢ بتصرف ١٦ / ٢ / ١٩٨٨، ١١ رجب ١٤٠٨ هـ من حوار مع سيف الإسلام أجراه صلاح عبد المقصود.

(٢) لواء الإسلام جمادى الأولى ١٤١٩ هـ - ١١ - ١٢ / ١٩٨٨م، أعلام الدعوة من الاخوات ص ٥١.

المبحث الثانى

التكوين العلمى والثقافى

أولاً: التكوين العلمى:

بدأ الإمام الشهيد دراسته بالقرآن الكريم والثقافة الإسلامية فقد تطابقت إرادة والديه على هذه البداية.

فقد أراد له أبوه رحمه الله أن ينشأ نشأة إسلامية حقيقية وأصر على أن يحفظ القرآن، واستكمل له الكثير من جوانب الثقافة الإسلامية فى سن مبكرة، ثم عهد به إلى الشيخ (محمد زهران) الذى كان أيضاً شيخه الأول وكان الشيخ زهران كفيفاً.

يقول عبد الرحمن البنا عن طفولة الإمام الشهيد: «كنا نعود من المكتب فتتلقفنا يد الوالد الكريم، فتعدنا وتصنعنا، وتحفظنا دروس السيرة النبوية المطهرة وأصول الفقه والنحو، وكان له منهاج يدرسه لنا الوالد الكريم، وكانت مكتبة الوالد تفيض بالكتب وتمتلئ بالمجلدات، وكنا ندور عليها بأعيننا الصغيرة، فتلتمع أسماؤها بالذهب، فنقرأ: النيسابورى، والقسطلانى، ونيل الأوطار، وكان يبيحها لنا ويشجعنا على اقتحامها، وكان أخى هو المجلى فى الحلبة وفارس الميدان، وكنت أحاول اللحاق به، ولكنه كان غير عادى، كان فرق السن بيننا سنتين، ولكنه لم يكن الفرق الحقيقى، بل فرق إرادة إلهية أعدته لأمر عظيم، فكان طالب علم ولكنه مستقر موهبة ومستودع منحة ربانية، وشتان بين المنزلتين، وفرق بعيد بين المريد والمراد! وكنا نسمع ما يدور فى مجلس الوالد الكريم من مناقشات علمية ومساجلات، ونصغى للمناظرات بينه وبين من يحضر مجلسه من جلة العلماء، أمثال الشيخ محمد زهران والشيخ حامد محيسن، فنسمعهم وهم يناقشون عشرات المسائل[1].

وكانت مراحل دراسة الإمام الشهيد كما يلى[2]:

١ - مدرسة الرشاد الدينية.

---

(١) أنور الجندى: حسن البنا.. الداعية الإمام والمجدد الشهيد ص ٣٣٠، ٣٣١.

(٢) أحمد حسن شوربجى - حسن البنا مجدد القرن الرابع عشر ص ٦٤، ٦٥.

٢ – المدرسة الإعدادية.

٣ – مدرسة المعلمين الأولية بدمنهور.

٤ – دار العلوم بالقاهرة.

مدرسة الرشاد:

وكانت مدرسة الرشاد هى أول مدرسة التحق بها الإمام الشهيد حيث التحق بهذه المدرسة وسنه حوالى ثمانية أعوام واستمر بها لمدة أربع سنوات، وكانت هى الأساس والقاعدة الصلبة التى استند عليها فى تجاوز مراحل تعليمه اللاحقة بجدارة وتوفيق ونجابة(١)، وقد تحدث الإمام الشهيد عن هذه المدرسة وهو يتكلم عن مؤسسها الشيخ محمد زهران فقال: «وأنشأ مع ذلك مدرسة الرشاد الدينية سنة ١٩١٥م تقريبًا لتعليم النشء على صورة كتاتيب الإعانة الأهلية المنتشرة فى ذلك العهد فى القرى والريف، ولكنها فى منهج المعاهد الرائعة التى تعتبر دار علم ومعهد تربية على السواء، ممتازة فى مادتها وطريقتها وتشتمل مواد الدراسة فيها – زيادة على المواد المعروفة فى أمثالها حينذاك – على الأحاديث النبوية حفظًا وفهما، فكان على التلاميذ أن يدرسوا كل أسبوع فى نهاية حصص يوم الخميس حديثًا جديدًا يشرح لهم حتى يفقهوه، ويكررونه حتى يحفظوه ثم يستعرضون معه ما سبق أن درسوه، فلا ينتهى العام إلا وقد حصلوا ثروة لا بأس بها من حديث رسول الله ﷺ، وأذكر أن معظم ما أحفظ من الأحاديث بنصه هو مما علق بالذهن منذ ذلك الحين، كما كانت تشتمل كذلك على الإنشاء والقواعد والتطبيق، وطرف من الأدب فى المطالعة أو الإملاء، ومحفوظات ممتازة من جيد النظم أو النثر، ولم يكن شيء من هذه المواد معروفًا فى الكتاتيب المماثلة(٢)».

وقال الإمام الشهيد عن شيخه: «وكان للرجل أسلوب في التدريب والتربية مؤثر منتج، رغم أنه لم يدرس علوم التربية ولم يتلق قواعد علم النفس، فكان يعتمد أكثر ما يعتمد على المشاركة الوجدانية بينه وبين تلامذته. وكان يحاسبهم على تصرفاتهم حسابًا دقيقًا مشربًا بإشعارهم الثقة بهم والاعتماد عليهم، ويجازيهم على الإحسان أو الإساءة جزاء أدبيًا يبعث فى النفس نشوة الرضا والسرور مع الإحسان، كما يذيقها

---

(١) أحمد حسن شوربجى – حسن البنا مجدد القرن الرابع عشر ص ٦٥.

(٢) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ص ١٣.

قوارص الألم والحزن مع الإساءة، وكثيراً ما يكون ذلك فى صورة نكتة لاذعة أو دعوة صالحة أو بيت من الشعر - إذ كان الأستاذ يقرضه على قلة - ولا أزال أذكر بيتا من الشعر كان مكافاة على إجابة فى التطبيق أعجبته فامرنى أن أكتب تحت درجة الموضوع:

حسن أجاب وفى الجواب أجادا   فالله يمنحه رضا ورشادا

كما أذكر بيتا آخر اتحف به أحد الزملاء على إجابة لم ترقه فامره أن يكتب تحت درجته:

يا غارة الله جدى السير مسرعة   فى أخذ هذا الفتى يا غارة الله

ولقد ذهبت مثلاً واطلقت على هذا الزميل اسمًا فكنا كثيراً ما نناديه إذا أردنا أن نغيظه « يا غارة الله »، وإنما كان الأستاذ يوصى صاحب الكراسة بأن يكتب بنفسه ما يمليه عليه لأنه رحمه الله كان كفيفًا ولكن فى بصيرته نور كثير عن المبصرين ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] ولعلى أدركت منذ تلك اللحظة - وإن لم أشعر بهذا الإدراك - أثر التجاوب الروحى والمشاركة العاطفية بين التلميذ والأستاذ، فلقد كنا نحب أستاذنا حبًا جمًا رغم ما كان يكلفنا به من مرهقات الأعمال »(١).

وكذلك استفاد الإمام البنا من شيخه حب الاطلاع والقراءة ومجالسة العلماء والانتفاع بعلمهم فيقول الإمام البنا:

« ولعلى أفدت منه - رحمه الله - مع تلك العاطفة الروحية حب الاطلاع وكثرة القراءة، إذ كثيراً ما كان يصطحبنى إلى مكتبته وفيها الكثير من المؤلفات النافعة لأراجع له وأقرأ عليه ما يحتاج إليه من مسائل، وكثيراً ما يكون معه بعض جلسائه من أهل العلم فيتناولون الموضوع بالبحث والنظر والنقاش وأنا أسمع »(٢).

المدرسة الإعدادية:

« تغير الحال فى مدرسة الرشاد المباركة لما تركها مؤسسها الشيخ محمد زهران، وعهد بها إلى غيره من العرفاء الذين ليسوا مثل الشيخ فى صفاته وجلاله، وبالرغم من أن الإمام

(١) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ص ١٣، ١٤.

(٢) المرجع السابق: ص ١٤.

الشهيد لم يتم حفظ القرآن، ولم يحقق رغبة والده الشيخ أحمد عبد الرحمن فهو لم يتجاوز بعد سورة الإسراء ابتداء من البقرة، وبالرغم من إلحاح الوالد على إتمام حفظ القرآن إلا أن الإمام الشهيد صارحه فجاة وفى تصميم عجيب أنه لم يعد يطيق أن يستمر بهذه الكتاتيب، وأنه لابد أن يلتحق بالمدرسة الإعدادية فوافق الوالد بعد عنت شديد بشرط أن يتم الإمام الشهيد حفظ القرآن من منزله»(١).

«وما جاء أول الأسبوع حتى كان الغلام (حسن البنا) طالبًا بالمدرسة الإعدادية يقسم وقته بين الدرس نهاراً وتعلم حرفة الساعات التى ألم بها بعد الانصراف من المدرسة إلى العشاء، ويستذكر هذه الدروس بعد ذلك إلى النوم ويحفظ حصة من القرآن الكريم بعد صلاة الصبح حتى يذهب إلى المدرسة»(٢).

وقد شارك الإمام الشهيد أثناء دراسته بالمدرسة الإعدادية فى جمعية منع المحرمات، كما كان رئيسًا لمجلس إدارة جمعية الأخلاق الأدبية وكانت تحت إشراف أحد أساتذة المدرسة، واستمر الإمام البنا فى هذه المدرسة لمدة سنتين حتى ألغيت المدارس الإعدادية واستبدلت بنظام المدارس الابتدائية.

مدرسة المعلمين الأولية:

يقول الإمام الشهيد عن كيفية التحاقه بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور: «وكان هذا الطالب (حسن البنا) قد وفى بعهده فاستمر بحفظ القرآن الذى خرج به من مدرسة الرشاد وأضاف إليه ربعا آخر إلى سورة «يس»، وقرر مجلس مديرية البحيرة إلغاء نظام المدارس الإعدادية وتعديلها إلى مدارس ابتدائية، فلم يكن أمام الطالب إلا أن يختار بين أن يتقدم إلى المعهد الدينى بالإسكندرية ليكون أزهريًا أو مدرسة المعلمين الأولية بدمنهور ليختصر الطريق ويكون بعد ثلاث سنوات معلمًا، ورجحت كفة الرأى الثانى فى النهاية وجاء موعد تقديم الطلبات وتقدم بطلبه فعلاً، ولكنه كان أمام عقبتين: عقبة السن فهو ما يزال فى منتصف الرابعة عشرة وأقل سن القبول أربع عشرة سنة كاملة، وعقبة إتمام حفظ القرآن الكريم إذ أن ذلك هو شرط القبول فى الدخول ولابد من أداء امتحان شفهى فى القرآن الكريم، ولقد كان ناظر المدرسة حينذاك، وهو الأستاذ «بشير

---

(١) أحمد حسن شوربجى، حسن البنا مجدد القرن الرابع عشر ص ٦٦، ٦٧.

(٢) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ص ١٥.

الدسوقى موسى » كريمًا متلطفًا، فتلطف بالطالب وتجاوز عن شرط السن وقبل منه التعهد بحفظ ربع القرآن الباقى، وصرح له بأداء الامتحان التحريرى والشفهى فأداهما بنجاح، ومنذ ذلك الوقت أصبح طالبًا بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور[1]، وكان للإمام الشهيد فى هذه الفترة نظام حياة لا يكاد يتبدل إلا فى الطارئ الشديد فيقول: «كنت أمضى الأسبوع المدرسى فى دمنهور، وأعود ظهر الخميس إلى المحمودية حيث أمضى ليلة الجمعة وليلة السبت، ثم أعود صباح السبت إلى المدرسة فأدرك الدرس الأول فى موعده. وكان لى فى المحمودية مآرب كثيرة تقضى فى هذه الفترة غير زيارة الأهل وقضاء الوقت معهم، فقد كانت الصداقة بينى وبين الأخ أحمد أفندى السكرى قد توثقت أواصرها إلى درجة أن أحدنا ما كان يصبر أن يغيب عن الآخر طوال هذه الفترة أسبوعًا كاملاً دون لقاء، يضاف إلى ذلك أن ليلة الجمعة فى منزل الشيخ شلبى الرجَّال بعد الحضرة (حيث كنا نتدارس فيها كتب التصوف من الإحياء والياقوت والجواهر وغيرها، ونسمع أحوال الأولياء، ونذكر الله إلى الصباح) كانت من أقدس مناهج حياتنا، وكنت قد تقدمت فى صناعة الساعات وفى صناعة التجليد أيضًا، أقضى فترة النهار فى الدكان صانعًا وفترة الليل مع الإخوان الحصافية ذاكرًا. ولهذه المآرب جميعًا لم أكن أستطيع أن أتخلف عن الحضور يوم الخميس إلا لضرورة قاهرة، وكنت أنزل من قطار الدلتا إلى الدكان مباشرة، فأزاول عملى فى الساعات إلى قبيل المغرب حيث أذهب إلى المنزل لأفطر إذ كان من عادتنا صوم الخميس والاثنين ثم إلى المسجد الصغير بعد ذلك للدرس والحضرة ثم إلى منزل الشيخ شلبى الرجال أو منزل أحمد أفندى السكرى للمدارسة والذكر ثم إلى المسجد لصلاة الفجر، وبعد ذلك استراحة يعقبها الذهاب إلى الدكان وصلاة الجمعة والغداء والدكان إلى المغرب فالمسجد فالمنزل وفى الصباح إلى المدرسة، وهكذا دواليك فى ترتيب لا أذكر أنه تخلف أسبوعًا إلا لضرورة طارئة»[2].

وكانت هذه المرحلة مرحلة تحول فى حياة الإمام البنا من الناحية العلمية والثقافية «فقد كانت أيام مدرسة المعلمين فى سنواتها الثلاث أيام استغراق فى التصوف والتعبد، ولكنها مع ذلك لم تخل من إقبال على الدروس وتحصيل العلم خارج حدود المناهج

---

(١) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ص ١٠.

(٢) المرجع السابق ص ٣٠.

المدرسية، ومرد ذلك إلى أمرين، أولهما: مكتبة الوالد وتشجيعه له على القراءة وإهدائه إياه كتبا كان لها أبلغ الأثر فى نفسه ومن أمثلتها: (الأنوار المحمدية للنبهانى) و(مختصر المواهب اللدنية للقسطلانى) و(نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للشيخ الخضرى)، وقد صارت له – بناء على هذا التوجيه وما تولد منه من شغف بالمطالعة وإقبال عليها – مكتبة خاصة فيها مجلات قديمة وكتب متنوعة».

أما الأمر الثانى: فهو تشجيع المدرسين المخلصين للإمام الشهيد وصلته الروحية بهم أمثال الأستاذ عبد العزيز عطية ناظر مدرسة المعلمين حينذاك والأستاذ فرحات سليم، والأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو علام والأستاذ الحاج على سليمان والأستاذ الشيخ البسيونى. ومن الأمثلة أن الأستاذ عبد العزيز عطية ذات مرة اختبر الطلاب فى مادة التربية العملية اختباراً شهرياً وأعجبته إجابة الإمام الشهيد فكتب على ورقته: أحسنت جداً ولو كان هناك زيادة على النهاية لأعطيتك. وحجز الورقة بيده عند التوزيع ثم طلب الإمام الشهيد وسلمه ورقته وزوده بكثير من عبارات النصح والتشجيع والحث على القراءة والدرس والمطالعة، كما اختصه بتصحيح بعض «بروفات» كتابه «المعلم» فى التربية الذى كان يطبع إذ ذاك بمطبعة المستقبل بدمنهور.

وأدى الإمام الشهيد امتحان كفاءة التعليم فكان الأول فى المدرسة والخامس فى القطر(١)، وكانت هذه النتيجة مفاجأة للإمام الشهيد وكان نجاحه فى دخول دار العلوم مفاجأة ثانية، وكانت مفاجأة ثالثة – كما يقول هو –: «أن مجلس مديرية البحيرة قرر تعيينى فعلاً مدرسًا بمدرسة خربتا الأولية، ودعيت إلى تسلم عملى عقب الإجازة الصيفية مباشرة، فكان على – بناء على هذا – أن أختار بين الوظيفة أو العودة إلى طلب العلم بدار العلوم ولكنى فى النهاية فضلت أن أستمر فى سلك التعلم، و أن أشد الرحال إلى القاهرة، حيث دار العلوم(٢).

دار العلوم:

القدر يدخل البنا دار العلوم:

نظراً لما كان عليه الإمام الشهيد من علم غزير عرض عليه بعض زملائه المذاكرة معًا للتقدم إلى دار العلوم العليا، ويقول الإمام الشهيد فى ذلك: «هذه الثروة العلمية

(١، ٢) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ص ٤٦.

وجهت نظر بعض إخواننا الذين كانوا يعدون أنفسهم للتقدم إلى دار العلوم العليا فى ذلك الوقت من مدرسى المدرسة الأولية الملحقة بالمعلمين إلى أن يعرضوا على أن نذاكر معًا لنتقدم معًا، وفى مقدمتهم الأخ العزيز الشيخ على نوفل[1]، وقد رغب أن نذاكر معًا ونتقدم معًا إلى دار العلوم العليا وكانت دار العلوم حينئذ قسمين: القسم التجهيزى، وهذا يتقدم إليه من شاء من طلاب الأزهر ومدارس المعلمين، والقسم العالى المؤقت ويتقدم إليه من شاء كذلك من هؤلاء الطلاب، ويكونون غالبًا قد حصلوا على الشهادة الثانوية الأزهرية، وكان القسم العالى هذا لم يبق للتقدم إليه إلا هذا العام (عام ٢٣-٢٤ الدراسى) ثم يلغى ليحل محله القسم العالى الذى يستمد من التجهيزى وكثر الإقبال على القسم العالى المؤقت على اعتبار أنها الفرصة الوحيدة لمن يريدون اللحاق به.

«وأراد الأستاذ الشيخ على نوفل أن نذاكر معًا، وكنت فى السنة الثانية أى فى السنة التى سأؤدى فيها امتحان شهادة الكفاءة للتعليم الأولى، وكان هو مدرسًا بالملحقة للمعلمين، فاعتذرت عن المذاكرة معه ولكنه دخل علىَّ من باب حقوق الأخوة ووجوب معاونة الإخوان والاستماع لرأيهم، فلم أر بدًا من الإصغاء إليه»[2]، وكان للإمام البنا رأى فى العلم تأثرًا برأى الإمام الغزالى فى أن العلم الواجب هو العلم المحتاج إليه فى أداء الفرائض وكسب العيش ثم الانصراف بعد ذلك إلى العمل، وظل يتساءل بينه وبين نفسه لماذا يريد دخول دار العلوم، هل للاستزادة من العلم، فالعلم موجود فى الكتب وعند العلماء، أما إذا كانت للدنيا فهذا شر ما يعمل له إنسان وتغلبت هذه الفلسفة على نفسه حتى استطاع أحد أساتذته أن يقنعه بخلاف ذلك، يقول الإمام الشهيد: كادت هذه الفلسفة تغلب على نفسى بل هى قد تغلبت فعلاً، فلم أذاكر مع الأخ الأستاذ نوفل تذممًا، ولكن أستاذنا الشيخ فرحات سليم - رحمه الله - وكان يحبنى حبًا جمًا ويظهر عطفه على فى كل مناسبة، وينزل من نفسى منزلة كريمة، استطاع بلباقة ولطف أن يدفعنى إلى المذاكرة بجد، وإلى التقدم إلى دار العلوم فعلاً، وكان من قوله:

(١) الشيخ على نوفل هو الأستاذ على نوفل ولم يوفق فى دخول دار العلوم للرسوب فى الكشف الطبى وانتسب إلى كلية الآداب وحصل منها على الليسانس، كما جاء فى مذكرات الدعوة والداعية للإمام البنا.

(٢) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية، ص ٣٨.

إنك الآن على أبواب شهادة الكفاءة والعلم لا يضر، وتقدمك إلى امتحان دار العلوم تجربة للامتحانات الكبيرة، وهذه فرصة لا تعوض، فتقدم لتحفظ لنفسك حقها، وأنا واثق من نجاحك إن شاء الله، ثم أمامنا بعد ذلك مجال نفكر فيه كما تشاء ولك أن ترفض أو تدخل، وهكذا استطاع بتأثيره القوى أن يدفعنى دفعًا إلى التقدم بطلبى مع المتقدمين فتقدمت، وكان الامتحان قبل امتحان شهادة الكفاءة بفترة قليلة»(١).

دخول دار العلوم:

تقدم الإمام البنا لدخول دار العلوم وأخطر بميعاد الكشف الطبى والامتحان وكان ذلك فى رمضان، وكان أبوه قد أرسله إلى أحد أصدقائه من تجار الكتب الميسورين بالقاهرة ليعاونه ولكن هذا الرجل لم يعاونه فى شيء، ثم ذهب الإمام الشهيد لأحد أصدقائه الذين سبقوه إلى دار العلوم بعام وهو الأستاذ محمد شرف حجاج لسؤاله عن طريقة الكشف الطبى والامتحان، وقد نصحه صديقه بعمل نظارة طبية، وأثناء زيارته للأزهر قابل بعض الطلاب الراغبين فى دخول دار العلوم، يقول الإمام عن ذلك: «كان عملى فى اليوم الثانى منذ الصباح أن قصدت إلى ذلك التاجر الكتبى، بعد أن ذهبت إلى صديقى فى المدرسة، ليدلنى على صانع نظارات ليصنع لى نظارة طبية استعداداً للكشف، ولكنه أعرض كعادته فلم أشا أن أضيع الوقت، وذهبت من فورى إلى الأزهر ودخلته لأول مرة وراعنى ما رأيت من سعة وبساطة، وحلق الطلاب فيه يدرسون ويذاكرون ووقفت على الحلق واحدة فواحدة، ثم رأيت حلقة يتحدث أهلها عن دخول دار العلوم، وفهمت أنهم متقدمون لامتحانها الذى سيكون بعد نحو عشرة أيام، وللكشف الذى سيتم بعد ثلاثة أيام تقريبًا فاندمجت فيهم، وتحدثت إليهم عن رغبتى وعن حاجتى إلى من يرشدنى إلى طبيب لأصنع نظارة طبية، فتطوع معى أحدهم وقام من فوره إلى عيادة دكتورة يونانية – فيما أظن – ولكنها متمصرة، وصفها بالحذق والمهارة، وأنها صنعت له نظارة مناسبة مع اعتدال القيمة، وعندما وصلنا إليها بدأت عملها وأخذت فى نظير الكشف خمسين قرشًا، ودلتنا على محل النظارات الذى أخذ بدوره ثمنًا للنظارة مائة وخمسون قرشًا وأنجز النظارة فوراً، وبذلك لم يبق أمامى إلا انتظار الكشف بعد يومين(٢).

---

(١) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية، ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٣، ٤٤.

الكشف الطبى لدخول دار العلوم:

يقول الإمام الشهيد: «ولست أبالغ حين أقول إن التوفيق حالفنى فى هذا الكشف محالفة عجيبة فى الوقت الذى رأيت بعض من أعرف يخونهم الحظ «وسبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامة» لقد كان الأطباء ثلاثة، وكنت آخر اسم فى الكشف من نصيب أولهم وهو أطيبهم وأيسرهم كشفًا، وكان الأخ على نوفل من نصيب ثالثهم، وهو أقساهم قلبًا وكشفا، وبقدر ما كانت نسبة النجاح عند طبيبى عالية، كانت نسبة الرسوب عند هذا الآخر أعلى، فنجحت مع شكى التام فى النجاح، ورسب هو مع تأكده التام من سلامة بصره وبدنه ومع استعداده الكامل لهذا النجاح»(١).

النجاح فى امتحان القبول:

يقول الإمام عن ذلك: «ظهرت نتيجة الكشف وكانت فى الحقيقة مفاجأة لى أن أكتب من الناجحين، ولذلك واجهت مهمة الامتحان فى جد لا هزل معه، فلم يكن إلا الجد ولم يبق إلا أسبوع واحد فلا ينفع إلا التبتل، وقد كان، فقد حملت أمتعتى وكتبى ويممت شطر الأزهر المعمور، وهناك، وفى القبلة القديمة بالضبط حططت رحالى، وتعرفت إلى بعض الزملاء المتقدمين إلى دار العلوم، ونوينا الاعتكاف هذا الأسبوع للعلم وللبركة معًا نتناوب الخروج لإحضار طعام الإفطار والسحور، ونتناوب الحراسة فى النوم فلا ننام إلا غراراً، وقاتل الله علم العروض فلم أكن أفقه شيئًا من زحافه وعلله وضروبه وقوافيه وكان جديداً على بكل معنى الكلمة، ولكنى أخذت أستذكر والسلام، وكنت أخشى النحو والصرف إذ كنت أتصور أننى لا أشق فيهما غبار الطلاب المتقدمين من الأزهريين الذين جاوزوا الشهادة الأهلية ودرسوا فى السنوات العالية، نعم إننى أحفظ الألفية، وقرأت شرح ابن عقيل عليها، وشاركنى الوالد فى بعض هذه الشئون، ولكنها لم تكن الدراسة المنظمة التى تهدأ معها النفس، ويسكن لها القلب، وجاءت أيام الامتحان ومرت بسلام، ولا زلت أذكر بيت العروض الذى امتحنا فيه وأذكر أنه طلب إلينا أن نقطعه ونذكر ما فيه من علل وزحاف ومن أى بحر هو:

لو كنت من شيء سوى بشر ... كنت المنور ليلة البدر(٢)

وقد كانت عناية الله تلحظ الإمام الشهيد فقد روى الأستاذ محمود عبد الحليم أن الإمام الشهيد حدثه عن قبوله فى دار العلوم فقال: «ولما حان موعد الامتحان للالتحاق

(١، ٢) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية، ص ٤٤، ٤٥.

بدار العلوم نفسها وجد أن مطالب الحياة الضرورية لم تدع له وقتًا تؤهله مذاكرته فيه أن يدخل الامتحان، فشكا إلى الله الذى يعلم أنه لم يقصر لحظة واحدة.. يقول رحمه الله: «ونمت ليلة الامتحان فإذا بى أرى فيما يرى النائم رجلاً يواسينى ويقول لى: التفت إلىَّ فالتفت إليه فإذا بيده كتاب المادة التى سأمتحن فيها فى الصباح، فيفتح الكتاب عند صفحة معينة ويشير إلىَّ أن أقرأ حتى إذا قرأت الصفحة فتح الكتاب عند صفحة أخرى فأقرأها، وهكذا حتى أنهى الكتاب فأغلقه وتركنى، فلما أصبحت وجدتنى حافظًا كل ما قرأت – وكانت هذه طبيعتى أن أحفظ ما أقرأه – ودخلت الامتحان فإذا الأسئلة كلها هى نفس ما قرأته فى الرؤيا.. وهكذا مرت ليالى الامتحان وأيامه على هذا النحو وظهرت النتيجة وكنت الأول والحمد لله»(١).

ويحكى الإمام الشهيد هذا الأمر فى كتابه مذكرات الدعوة والداعية وبخاصة ليلة امتحان النحو والصرف فيقول: «وإن من فضل الله تبارك وتعالى أنه يطمئن ويسكن نفوس عباده، وإذا أراد أمرًا هيأ له الأسباب. فلا زلت أذكر أن ليلة امتحان النحو والصرف (وليس الجبر كما جاء فى بعض القول) رأيت فيما يرى النائم: أننى أركب زورقًا لطيفًا مع بعض العلماء الفضلاء الأجلاء يسير بنا الهوينى فى نسيم ورخاء على صفحة النيل الجميلة، فتقدم أحد هؤلاء الفضلاء، وكان فى زى علماء الصعيد، وقال لى: أين شرح الألفية لابن عقيل؟ فقلت: ها هو ذا، فقال: تعال نراجع فيه بعض الموضوعات، هات صفحة كذا وصفحة كذا لصفحات بعينها، وأخذت أراجع موضوعاتها حتى استيقظت منشرحًا مسرورًا. وفى الصباح جاء الكثير من الأسئلة حول هذه الموضوعات، فكان ذلك تيسيرًا من الله تبارك وتعالى، والرؤيا الصالحة عاجل بشرى المؤمن والحمد لله رب العالمين»(٢).

يقول الإمام رحمه الله: «وغدوت يوم افتتاح الدراسة إلى دار العلوم وكلى شوق إلى العلم، وقد وجهنى الله إلى الدرس توجيهًا حميدًا، ولا أنسى الحصة الأولى ولم نكن قد تسلمنا الكتب والأدوات بعد، وقد وقف أستاذنا الشاعر البدوى الشيخ محمد عبد المطلب – أغدق الله عليه شآبيب الرحمة والرضوان – أمام السبورة على المنصة بقامته

(١) محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ – الجزء الأول ص ٥٧، ٥٨.
(٢) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية، ص ٤٥.

المديدة يحيى الطلبة الجدد، ويتمنى لهم النجاح والتوفيق، ثم كتب على السبورة، قال عبيد بن الأبرص:

ولنا دار ورثنا مجدها الـ ... أقدم القدموس عن عم وخال

منزل منه آباء ورثونا ... المجد فى أولى الليالى

ثم أمسك بطوق جبته الأعلى، على عادته - رحمه الله - وقرأها فى جرس يحمل معنى الفخار والاعتزاز، ثم طالبنا بإعرابهما، فقلت فى نفسي: «بدأنا الجد من أول يوم» وأخذت أتساءل: ما هذا القدموس؟ ولماذا قال «منه» وكان فى وسعه أن يقول أسسه؟ وما زلنا ننحت فى إعراب البيتين حتى نقلنا الحوار إلى الكلام عن عبيد بن الأبرص والحياة العربية وما فيها من خشونة ولين وأيام العرب وأوابدها وأدواتها فى حربها وسلمها، وأنواع الرماح والسيوف والسهام إلى السهم الريش والذى لا ريش له، واستشهد الأستاذ بالبيت المعروف:

رمتنى بسهم ريشه الكحل لم يضر ... ظاهر جلدى وهو للقلب جارح

وأخذ يرسم على السبورة السهام بأنواعها، وأنا مأخوذ بهذا النوع من الاستطراد والتوسع فى البحث، أتابعه بشغف وشوق، وزادنى هذا الأسلوب للعلم حبًا، ولدار العلوم وأساتذتها احترامًا وتقديرًا وعجبًا»[1].

وتفوق الإمام الشهيد من السنة الأولى لدراسته فى دار العلوم وكان الثالث على دفعته. ولم يكتف الإمام الشهيد بما كان يدرسه فى دار العلوم، ولكنه كان محبًا للعلم وتحصيله بشتى الطرق، فقد كان يتردد على المكتبات وكبار المفكرين والعلماء فى ذلك العصر.

ولم يكتف الإمام الشهيد بكل ذلك بل جعل المكافأة الشهرية التى كانت تمنحها له دار العلوم لشراء الكتب النافعة، وقد قرأ الإمام الشهيد فى شتى مجالات المعرفة، وتشكلت ثقافته من كل أصناف ميراث الحضارة الإسلامية والتاريخ. فقرأ للغزالى المتصوف والزمخشرى المعتزلى وفخر الدين الرازى الفيلسوف وأبى الحسن الأشعرى (مؤسس المدرسة الأشعرية) بالإضافة إلى كتابات السلف والأئمة الصوفية، كما قرأ لديكارت وإسحق نيوتن وميشال الفلكى الإنجليزى وهربرت اسبنسر واستشهد بهم»[2].

---

(١) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية، ص ٤٧.

(٢) حسن مكى محمد أحمد، حركة الإخوان فى السودان ص ١٥٦.

وقد كان الإمام الشهيد لا يكتفى بمجرد القراءة العابرة فى المجالات المختلفة فيعرف شيئًا عن شيء بل كانت ثقافته موسوعية، فقد كان يعرف التطور التاريخى لكل علم وأصوله لا سيما فى اللغة والشرع، حتى أنه كتب فى كثير من علوم اللغة والشرع. ويروى الأستاذ محمود عبد الحليم عن امتحانه فى دبلوم دار العلوم فيقول نقلاً عن الإمام الشهيد: «وكان امتحان الأدب العربى هو الامتحان الرئيس فى الدار وكان الامتحان فيه تحريريًا وشفويًا، فلما مثلت بين يدى لجنة الامتحان الشفوى فى امتحان الدبلوم النهائى لدار العلوم سألنى رئيس اللجنة عما احفظ من الشعر فقدمت إليه الكراريس فقال لى: ما هذه الكراريس؟ قلت: إن ما فيها هو ما احفظه! فتعجب الرجل وقال: هل انت على استعداد أن أسمع منك اية قصيدة أختارها من هذه الكراريس؟ فاجبته بالإيجاب، فطفق يطلب إلى ان اقرأ فاقرأ حتى اطمان إلى اننى احفظ ما فيها جميعًا. ثم قال لى: إنى اسالك السؤال الأخير: ما احسن بيت اعجبك فى الشعر العربى؟ قلت: احسن بيت اعجبنى هو قول طرفة بن العبد فى معلقته:

إذا القوم قالوا من فتى خلت أننى عُنيت فلم أكسل ولم اتبلد

قال: قم يا بنى هذا سؤال يسأل للنابهين من الطلبة فى كل عام هنا، وفى الأزهر فلم يجب أحد بمثل ما اجبت إلا الشيخ محمد عبده.. إننى اتنبأ لك يا بنى بمستقبل عظيم»(١).

ويقول الإمام الشهيد فى مذكراته: «ولا أنسى الامتحان الشفهى وقد تقدمت فيه إلى اللجنة وكانت مؤلفة من الأستاذ أبو الفتح الفقى رحمه الله، والأستاذ نجاتى، بمجموعة من المحفوظات بلغت ثمانية عشر الف بيت ومثلها من المنثور ومنها معلقة طرفة، فلم أسأل إلا فى بيت من المعلقة، واربعة ابيات من قصيدة شوقى فى نابليون ومناقشة حول عمر الخيام، وقضى الأمر ولم آسف على هذا المجهود، إذ كنت أبذله من أول يوم للعلم لا للامتحان»(٢).

ثانيًا: التكوين الثقافى:

مرت ثقافة الإمام البنا بمرحلتين: المرحلة الأولى وهى الثقافة الدينية الخالصة مع علوم اللغة وهى مرحلة ما قبل دار العلوم، ثم تنوعت مصادر ثقافته فشملت كل أنواع الثقافة سواء تاريخية أو اجتماعية أو غيرها من أنواع الثقافات.

(١) محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ الجزء الأول ص ٥٨.

(٢) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية، ص ٦٧، ٦٨.

وتمثلت ثقافته الدينية فى القرآن وعلومه والسنة وعلومها، بالإضافة إلى علوم اللغة وآدابها وعلوم التصوف والتاريخ والسير والمغازى، وكان فى كل هذه العلوم لا يأخذها من جانب واحد ولكن كان يقرأ للمختلفين فى وجهات النظر لا سيما فى المسائل الخلافية وقد كتب البنا بخط يده قصاصة من الورق موضوعة فى طيات كتاب «هذه هى الأغلال» ومن بين ما كتبه بخط يده فيها «ويل للذين ينظرون إلى الأشياء من جانب واحد، ويل لهم وويل للإنسان مَنهم، ولن تجد على وجه الأرض أشد منهم ظلمًا ولا أسقم فهمًا»(١).

مرحلة الثقافة الدينية:

كانت بداية حبه للاطلاع وكثرة المطالعة في الكتب الدينية عن طريق الشيخ زهران، فقد كان يصطحبه معه إلى مكتبته التى فيها الكثير من المؤلفات لقراءة بعض المسائل ومراجعتها، وكثيراً ما كان يحضر لقاءات الشيخ مع أهل العلم الذين يتناولون المسائل المختلفة بالبحث والنظر والنقاش(٢). كما كان لوالد البنا أثر كبير فى ثقافته حيث كان يشجعه على القراءة فى مكتبته الخاصة ويهديه بعض الكتب مثل (الأنوار المحمدية للنبهانى) و(مختصر المواهب اللدنية للقسطلانى) و(نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للشيخ الخضرى)، وغيرها من الكتب بل إن والده ساعده على تكوين مكتبة خاصة به وهو فى المرحلة الإعدادية، ومن شغف البنا بالقراءة كان يترقب الشيخ حسن الكتبى يوم السوق بفارغ الصبر ليستأجر كتبًا بالأسبوع لقاء مليمات ثم يردها ليأخذ غيرها وكان من أهم الكتب وأعظمها أثراً فى نفسه قصة الأميرة ذات الهمة وقصص الشجاعة والبطولة والاستمساك بالدين والجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الحق.

وكان لرعاية أساتذته له فى مدرسة المعلمين ومناقشاته المستمرة، وحسن توجيههم له الأثر فى دفعه إلى القراءة والتحصيل خارج نطاق الدراسة، فحفظ خارج مناهج الدراسة كثيراً من المتون فى العلوم المختلفة ومن أمثلتها (ملحمة الإعراب للحريرى) و(ألفية ابن مالك) و(الياقوتة فى المصطلح) و(الجوهرة فى التوحيد) و(الرجبية فى الميراث) وبعض متن (الغاية والتقريب لأبى شجاع فى فقه الشافعية) وبعض منطوق (ابن عامر فى مذهب المالكية)، وكانت لعبارة والده المأثورة «من حفظ المتون حاز

(١) الفكر السياسى للإمام حسن البنا: إبراهيم البيومى غانم، ص ١٦٠.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، ص ١٤.

الفنون » كذلك الأثر الطيب فى حفظه هذه المتون حتى أنه حاول حفظ متن (الشاطبية فى القراءات) مع جهله التام بمصطلحاتها[١].

وكان لعلاقة البنا بالطريقة الحصافية أثر فى ثقافته حيث درس كتب الصوفية على يد بعض المشايخ وكذلك درس الإحياء على يد الشيخ حسن خزبك[٢] وكذلك سمع أحوال الأولياء والياقوت والجواهر وغيرها[٣].

وكان لهذه الثقافات المتنوعة الأثر فى نفس البنا حتى أنه كتب بعض الشعر الوطنى، وقد جمع ديوانًا كبيراً من هذا الشعر الوطنى، كما ألف بعض المؤلفات فى الفقه على المذاهب الأربعة. وكذلك كتب هو وصديقه الأستاذ محمد على بدير قصة تودد الجارية[٤]. كما حاول تقليد أستاذه وشيخه الشيخ زهران فأصدر مجلة شهرية سماها الشمس وكتب منها عددين ثم توقف وذلك تقليداً للشيخ فى إصداره مجلة الإسعاد الشهرية وتشبهًا بمجلة المنار التى كان يكثر من مطالعتها.

مرحلة تنوع الثقافة:

كانت المرحلة الثانية (مرحلة دار العلوم) هى مرحلة تنوع الثقافة فلم تكن الدراسة جامدة، بل كان الطلاب والأساتذة يتناولون كثيراً من الأمور العامة سياسية كانت أو اجتماعية، وكانت المواد التى تدرس فى دار العلوم تتضمن علوم اللغة والأدب والشريعة والجغرافيا والتاريخ ومناهج التربية العلمية والعملية والاقتصاد السياسى[٥]، وكان للبنا لقاءات متعددة مع أعلام الفكر والثقافة فى عصره فكانت له لقاءات كثيرة مع السيد محب الدين الخطيب، والأستاذ الكبير محمد الخضر حسين، والأستاذ محمد أحمد الغمراوى، وأحمد باشا تيمور، وعبد العزيز باشا محمد، كما كان يلتقى والشيخ رشيد رضا، والشيخ عبد العزيز الخولى، والشيخ محمد العدوى، كان يلتقى بهم ويستفيد من علمهم وثقافتهم. كما كان البنا يغشى مجالس الشيخ يوسف الدجوى ويلتقى به ومن

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ص ٣٦، ٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٣.

(٥) الفكر السياسى للإمام البنا، إبراهيم البيومى غانم، ص ١٥٧.

يجالسه من العلماء ويشارك فى لقاءاتهم[١] وكذلك كان كثير اللقاء بالأستاذ محمد فريد وجدى حيث يغشى داره ويجلس للاستفادة من المناقشات التى كانت تتم بينه وبين العلماء من ضيوفه حيث يتدارسون علومًا فى شتى مناحى الحياة، وكان البنا من محبى قراءة مجلة الحياة وكان من عشاق دائرة معارفه[٢].

وتجلت ثقافة البنا فى رسائله وكتبه، وكثيراً ما تعرض لمواقف شتى تخلص منها بلباقته وسعة ثقافته. ففى بداية عهد الإسماعيلية تعرض له أحد المشايخ بسؤال أحرجه عن اسم والد سيدنا إبراهيم فقال البنا: إن اسمه تارخ ثم فسر له قول القائل بأن آزر عمه وليس أباه. ويدلل ذلك على إلمام البنا بما فى حواشى الكتب فضلاً عما تحتويه هذه الكتب من معلومات أساسية، وهناك موقف للبنا يدل على معرفته بأساليب ولغة أهل المهن المختلفة فضلاً عن إلمامه بالثقافات المختلفة فيروى لأبيه فى أحد خطاباته عن رحلة إلى بورسعيد قام بها مع ناظر المدرسة وبعض الزملاء فيقول: «أما الرحلة فقد أنتجت نتاجًا حسنًا بالنسبة لصلتى مع الناظر، وقد كانت مصادفات نتج عنها تقدير الرجل، فمن ذلك أنه بعد الغداء قام خطيبان من مدرسة بورسعيد يحيياننا، وكان الناظر تجاهى ولم يكن أحدنا محضراً شيئًا، فنظر إلى برأسه كالمستفهم فنظرت إليه مطمئنًا، وقمت بعدها فارتجلت كلمة كان لها وقع جميل جداً فى نفوس الجميع. ومن الطرائف أن أحد المحامين الأهليين كان حاضراً ونسيت عند الخطبة فقمت وعلى صدرى فوطة الطعام فقال ذلك المحامى: أنزل الفوطة أولا، فضحك القوم، ولكننى رددت عليه تواً بقولى: علها مقصودة أن أقوم ومعى شاهد إثبات على كرم الزملاء وأفضالهم فلا يتوجه إلى دفع الأستاذ، فكانت هذه أطرف من الأولى، وكذلك طلب إلى أن أتكلم فى الثورة الفرنساوية بمناسبة رواية سينمائية فشرحتها بإيضاح وبسط أدهش الإخوان المتخصصين فى التاريخ، وكان الناظر فى ذلك يتيه سروراً»[٣].

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ص ٥٩، ٦٠.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، ص ٦٧.

(٣) خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه ص ١٠٦.

الفصل الثانى

أضواء على الإمام البنا

المبحث الأول

حسن البنا داعية منذ الصغر

جمعية الأخلاق الأدبية:

« الدعوة إلى الله فى حقيقتها أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وتعاون على أداء هذا الواجب، وكان حسن البنا منذ صغره داعيًا إلى الله آمرًا بالمعروف وناهيا عن المنكر، يتعاون على فعل الخيرات مع أقرانه وإخوانه، فعندما دخل المدرسة الإعدادية شارك فى جمعية الأخلاق الأدبية وبرز فيها، وأصبح رئيسا لمجلس إدارة هذه الجمعية التى كانت لائحتها تدعو إلى مكارم الأخلاق وتغرم من يخطىء فى حق إخوانه مبلغا من المال ينفق فى أوجه الخير، ويذكر البنا ذكرياته مع هذه الجمعية فيقول فى كتاب مذكرات الدعوة والداعية: « وكانت لائحتها الداخلية تتلخص فى أن من شتم أخاه غرم مليما واحدا، ومن شتم الوالد غرم مليمين، ومن شتم الأم غرم قرشا، ومن سب الدين غرم قرشين ومن تشاجر مع آخر غرم مثل ذلك، وتضاعف هذه العقوبة لأعضاء مجلس الإدارة ورئيسه، ومن توقف عن التنفيذ قاطعه زملاؤه حتى ينفذ، وما يتجمع من هذه الغرامات ينفق فى وجوه من البر والخير، وعلى هؤلاء الأعضاء جميعًا أن يتواصوا فيما بينهم بالتمسك بالدين وأداء الصلاة فى أوقاتها، والحرص على طاعة الله والوالدين ومن هم أكبر سنا أو مقاما.

وكانت ثورة مدرسة الرشاد الدينية سببا فى أن يتقدم هذا الناشىء إخوانه. وأن تتجه إليه أنظارهم حتى إذا أريد اختيار مجلس إدارة جمعية الأخلاق الأدبية وقع اختيارهم عليه رئيسا لهذا المجلس، وزاولت الجمعية عملها وحاكمت الكثيرين على مخالفات وقعت منهم، وجمع من هذه الغرامات مبلغ من المال لا بأس به أنفق بعضه فى تكريم الزميل الطالب لبيب اسكندر شقيق طبيب الصحة الذى نقل إلى بلد آخر فنقل

أخوه معه وأنفق البعض الآخر فى تجهيز ميّت غريب غريق ألقى به النيل إلى جوار سور المدرسة فقامت الجمعية بتجهيزه من هذه الأموال(١).

ولم يكن نطاق دعوة البنا الأمر بالمعروف ونهيه عن المنكر لتحده جدران المدرسة الإعدادية، ولكن شأن كل داع إلى الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى كل وقت وفى كل مجال، يأمر الكبير والصغير ولا يخشى فى الله لومة لائم، فعندما مر على شاطىء النيل ولاحظ أن أحد أصحاب السفن المنشأة قد علق على ساريتها تمثالا خشبيا عاريا على صورة تتنافى مع الآداب، وبخاصة أن هذا الجزء من الشاطىء يتردد عليه السيدات والفتيات يستقين منه الماء، فماذا يفعل؟ يقول الإمام الشهيد: «فهالنى ما رأيت وذهبت فورا إلى ضابط النقطة – ولم تكن المحمودية قد صارت مركزا إداريا – وقصصت عليه القصص مستنكرا هذا المنظر، وقد أكبر الرجل هذه الغيرة وقام معى من فوره حيث هدد صاحب السفينة وأمره أن ينزل هذا التمثال فى الحال وقد كان» (٢).

وقد دافع عن حقه وحق زملائه فى الصلاة بالمسجد المجاور للمدرسة حتى كان له ما أراد، وذلك أن إمام المسجد خشى من الإسراف فى الماء والبلى على الحصر، فانتظر التلاميذ حتى انتهوا من صلاتهم ثم فرقهم بالقوة وتوعدهم وأنذرهم من تكرار الصلاة فى المسجد، فماذا يفعل هذا الصبى الصغير حال هذا الموقف؟ يقول الإمام: «كتبت إليه خطابا ليس فيه إلا هذه الآية ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢] ولا شىء غير ذلك، بعثت به إليه فى البريد مغرما واعتبرت أن غرامة قرش صاغ كافية فى هذا القصاص، وقد عرف رحمه الله ممن جاءته الضربة، وقابل الوالد شاكيا معاتبا، فأوصاه بالتلاميذ خيرا وكانت له معنا بعد ذلك مواقف طيبة عاملنا فيها معاملة حسنة، واشترط علينا أن نملأ صهريج المسجد بالماء قبل انصرافنا، وأن نعاونه فى جمع التبرعات للحصر إذا ما أدركها البلل وقد أعطيناه ما شرط»(٣).

جمعية منع المحرمات:

ولم يكتف البنا وأقرانه بالنشاط داخل المدرسة، إنما امتد نشاطه وأقرانه إلى خارج نطاق المدرسة، فأنشأ وأصحابه جمعية منع المحرمات وكانت جمعية تأمر بالمعروف

(١) مذكرات الدعوة والداعية: حسن البنا، ص ١٥، ١٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٦.

(٣) المرجع السابق ص١٧.

وتنهى الناس عن المنكر عن طريق إرسال خطابات إلى كل من يعرف عنه أنه ارتكب منكرا، ويقول عنها الإمام البنا فى مذكرات الدعوة والداعية: «وقرروا تأليف جمعية إسلامية باسم «جمعية منع المحرمات» وكان اشتراك العضو فيها يتراوح بين خمسة مليمات وعشرة أسبوعيا، وكانت أعمالها موزعة على أعضائها، فمنهم من كانت مهنته تحضير النصوص وصيغ الخطابات، وآخر مهنته كتابة هذه الخطابات بالحبر «الزفر» وثالث مهنته طبعها، والباقون توزيعها على أصحابها، وأصحابها هم الذين تصل إلى الجمعية أخبارهم بأنهم يرتكبون بعض الآثام أو لا يحسنون أداء العبادات على وجهها خصوصا الصلاة، فمن أفطر فى رمضان ورآه أحد الأعضاء بلغ عنه فوصله خطاب فيه النهى الشديد عن هذا المنكر، ومن قصر فى صلاته ولم يخشع فيها ولم يطمئن وصله خطاب كذلك، ومن تحلى بالذهب وصله خطاب فيه حرمة التحلى بالذهب شرعا، وأيما امرأة شاهدها أحد الأعضاء تلطم وجهها فى مأتم أو تدعو بدعوى الجاهلية وصل زوجها أو وليها خطاب، وهكذا ما كان أحد من الناس صغيرا أو كبيرا يعرف عنه شيء من المآثم إلا وصله خطاب من الجمعية ينهاه أشد النهى عما يفعل، وكان من اليسير على الأعضاء لصغر سنهم وعدم اتجاه الأنظار إليهم أو وقوع الشبهة عليهم أن يعرفوا كل شيء ولا يتحرز الناس منهم، وكان الناس يظنون أن هذا من عمل أستاذنا الشيخ زهران رحمه الله ويقابلونه ويلونه لوما شديدا ويطلبون إليه أن يتحدث إليهم فيما يريد بدلا من هذه الكتابة، والرجل يتنصل من ذلك ويدفع عن نفسه، وهم لا يكادون يصدقون حتى وصله ذات يوم خطاب من الجمعية يلفت نظره إلى أنه صلى فريضة الظهر بين السوارى وذلك مكروه وهو عالم البلد، فيجب عليه أن يبتعد عن المكروهات ليبتعد غيره من العوام عن المحرمات، وأذكر أن الشيخ رحمه اله دعانى حينذاك - وقد كانت صلتى مستمرة به فى الدروس العامة وإن كنت قد تركت مدرسته أو مكتبته - لنراجع معا هذا الحكم فى كتاب فتح البارى فى شرح صحيح البخارى، ولا زالت أذكر الموضع كأنه اليوم وكنت أقرأ له وأنا ابتسم وهو يتساءل عن هؤلاء الذين كتبوا له ووجد أن الحق معهم، وأنهيت ذلك إلى أعضاء الجمعية فكان سرورهم به عظيما.

واستمرت الجمعية تؤدى عملها أكثر من ستة أشهر وهى مثار عجب الناس ودهشتهم، حتى اكتشف أمرهم على يد صاحب قهوة استدعى راقصة فوصله خطاب من الجمعية وكانت الخطابات لا ترسل بالبريد اقتصادا فى النفقات، وإنما يحملها أحد

الأعضاء ويضعها فى مكان يلفت نظر صاحبها إليه فيتسلمها ولا يرى من جاء بها، لكن المعلم كان يقظان فشعر بحركة حامل الخطاب فقبض عليه بخطابه وعاتبه عتابا شديدا أمام من فى القهوة، وعرفت الجمعية عن هذا الطريق فرأى أعضاؤها أن يخففوا من نشاطهم ويعملوا بأسلوب آخر لمنع المحرمات(١).

جمعية الحصافية الخيرية:

كان ذلك إبان المرحلة الإعدادية، ولكن بعد أن انتقل إلى مدرسة المعلمين بدمنهور تطورت معارفه وتطورت معها أهدافه فى الدعوة إلى الله، وبمشاركة زميله أحمد أفندى السكرى أسسا «جمعية الحصافية الخيرية» وكان أحمد السكرى رئيسا لها بحكم السن والعمل وحسن البنا سكرتيرا لها. وكانت أهداف هذه الجمعية ومجال عملها فى ميادين أوسع وأشمل من الجمعيات الأولى فيقول الإمام الشهيد عن هذه الجمعية: «وزاولت الجمعية عملها فى ميدانين مهمين: الميدان الأول: نشر الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، ومقاومة المنكرات والمحرمات الفاشية كالخمر والقمار وبدع المآتم، والميدان الثانى: مقاومة الإرسالية الإنجيلية التبشيرية التى هبطت إلى البلد واستقرت فيها، وكان قوامها ثلاث فتيات رأسهن مسز (وايت)، وأخذت تبشر بالمسيحية فى ظل التطبيب وتعليم التطريز وإيواء الصبية من بنين وبنات، وقد كافحت الجمعية فى سبيل رسالتها مكافحة مشكورة وخلفتها فى هذا الكفاح جمعية «الإخوان المسلمين» بعد ذلك(٢).

محاربة الفساد فى القاهرة:

ولما انتقل البنا إلى القاهرة عند دخوله دار العلوم وشاهد فيها مظاهر التحلل والفساد، مما لا عهد له به فى حياة الريف، وقرأ فى الصحف كثيرا مما ينافى تعاليم الإسلام ورأى جهل العامة بأحكام الدين، ففكر فى تكوين دعاة إسلاميين من زملائه فى الأزهر ودار العلوم للدعوة إلى الله فى المساجد والمقاهى والمجتمعات العامة، وانطلق يدعو فى المقاهى ليكون قدوة عملية لزملائه ويحكى البنا فى مذكرات الدعوة والداعية كيف حاول محاربة المفاسد فى المجتمع عن طريق تكوين دعاة إسلاميين فيقول:

ففكرت فى أن أدعو إلى تكوين فئة من الطلاب الأزهريين وطلاب دار العلوم

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية: حسن البنا، ص ١٧، ١٨، ١٩.

(٢) المرجع السابق ص ٢٥.

للتدريب على الوعظ والإرشاد فى المساجد ثم فى المقاهى والمجتمعات العامة، ثم تكون منهم بعد ذلك جماعة تنتشر فى القرى والريف والمدن الهامة لنشر الدعوة الإسلامية.

وقرنت القول بالعمل فدعوت لفيفا من الأصدقاء للمشاركة فى هذا المشروع الجليل كان منهم الأخ الأستاذ محمد مدكور خريج الأزهر وكان لا زال مجاورا حينذاك، والأخ الأستاذ حامد عسكرية رحمة الله، والأخ الأستاذ أحمد عبدالحميد عضو الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمين الآن وغيرهم، كنا نجتمع فى مساكن الطلاب فى مسجد شيخون بالصليبة، ونتذاكر جلال هذه المهمة وما تستلزمه من استعداد علمى وعملى، وخصصت جزءا من كتبى كالإحياء للغزالى والأنوار المحمدية للنبهانى وتنوير القلوب فى معاملة علام الغيوب للشيخ الكردى، وبعض كتب المناقب والسير، لتكون مكتبة دورية خاصة بهؤلاء الإخوان يستعيرون أجزاءها، ويحضرون موضوع الخطب والمحاضرات منها.

الدعوة على المقاهى:

وجاء الدور العملى بعد هذا الاستعداد العلمى فعرضت عليهم أن نخرج للوعظ فى المقاهى، فاستغربوا ذلك وعجبوا منه وقالوا: إن أصحاب المقاهى لا يسمحون بذلك ويعارضون فيه لأنه يعطل أشغالهم، وإن جمهور الجالسين على هذه المقاهى هم قوم منصرفون إلى ما هم فيه وليس أثقل عليهم من الوعظ، فكيف نتحدث فى الدين والأخلاق لقوم لا يفكرون إلا فى هذا اللهو الذى انصرفوا إليه؟ وكنت أخالفهم فى هذه النظرة وأعتقد أن هذا الجمهور أكثر استعدادا لسماع العظات من أى جمهور آخر حتى جمهور المسجد نفسه، لأن هذا شيء طريف وجديد عليه والعبرة بحسن اختيار الموضوع، فلا نتعرض لما يجرح شعورهم، وبطريقة العرض فتعرض بأسلوب شائق جذاب وبالوقت فلا نطيل عليهم القول.

ولما طال بنا الجدل حول هذا الموضوع قلت لهم: ولم لا تكون التجربة هى الحد الفاصل فى الأمر؟ فقبلوا ذلك وخرجنا فبدأنا بالمقاهى الواقعة بميدان صلاح الدين وأول السيدة عائشة ومنها إلى المقاهى المنتشرة فى أحياء طولون إلى أن وصلنا من طريق الجبل إلى شارع سلامة، والسيدة زينب، وأظننى ألقيت فى هذه الليلة أكثر من عشرين خطبة تستغرق الواحدة منها ما بين خمس دقائق إلى عشر.

ولقد كان شعور السامعين عجيبا، وكانوا ينصتون فى إصغاء ويستمعون فى شوق، وكان أصحاب المقاهى بنظرون بغرابة أول القول ثم يطلبون المزيد منه بعد ذلك، وكان بعض هؤلاء يقسم بعد الخطبة أننا لابد أن نشرب شيئا أو نطلب طلبات، فكنا نعتذر لهم بضيق الوقت، وبأننا نذرنا هذا الوقت لله فلا نريد أن نضيعه فى شىء، وكان هذا المعنى يؤثر فى أنفسهم كثيرا، ولا عجب فإن الله لم يرسل نبيا ولا رسولا إلا كان شعاره الأول ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ [االأنعام: ٩٠] لما لهذه الناحية العفيفة من أثر جميل فى نفوس المدعوين.

لقد نجحت التجربة مائة فى المائة، وعدنا إلى مقرنا فى شيخون ونحن سعداء بهذا النجاح، وعزمنا على استمرار الكفاح فى هذه الناحية(١).

دعوة العلماء لمهاجمة الفساد فى المجتمع:

وبعد الحرب العالمية الأولى وإلغاء الخلافة الإسلامية فى تركيا انتشر تيار الإباحية والإلحاد حتى أصبح هو التيار السائد والمهيمن على الجامعة وعلى الحياة الأدبية والاجتماعية، لا سيما فى الطبقات الراقية. وكان لهذه الموجة رد فعل قوى فى الأزهر والأوساط المعنية بالشئون الإسلامية ولكن رد الفعل هذا لم يزد عن الكتابة فى بعض الصحف والمجلات واللقاءات التى لم تشف غليلا ولم ترد كيدا.

وفكر الإمام الشهيد – وهو لا يزال طالبا فى دار العلوم – فى عمل إيجابى يرد به الكيد، فقام بزيارة الشيخ يوسف الدجوى وكان من المشايخ العلماء المعدودين فى ذلك الوقت، وله صلات بأهل العلم والوجهاء، وتحدث معه فى جمع الجهود لعمل إيجابى يرد به الكيد عن الإسلام، ولكن الشيخ الدجوى نصحه بأنه لا فائدة من كل ذلك وحسب الإنسان أن يعمل لنفسه وأن ينجو بها من هذا البلاء وتمثل بهذا البيت من الشعر

وما أبالى إذا نفسى تطاوعنى على النجاة بمن قد مات أو هلكا

أوصاه أن يعمل بقدر استطاعته وأن يدع النتائج على الله ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، ولم يعجب البنا هذا الجواب فقال للشيخ الدجوى: «إننى أخالفك يا سيدى كل المخالفة فى هذا الذى تقول، وأعتقد أن الأمر لا يعدو أن يكون ضعفًا فقط وقعودا عن العمل وهروبا من التبعات، من أى شئ تخافون؟ من الحكومة أو

(١) مذكرات الدعوة والداعية: حسن البنا، ص ٥٣، ٥٤، ٥٥.

الأزهر؟ يكفيكم معاشكم واقعدوا فى بيوتكم واعملوا للإسلام، فالشعب معكم فى الحقيقة لو واجهتموه، لأنه شعب مسلم وقد عرفته فى المقاهى وفى المساجد وفى الشوارع، فرأيته يفيض إيمانا، ولكن قوة مهملة من هؤلاء الملحدين والإباحيين وجرائدهم ومجلاتهم لا قيام لها إلا فى غفلتكم، ولو تنبهتم لدخلوا جحورهم، يا أستاذ إن لم تريدوا أن تعملوا لله فاعملوا للدنيا وللرغيف الذى تأكلون، فإنه إذا ضاع الإسلام فى هذه الأمة ضاع الأزهر وضاع العلماء فلا تجدون ما تأكلون، ولا ما تنفقون، فدافعوا عن كيانكم إن لم تدافعوا عن كيان الإسلام، واعملوا للدنيا إن لم تريدوا أن تعملوا للآخرة وإلا فقد ضاعت دنياكم وآخرتكم على السواء.

وانقسم الناس بعد هذا الكلام إلى فريقين، فريق يتهم البنا بالإساءة إلى الشيخ وإلى علماء الأزهر، وبذلك فقد أساء إلى الإسلام. وفريق آخر يرى أن البنا لم يرد إلا أن يجتمع العلماء لنصرة الإسلام وأن الناس ستكون من خلفهم، ولم ينته الأمر إلى شئ إلا أن ينتقلوا إلى بيت أحد المشايخ الذى كان على موعد معهم لزيارتهم فانتقلوا إليه وتحرى البنا مكانًا قريبًا من الشيخ الدجوى وانتهز فرصة وكلم الشيخ الدجوى مرة أخرى فى الأمر، وأصر عليه فما كان من الشيخ الدجوى إلا أن أعطاه بعض النقل[1] ووعده بالتفكير فى الأمر، فرفض البنا هذا التفكير وقال له وللعلماء من حوله: «سبحان الله ياسيدى إن الأمر لا يحتمل تفكيرا، ولكن يتطلب عملاً ولو كانت رغبتى فى هذه النقل وأمثالها لاستطعت أن أشترى بقرش وأظل فى منزلى ولا أتكلف مشقة زيارتكم، ياسيدى إن الإسلام يحارب هذه الحرب العنيفة القاسية، ورجاله وحماته وأئمة المسلمين يقضون الأوقات غارقين فى هذا النعيم! أتظنون أن الله لا يحاسبكم على هذا الذى تصنعون؟ إن كنتم تعلمون للإسلام أئمة غيركم وحماة غيركم فدلونى عليهم لأذهب إليهم» فوجم الجميع وفاضت عين الشيخ وبعض الحاضرين بالدمع، ثم سأل الشيخ الإمام البنا وقال له: وماذا أفعل؟ قال له الإمام البنا: أريد أن تحصر أسماء من تتوسم فيهم الغيرة على الدين ليفكروا فيما يجب عمله، يصدرون مجلة يردون فيها على دعاة الإلحاد أو يؤلفون جمعيات يأوى إليها الشباب وينشطون حركة الوعظ والإرشاد، ووافق الشيخ وتم كتابة أسماء العديد من العلماء والوجهاء حتى تكونت نواة طيبة من هؤلاء العلماء كان

(١) بعض الحلوى.

من نتيجتها ظهور مجلة الفتح الإسلامية التى رأس تحريرها الشيخ عبد الباقى سرور، وكان مدير تحريرها السيد محب الدين الخطيب ثم آل تحريرها وإدارتها إليه، وكذلك كان من ثمرتها جمعية الشبان المسلمين»(١).

وظل حسن البنا يعيش بروح الداعية الذى يحب الخير للناس ويعتبر الدعوة إلى الله هى أفضل الأعمال وأزكاها، وكلما سنحت له فرصة للتعبير عن ذلك بالفعل أو بالقول استغلها أفضل استغلال، وعندما يطلب منه أستاذه فى دار العلوم كتابة موضوع إنشاء يعبر فيه عن طموحاته وآماله كان أعظم آماله كما يقول فى مذكراته: «وهو أن أكون مرشدا ومعلما إذا قضيت فى تعليم الأبناء سحابة النهار ومعظم العام قضيت ليلى فى تعليم الآباء هدف دينهم، ومنابع سعادتهم، ومسرات حياتهم، تارة بالخطابة والمحاورة، وأخرى بالتأليف والكتابة، وثالثة بالتجول والسياحة»(٢) وقد حقق الله له ذلك الأمر عندما أسس جماعة الإخوان المسلمين وأصبح مرشدا لها.

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية: حسن البنا، ص ٦٠، ٦١.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٥.

المبحث الثانى

حسن البنا بين السلفية والصوفية

السلفية:

نشأ حسن البنا فى بيئة سلفية حيث كان والده أحمد عبد الرحمن البنا من علماء الحديث الذى الزم نفسه وأهله بالتزام السنة، واشتغل بعلم الحديث وقام بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل واهتم بعلوم السنة وغيرها من العلوم، وقد حمل أهله على اقتضاء الصراط المستقيم، يقول إبراهيم البيومى غانم فى - الفكر السياسى لحسن البنا- : «ويبدو من استقرار سيرة الشيخ أحمد أنه كان يحمل نفسه وأهله على اقتضاء الصراط المستقيم من أداء للفرائض والتزام بالسنن النبوية(١). وقد كان لدى الشيخ أحمد مكتبة عظيمة أفاد منها الابن حسن الإفادة الكبيرة بالإضافة لتوجيهه الابن إلى كثرة المطالعة وحفظ القرآن ثم دفع الوالد بالابن إلى الشيخ محمد زهران ذلك العالم السلفى الذى وصفه حسن البنا بأنه «صاحب مدرسة الرشاد الدينية الرجل الذكى الألمعى، العالم التقى، الفطن اللقن الظريف، الذى كان بين الناس سراجًا مشرقًا بنور العلم والفضل يضئ فى كل مكان»(٢) الذى قام بتحفيظ الإمام البنا القرآن وكذلك تعليمه الإنشاء والقواعد والتطبيق والمطالعة والمحفوظات بالإضافة لسنة الرسول ﷺ عن طريق حفظ أحاديث الرسول ﷺ.

وكان هناك تعلق وحب شديد من الإمام البنا لأستاذه جعله يلازمه فى كثير من أوقاته ويستفيد من مكتبته، ويجالس العلماء الذين يأتون إلى الشيخ زهران ويستمع إلى مناقشاتهم ويتعلم منها.

وكان من نتاج هذه التربية التى أولاه إياها أبوه وشيخه وكذلك مشاركته ورئاسته لجمعية الأخلاق الأدبية وهو فى المدرسة الإعدادية، أن أصبح ذا شعور دينى قوى يدفعه إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومحاربة الرذائل والمنكرات، سواء كانت اعتقادية أو سلوكية أو غيرها من المنكرات، ودفعته هذه التربية إلى تكوين جمعية منع المحرمات هو

---

(١) الفكر السياسى للإمام حسن البنا، إبراهيم البيومى غانم ص ١٣٦ .

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا ص ١٣ .

وبعض أقرانه والتى كانت مهمتها تتلخص فى إرسال الخطابات إلى من يرتكبون بعض الآثام أو لا يحسنون أداء العبادات، ولم يمنعه حبه واحترامه لشيخه الشيخ زهران حين رآه يصلى الظهر بين السوارى (سوارى المسجد وذلك مكروه) أن يرسل إليه خطابًا يذكره فيه بأنه عالم البلدة والذى يجب أن يبتعد عن المكروه، وقد راجع الشيخ الحكم معه ووجد أن الصواب فى جانبه وعندما مر على الشاطئ ووجد أحد أصحاب السفن يعلق على ساريتها تمثالا خشبيًا عاريا وأن هذا الجزء من النيل تتردد عليه الفتيات والسيدات يستقين منه الماء، فهاله هذا المنظر وذهب من فوره إلى ضابط النقطة الذى كان إيجابيا وقام معه من فوره وأمر صاحب السفينة أن ينزل هذا التمثال من سارية السفينة.

وكان من نتاج هذه النشأة أيضًا محافظته على أداء الصلاة فى وقتها حتى لو تعارض ذلك مع أى شئ آخر، فيروى البنا أنه كثيرا ما جادل أساتذته الذين جادلوه على أداء صلاة العصر على وقتها وقد كان وقت أذانها فى أثناء الحصص، وقد برزت آثار التربية السلفية على حسن البنا فى ملابسه وزيه، فقد كان يذهب إلى المدرسة بالعمامة ذات العذبة ونعل كنعل الإحرام فى الحج ورداء أبيض فوق الجلباب وذلك لأنها السنة، ويدافع عن ذلك الزى وتلك الهيئة باعتبارها سنة الرسول ﷺ، ويحكى البنا ذلك فى مذكراته فيقول: «لفت زيّى نظر مدير التعليم إذ كنت ألبس عمامة ذات عذبة ونعلا كنعل الإحرام فى الحج ورداء أبيض فوق الجلباب فسألنى: لماذا ألبس هذا الزى؟ فقلت: إنها السنة فقال: وهل عملت كل السنن ولم يبق إلا سنة الزى؟ فقلت: لا ونحن مقصرون كل التقصير، ولكن ما نستطيع أن نفعله نفعله، قال: وبهذا الشكل خرجت عن النظام المدرسى. فقلت له: ولم ياسيدى؟ إن النظام المدرسى مواظبة ... وأنا لم أغب عن الدروس أبدا، وسلوك وأخلاق.. وأساتذتى راضون عنى والحمد لله، وعلم ودراسة.. وأنا أول فرقتى. ففيم الخروج على النظام المدرسى إذًا؟ فقال: ولكنك إذا تخرجت وأصررت على هذا الزى فسوف لا يسمح مجلس المديرية بتعيينك مدرسا حتى لا يستغرب التلاميذ هذا المظهر. فقلت: على كل حال هذا لم يجئ وقته بعد، وحين يجئ وقته يكون للمجلس الحرية ويكون لى الحرية كذلك، والأرزاق بيد الله وليست بيد المجلس ولا الوزارة»[1]. وظل البنا محافظا على هذا الزى حتى وصل إلى الفرقة الرابعة بدار العلوم فلبس لأول مرة (البدلة والطربوش) وإن ظل يكثر من لبس العمامة ذات

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا ص ٣٢ .

العدبة والرداء الأبيض فوق الجلباب، وظهرت آثار سلفية البنا حين عرف دعوة الإخوان بأنها دعوة سلفية .

الصوفية :

بدأت علاقة الإمام البنا بالصوفية وهو بالمدرسة الإعدادية بالمحمودية حينما كان يواظب على درس الشيخ زهران بين المغرب والعشاء، فشاهد الجلسات التى كانت تعقد بعد العشاء وجذبه إليها أصواتهم المنسقة الجميلة وروحانيتهم الفياضة، وسماحتهم مع الصبيان الصغار وتواضعهم لهم، فواظب الصبى حسن البنا على هذه الجلسات وتوطدت صلاته بالشباب منهم وتعرف فى هذه الحلقات على أحمد أفندى السكرى.

ثم واظب البنا على الوظيفة الزروقية صباحا ومساء والتى كانت عبارة عن بعض آيات القرآن وأحاديث من أدعية الصباح والمساء وضع والده عليها تعليقا جاء فيه بأدلة صيغها جميعًا تقريبًا من الأحاديث الصحيحة وسمى الرسالة « تنوير الأفئدة الزكية بأدلة أذكار الزروقية » .

ثم زاد تعلق البنا بالطريقة الحصافية ومؤسسها عندما قرأ كتاب « المنهل الصافى فى مناقب حسنين الحصافي » حيث تعرف على شيخ الطريقة الأول ووجد أنه عالم أزهرى تفقه على مذهب الإمام الشافعى وبلغ درجة عالية من العلم، وكان طائعًا لله محافظا على عباداته، ومؤديًا للفرائض حريصا على السنة والنوافل، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، منتصرا للكتاب والسنة محاربا للبدع والخرافات التى كانت منتشرة فى الطرق الصوفية حينذاك، وكان أعظم ما أثر فى نفس حسن البنا من سيرة هذا الشيخ هو أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، لا يخاف فى الله لومة لائم، يأمر الكبار والصغار، يأمر أتباعه ومريديه بالتزام السنة والشرع والبعد عن الخرافة وكذلك الكبار حتى الخديو توفيق.

وكان من تعلق البنا بشيخ الطريقة أن رآه فى المنام على صورة رسمها له فى خياله وزادته تعلقا به حيث يروى البنا : « وزادنى تعلقا بالشيخ الجليل رحمه الله أننى رأيت فى هذه الأثناء وعلى أثر تكرارى للقراءة فى المنهل، فيما يرى النائم أننى ذهبت إلى مقبرة البلد، فرأيت قبرا ضخما يهتز ويتحرك ثم زاد اهتزازه واضطرابه حتى انشق فخرجت منه نار عالية امتدت إلى عنان السماء، وتشكلت فصارت رجلا هائل الطول والمنظر، واجتمع الناس عليه من كل مكان فصاح فيهم بصوت واضح مسموع وقال لهم

أيها الناس: إن الله قد أباح لكم ما حرم عليكم فافعلوا ما شئتم. فانبريت له من وسط هذا الجمع وصحت في وجهه «كذبت» والتفت إلى الناس وقلت لهم: «أيها الناس هذا إبليس اللعين وقد جاء يفتنكم عن دينكم ويوسوس لكم فلا تصغوا إلى قوله ولا تسمعوا كلامه» فغضب وقال: «لابد من أن نتسابق أمام هؤلاء الناس فإن سبقتني ورجعت إليهم ولم أقبض عليك فانت صادق» فقبلت شرطه وعدوت أمامه بأقصى سرعتي وأين خطوى الصغير من خطوه الجبار، وقبل أن يدركني ظهر الشيخ - رحمه الله - من طريق معترض وتلقاني في صدره واحتجزني بيساره ورفع يمناه مشيرا بها إلى هذا الشيخ صائحًا في وجهه: «اخسأ يا لعين» فولى الأدبار واختفى، وانطلق الشيخ بعد ذلك فعدت للناس وقلت لهم: أرأيتم كيف أن هذا اللعين يضلكم عن أوامر الله(١).

«وظل البنا معلق العقل بالشيخ وبالطريقة حتى التقى بابن الشيخ وشيخ الطريقة السيد عبد الوهاب الحصافي الذي تلقى عن الطريقة الحصافية الشاذلية وبايعه وأذن له بأورادها ووظائفها.

لقد كان تعرف حسن البنا على الطريقة الحصافية وانضمامه لها من عناية الله به، فقد تعرف عليها وهو بين الثانية عشرة والرابعة عشرة من عمره في فترة البلوغ وفترة المراهقة فعصمه الانضمام من الانغماس في اللهو مثل أقرانه وكذلك عصمه من الانحراف، وربت فيه مراقبة الله والخوف من عذاب الله والرغبة في جنته، وكذلك وفرت له سبل تفريغ طاقته الروحية والجسمية بطريقة صحيحة. وقد وجد الإمام في بعض من سبقه في الطريقة أمثلة للتعبد الصحيح وكذلك بعض أهل العلم والعمل. وقد استفاد البنا من هذه الطريقة كثيراً.

فقد علمه شيخ الطريقة وابن مؤسسها الشيخ عبد الوهاب الحصافي البعد عن الجدل وعدم صرف الأوقات إلا في طاعة الله، وعدم شغل أوقات الأتباع إلا بالمفيد النافع، وقد كان الشيخ مثالا في ذلك وغيرها من الخصال النافعة.

يقول الإمام الشهيد: «وجزى الله عنا السيد عبد الوهاب خير الجزاء، فقد أفادتني صحبته أعظم الفائدة، وما علمت عليه في دينه وطريقته إلا خيرا، وقد امتاز في شخصيته وإرشاده ومسلكه بكثير من الخصال الطيبة: من العفة الكاملة عما في أيدي

(١) مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا ص ٢٣ .

الناس ومن الجد فى الأمور والتحرز من صرف الأوقات فى غير العلم أو التعلم أو الذكر أو الطاعة أو التعبد، سواء أكان وحده أم مع إخوانه ومريديه، ومن حسن التوجيه لهؤلاء الإخوان وصرفهم عمليا إلى الأخوة والفقه وطاعة الله.

وأذكر من أساليبه الحكيمة فى التربية أنه لم يكن يسمح للإخوان المتعلمين أن يكثروا الجدل فى الخلافيات أو المشتبهات من الأمور أو يرددوا كلام الملاحدة أو الزنادقة أو المبشرين - مثلا - أمام العامة من الإخوان، ويقول لهم: اجعلوا هذا فى مجالسكم الخاصة تتدارسونه فيما بينكم، فقد تعلق بنفس أحدهم الشبهة ولا يفهم الرد فيتشوش اعتقاده بلا سبب وتكونون أنتم السبب فى ذلك»(١).

وظهر أثر هذه التربية فى توجيهات الإمام البنا لإخوانه مثل «دع المراء فإنه لا يأتى بخير» وقوله: «الواجبات أكثر من الأوقات فعاون غيرك على أن ينتفع بوقته».

وقد كان لبعض الإخوان الحصافية فضل على البنا وأثر فى تربيته الروحية من حسن صلته بالله ومراقبته وخوف من عذابه ورغبة فيما عند الله فقد كان الشيخ محمد أبو شوشة من رجال الحصافية وكان يجمع بعض الشباب (وكان البنا يحضر هذه الاجتماعات) ويذهب بهم إلى المقبرة حيث تتم زيارة القبور ثم يجلسهم فى مسجد قريتهم. يذكرون الله ويذكّرهم ويعظهم ويعرفهم بسير الصالحين ويبصرهم بمصير الأولين والآخرين، ثم يأمر بعضهم بنزول القبر والاضطجاع فيه حتى يتذكر مصيره ثم يأمرهم بالتوبة إلى الله وبالإقلاع عن المعاصى(٢)، كما كان البنا يحضر دروسا فى شرح الإحياء للشيخ حسن خزبك وكان يعتكف الليالى الكثيرة مع الإخوان الحصافية سواء فى مسجد الحى أو مصلى الحطاطبة عند كوبرى إفلاقة(٣).

وكان انغماس البنا فى التصوف ومع الإخوان الحصافية يتيح له تفريغ طاقته الجسدية، فكان رغم قيامه الليل ومواظبته على مجالسهم بدمنهور يحضر دروسه بالمدرسة ويذاكر هذه الدروس بجد واجتهاد، فضلا عن مشاركته فى الأنشطة الطلابية والأنشطة الاجتماعية، وكذلك الأنشطة الوطنية، وكان فى أيام الجمع التى يقضيها فى دمنهور

(١) مذكرات الدعوة والداعية: حسن البنا ص ٢٤، ٢٥ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣ .

(٣) كوبرى بمدينة دمنهور.

يقوم هو وزملاؤه بزيارة مسجد إبراهيم الدسوقى سيرا على الأقدام جيئة وذهابا يقطعون فيها حوالى أربعين كيلو متراً سيراً على الأقدام(١).

أما إذا ذهب فى نهاية الأسبوع إلى المحمودية فإن هناك برنامجاً يستنفد طاقات هذا الغلام فيقول الإمام: «كنت أنزل من قطار الدلتا إلى الدكان مباشرة، فأزاول عملى فى الساعات إلى قبيل المغرب حيث أذهب إلى المنزل لأفطر إذ كان من عادتنا صوم الخميس والاثنين، ثم إلى منزل الشيخ شلبى الرجال أو منزل أحمد أفندى السكرى للمدارسة والذكر، ثم إلى المسجد لصلاة الفجر، وبعد ذلك استراحة يعقبها الذهاب إلى الدكان وصلاة الجمعة والغداء والدكان إلى المغرب فالمسجد فالمنزل وفى الصباح إلى المدرسة، وكان هذا البرنامج فى الصيف يضاف إليه عمل جديد وهو المذاكرة كل صباح من طلوع الشمس تقريباً إلى الضحوة الكبرى مع أستاذنا الشيخ محمد خلف نوح فى منزله(٢).

وقد ظل البنا فى الطريقة الحصافية حتى أسس جمعية الإخوان المسلمين، وقد تركت مرحلة التصوف آثارها على نفس البنا وأثرت فى دعوته، فنجد البنا يسمى أذكار الصباح والمساء بالوظيفة، وكذلك فى نظام الكتيبة نجد فيها الصلاة والقيام والتقشف فى المأكل والنوم وكذلك دروس التكوين الروحى، كل ذلك من آثار الصوفية وتجده يذكر فى خصائص دعوة الإخوان أنها حقيقة صوفية، والبنا فى ذلك يقصد بالصوفية ما كان يسميه «علوم التربية والسلوك» وهى التى ترسم له طريقا خاصا من مراحل الذكر والعبادة ومعرفة الله، ونهايته تكون إلى الجنة ومرضاة الله وهذا الذى قصده البنا من أن دعوته حقيقة صوفية.

---

(١) راجع مذكرات الدعوة والداعية ص ٣٠.

(٢) المرجع السابق ص ٣٥.

المبحث الثالث

البنا والحركة الوطنية

«على الرغم من انضمام البنا وهو فى سن صغيرة إلى الصوفية وانشغاله بالأوراد والصلاة وزيارة الأولياء، إلا أن ذلك لم يمنعه وهو تلميذ فى الإعدادية، وفى سن الثالثة عشرة من المشاركة فى الحركة الوطنية وقيادة زملائه فى المظاهرات والإضرابات التى كانت تنظم فى المدرسة، بل يكتب شعرا يرثى فيه الزعيم الوطنى محمد فريد، ويهاجم فى إصرار لجنة «ملنر» ولقد جمع من هذه البواكير ديوانًا كبيرا.

يقول الإمام البنا: «ولازلت أذكر يوم دخل علينا أستاذنا الشيخ محمد خلف نوح - المدرس بالمعارف بالإسكندرية - والدموع تترقرق فى عينيه فسألناه الخبر فقال: «مات محمد فريد بك» وأخذ يحدثنا عن سيرته وكفاحه فى سبيل الوطن حتى أبكانا جميعًا وأوحت لى هذه الذكرى ببعض أبيات لازلت أحفظ مطلعها وشطرًا آخر:

أفريد نم بالأمن والإيمان ... أفريد لا تجزع على الأوطان

أفريد تفديك البلاد بأسرها

ولازلت أذكر حديث الناس حول لجنة ملنر وإجماع الأمة على مقاطعتها، وكيف كان هذا الشعور فياضا غامرا حتى إنه يدفع بتلميذ الثالثة عشرة إلى أن يقول:

يا ملنر ارجع ثم سل ... وفدا بباريس أقام

وارجع لقومك قل لهم ... لا تخدعوهم يا لئام

فى قصيدة طويلة لا أذكر منها إلا هذين البيتين(١).

وبعد أن انتقل إلى مدرسة المعلمين بدمنهور استمر حسن البنا فى المشاركة فى فعاليات العمل الوطنى ضد الإنجليز وأعوانهم، وقد كان فى المقدمة من زملائه حيث كان رغم اشتغاله بالتصوف يعتقد أن الخدمة الوطنية جهاد مفروض لا مناص منه، وكان للبنا دور بارز مع الطلاب فى قيادة الإضرابات حيث كان من المجموعة القيادية، يقول البنا: «ولست أنسى أستاذنا الشيخ الدسوقى موسى ناظر المدرسة الذى كان يخشى هذه

(١) مذكرات الدعوة والداعية: حسن البنا ص ٣٣ .

التبعات كثيرا وقد أخذ بيدنا إلى مدير البحيرة حينذاك - محمود باشا عبد الرازق - وألقى مسئولية إضراب الغير علينا، وقال: إن هؤلاء هم الذين يستطيعون أن يقنعوا الطلاب بالعدول عن إضرابهم. وعبثا حاول محمود باشا أن يقنعنا بالوعد أو الوعيد أو بالنصح، ثم صرفنا على أن نتدبر الأمر. فكان تدبيرنا أن أوعزنا إلى الطلاب جميعًا بالتفرق فى الحقول المجاورة طول اليوم وكان يوم ١٨ ديسمبر ذكرى الحماية البريطانية، وذهبنا نحن إلى المدرسة وسلمنا أنفَسنا لإدارتها وانتظرت وانتظرنا من يجئ ولا من يجيب ، فانصرفنا بعد فترة رغم الإضراب وانتهى اليوم بسلام(١) .

بل إن البنا ليشارك فى الإعداد للإضراب ويواجه ضابط البوليس الذى جاء ليقبض عليه وزملائه، ويذكره بواجبه الوطنى حتى يرجع الضابط عن مهمة القبض عليهم ويطمئنهم ويؤمنهم، فكان مما قاله البنا للضابط ليصرفه: «إن واجبه الوطنى يفرض عليه أن يكون معنا، لا أن يعطل عملنا ويقبض علينا، ولا أدرى كيف كانت النتيجة. إنه استجاب لهذا القول فعلا، فخرج وصرف عساكره وانصرف معهم بعد أن طمأننا»(٢) .

(١ ، ٢) مذكرات الدعوة والداعية: حسن البنا ص ٣٤ .

المبحث الرابع

علاقة الإمام البنا بزعماء التيار الإسلامي المعاصرين له

لقد كان للإمام البنا علاقات واسعة بكل زعماء التيار الإسلامى المعاصرين له، وتأثر بهم وأثر فيهم ومن هؤلاء:

١- السيد / رشيد رضا:

كان الإمام البنا على صلة وثيقة بالشيخ رشيد رضا وأسرته منذ كان طالبًا بدار العلوم، وكانت دار مجلة المنار ملتقاه بأكثر من التقى بهم من رجالات الحركة الإسلامية فى ذلك العهد، واتخذت أكثر المقررات فى مواجهة المؤامرات ضد الإسلام فى تلك الدار، وظل الأستاذ على اتصال بالشيخ بعد قيام دعوة الإخوان وكان يستشيره فى كثير من الأمور(١).

وقد أشار البنا إلى لقاءاته المتكررة به، وحرصه على قراءة المنار وأثنى كثيرًا على جهود رشيد رضا ومجلته، واعتبر أنها «أسست مدرسة فكرية إسلامية تقوم على قواعد الإصلاح الإسلامى الجليل لا زالت آثارها باقية فى نفوس النخبة المستنيرة من رجال الإسلام، ووقفت للملحدين والإباحيين والجامدين بالمرصاد فى مصر وغيرها من الأقطار(٢). وقد تولى البنا تحرير مجلة المنار بعد وفاة الشيخ رشيد رضا بعدة سنوات(٣)، واجتهد البنا أن تصدر بنفس شكلها القديم فقام باستكمال تفسير القرآن من حيث انتهى الشيخ رشيد، وكان حريصًا على أن يكون بنفس أسلوبه «تفسير سلفى أثرى مدنى عصرى إرشادى اجتماعى سياسى» وقام بشرح هذا الأسلوب فى أول حلقة من تفسيره، ثم إضافة إلى التفسير قام بتحرير باب «فتاوى المنار» ليرد فيه على

(١) محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ص١ / ٢٤٦.

(٢) حسن البنا: المقالة الافتتاحية لمجلة الشهاب العدد الأول غرة المحرم ١٣٦٧هـ - ١٤ نوفمبر ١٩٤٧م.

(٣) بعد وفاة الشيخ رشيد رضا بحثت أسرته عن أحد العلماء الكبار ليتولى تحريرها، وظلت دون صدور عدة سنوات، بعدها طلبت الأسرة من البنا ان يحمل ذلك العبء، فرفض كثيراً ذلك لضيق وقته، وخوفه عليها من الغلق، حيث كانت الحكومة تترصد غلق صحف الإخوان، لكنه أمام إصرار أسرة الشيخ قبل وحدث ما توقعه حيث قامت الحكومة بغلقها بعد فترة من تولى البنا إصدارها.

أسئلة القراء، وباب «موقف العالم الإسلامى السياسى»[1] ليورد فيه أهم أخبار العالم الإسلامى، ويعلق عليها. كما دأب على إعادة نشر سلسلة من المقالات للشيخ رشيد رضا، اعترافًا بفضله، وتأكيداً لتعاليمه.

وقد كان البنا يعتبر جماعة الإخوان المسلمين الجماعة التى تمنى الشيخ رشيد رضا أن يوجدها حيث قال: «سيكون المنار منذ هذا العام (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م) لسان جماعة للدعوة إلي الإسلام وجمع كلمة المسلمين، انشئت لتخلف جماعة الدعوة والإرشاد[2]. لذلك فقد كتب البنا فى افتتاحية المنار بعد أن استأنف تحريرها يقول معلقًا على أمنية الشيخ رشيد السابقة: «يا سبحان الله إن جماعة الإخوان المسلمين هى الجماعة التى كان يتمناها السيد رشيد رضا رحمه الله، ولقد كان يعرفها منذ نشأتها، ولقد كان يثنى عليها فى مجالسه الخاصة، ويرجو لها خيراً كثيراً، ولقد كان يهدى إليها مؤلفاته فيكتب عليها بخطه: «من المؤلف إلى جماعة الإخوان المسلمين النافعة» ولكنه ما كان يعلم أن الله قد ادخر لهذه الجماعة عبئه، وأن تتم ما بدأ به، وأن تحقق فيها أمنية من أمانيه»[3].

ولقد ظل البنا متأثرًا بالشيخ رشيد رضا حتى النهاية خاصة بمنهجه فى تحرير المنار، فعندما أصدر البنا مجلة الشهاب أكد مجدداً فى افتتاحية عددها الأول على وفائه للشيخ رشيد رضا، وأمنيته أن تسير «الشهاب» على أثر «المنار»[4] وقد كان إلا أنه لم يصدر منها سوى خمسة أعداد فقط ثم أغلقت.

٢- الشيخ / محب الدين الخطيب:

ترجع أهمية شخصية السيد محب الدين الخطيب - وهو من أصل سورى - إلى اعتبارات عديدة تتصل بثقافته الواسعة ونشاطه الحركى المكثف، وخاصة فى ميدان

---

(١) انظر تحليلاً إجماليًا للاجزاء الستة التى أصدرها البنا من مجلة المنار: محمد فتحى شعير: وسائل الإعلام عند الإخوان ص٢٣١، ٢٣٦.

(٢) افتتاحية المنار الجزء الأول بالمجلد الخامس والثلاثين، وقد تناول الشيخ رشيد رضا فى تلك الافتتاحية طرفًا من تاريخ جماعة الدعوة والإرشاد، والعقبات التى أدت إلى القضاء عليها، وكان الشيخ رشيد قد أسس مدرسة «دار الدعوة والإرشاد» عام ١٣٣٠هـ لتربية الشباب المسلم ليكونوا دعاة على النحو الذى تطلع إليه الإمام محمد عبده.

(٣) حسن البنا: افتتاحية المنار «فى الميدان من جديد» الجزء الخامس بالمجلد الخامس والثلاثين غرة جمادى الثانية ١٣٥٨هـ - ١٨ يوليو ١٩٣٩م.

(٤) حسن البنا: افتتاحية «الشهاب» العدد الأول غرة المحرم ١٣٦٧هـ- ١٤ نوفمبر ١٩٤٧م.

عضويته وتكوين الجمعيات والأحزاب والتنظيمات العلنية والسرية فى بلدان عربية مختلفة، ومن ذلك قيامه بتأسيس حلقة دمشق الصغرى أسوة بحلقة دمشق الكبرى التى أسسها الشيخ طاهر الجزائرى، وعضويته بجمعية النهضة العربية، وبحزب اللامركزية العثمانية، ومشاركته فى تأسيس جمعيته العربية الفتاة وغيرها[١]، وكان على صلة بدائرة واسعة من الشخصيات والقيادات الفكرية والسياسية البارزة من أمثال الشيخ طاهر الجزائرى، والشيخ جمال الدين القاسمى، ورفيق العظم، ومحمد كرد على، وعبد الحميد الزهراوى، والسيد رشيد رضا، وغيرهم[٢].

وبعد أن استقر به المقام فى مصر نشط فى مجال الصحافة والنشر والدعوة للإصلاح والتحذير من المخاطر التى يتعرض لها المسلمون، وركز على دعوته فى الإصلاح على ناحيتين: الصحافة والتربية، وإصلاح نظام التعليم، وفى عام ١٣٤٣هـ- ١٩٢٤م أعاد تأسيس المكتبة السلفية، وأنشأ المطبعة السلفية التى صدرت عنها مجلة الفتح ثم كان من أبرز مؤسسى جمعية الشبان المسلمين (١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م)[٣].

عرف الإمام البنا السيد محب الدين الخطيب أثناء دراسته فى دار العلوم، حيث كان يتردد على المكتبة السلفية: «حيث نلقى الرجل المؤمن المجاهد العامل القوى العالم الفاضل الصحفى الإسلامى القدير: السيد محب الدين الخطيب»[٤] وكان يتلقى فيها بكثير من كبار العلماء وكتاب مجلة الفتح «أمثال الشيخ رشيد رضا والشيخ مصطفى صبرى والشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ يوسف الدجوى، والشيخ عبد الوهاب النجار، وقد أورد فى مذكرات الدعوة والداعية ما يؤكد أنه كان وثيق الصلة بمعظمهم. وقد شارك البنا بجهد كبير - بل لعله كان بمثابة الشرارة الأولى - ضمن الجهود التى ظهرت على إثرها مجلة الفتح، ثم تأسست فى العام التالى لها جمعية الشبان المسلمين[٥]، يبدو ذلك - طبقًا لما يرويه البنا - أنه ارتبط مع السيد محب الدين الخطيب بصلة وثيقة، حيث نشرت

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: سهيلة الريماوى: أوراق محب الدين الخطيب، مستخرجًا من كتاب «بحوث فى التاريخ الحديث» جامعة عين شمس، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٦ ص١٠٣، ١٢٧.

(٢) المرجع السابق: ص ١٠٦، ١١١.

(٣) إبراهيم البيومى غانم: الفكر السياسى عند حسن البنا ص ١٦٧.

(٤) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ص ٥٩.

(٥) المرجع السابق: ص٥٩ إلى ص ٦٣.

أولى مقالاته - وكان لا يزال شاباً حديث التخرج - فى مجلة الفتح، وعندما صدرت مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية أسندت إدارتها إليه، وطبعت بالمطبعة السلفية لمدة عامين، كما أسهم محب الدين الخطيب فى تحرير جريدة الإخوان المسلمين اليومية بعد ذلك، وكان يرأس بها تحرير القسم المتعلق بالعالم الإسلامى(١).

٣- الشيخ / يوسف الدجوى:

كان الشيخ يوسف الدجوى من كتاب مجلة الفتح، وكان البنا يقرأ له كثيراً ويلتقى به مع باقى العلماء فى المكتبة السلفية، وكان الرجل سمح الخلق، حلو الحديث، صافى الروح بحكم النشأة الصوفية، وكان بين البنا وبينه صلة روحية وعلمية حملته على زيارته الفينة بعد الفينة، وكان أول من فاتحه البنا بما فى نفسه من الإصلاح وضرورة مواجهة الملحدين والإباحيين وجرائدهم ومجلاتهم بعمل إيجابى، لعلمه بما له من صلات بكثير من رجال المعسكر الإسلامى من علماء ووجهاء، وظل البنا يلح عليه(٢) إلى أن استجاب وبدأ العمل فظهرت مجلة الفتح، ثم تكونت بعدها جمعية الشبان المسلمين.

٤- الأستاذ / محمد فريد وجدى:

كان الأستاذ محمد فريد وجدى (١٢٩٥ - ١٣٧٣هـ= ١٨٧٨ - ١٩٥٤م) من رواد تجديد الفكر الإسلامى عن طريق استيعاب ونقد الفكر الغربى، وهو صاحب مجلة الحياة، ودائرة معارف القرن العشرين، وله مؤلفات كثيرة أخرى، وكانت له آراء كثيرة، أثارت الجدل وتعددت بشأنها وجهات النظر.

وكانت للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا - والد حسن البنا - صداقة بالأستاذ محمد فريد وجدى، فكان حسن البنا أثناء وجوده فى القاهرة كثيراً ما يذهب إليه حيث كانت داره مجتمع الفضلاء من الناس يتدارسون علوماً شتى ثم يخرجون للنزهة.

وحدث ذات مرة أن دارت بين البنا والأستاذ فريد وجدى مناقشة حول شخصية الأرواح يقول البنا: إذا كان فريد بك يرى أن الأرواح التى تستحضر هى أرواح الموتى أنفسهم، وأرى غير ذلك، وتشعب بنا البحث فى هذه الناحية وانتهينا وكل عند وجهة نظره، وقد أفدت كثيراً من هذه المجالس حينذاك»(٣).

---

(١) إبراهيم غانم: الفكر السياسى ص ١٦٦.

(٢) وفى ذلك قصة ارجع إليها فى مذكرات الدعوة والداعية من ص ٦٠، ٦٣.

(٣) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ص ٦٧.

٥- الشيخ / طنطاوى جوهرى :

عمل أستاذاً بدار العلوم فترة طويلة، وكان ذائع الصيت فى مصر وفى خارج مصر، وكثيراً ما كان يقصده العلماء من البلاد الشرقية ومن الغرب : من أمريكا وإنجلترا وفرنسا، يتلقون على يديه علوماً معينة(١)، وكان يلقب «بحكيم الإسلام» وله كتب عديدة، أهمها تفسيره للقرآن المسمى «الجواهر» بلغ ٣٢ جزءاً تقريباً وقيل عن علمه : «لا ينحصر فى دائرة محدودة»(٢).

وبعد اقتناع الشيخ طنطاوى جوهرى بالدعوة قال له الشيخ البنا : يا سيدى الأستاذ إنك أستاذنا وأستاذ الجميع، وأنت حكيم الإسلام، وأراك أحق بمنصب الإرشاد لهذه الدعوة منى وهذه يدى ابايعك .. فقال الشيخ : لا يا اخى .. أنت صاحب الدعوة وأنت اقدر عليها وأنت أقدر بها، وأنا أبايعك على ذلك، ومد يده فبايعه، ولم ينكث - رحمه الله - بيعته إلى أن لقى ربه(٣).

كان الشيخ طنطاوى جوهرى يحاول من خلال جهوده العلمية المكثفة أن يؤكد أن الإسلام دين العقل والتجدد لا دين التسليم والتقليد، وقد تميز منهجه فى هذا الصدد «باستخدام أساليب الغرب المهاجم بعد استيعابها والاستفادة منها، ولذلك دعا علماء المسلمين وشبابهم إلى الاستعانة على توثيق إيمانهم بدراسة العلوم الطبيعية الحديثة، وحثهم على ارتياد آفاق المعرفة، واعتبار ذلك تكليفاً شرعياً يتم به إيمانهم ويصبحون أهلاً لأن يستخلفهم الله فى إصلاح الأرض وهداية أهلها(٤).

سمع الشيخ طنطاوى جوهرى عن الشيخ حسن البنا، فذهب إليه وساله إلام تدعو؟(٥) قال : ادعو إلى القرآن، فقال : دع هذا اللفظ الكريم من حديثنا، فإن هذا

---

(١) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ : ١ /١٨٤ وصفه فقال : لم القه إلا بعد إحالته إلى المعاش باكثر من عشر سنين إلا انك كنت ترى فيه شاباً فى عنفوان شبابه، فهو متوقد الذهن، يتحدث معك فى كل علم من العلوم الكونية من نبات وحيوان وحشرات وجيولوجيا وكيمياء وطبيعة ورياضة وميكانيكا وفلك وموسيقى كانما هو متخصص فى كل واحد منها، وتراه عن طريق هذه العلوم يدلك على وجود الخالق ووحدانيته وقدرته وحكمته ورحمته.

(٢) انظر لمزيد من التفاصيل حول حياة واعمال الشيخ، محمد عبد الجواد، تقويم دار العلوم ص ١٩٢، ١٩٦.

(٣) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون ١ /١٨٧.

(٤) إبراهيم غانم : الفكر السياسى، ص ١٦٩.

(٥) هذا حسب رواية أ/ محمود عبد الحليم عن الشيخ طنطاوى جوهرى نفسه، انظر أحداث صنعت التاريخ ١ /١٨٦.

اللفظ مظلوم ظلمًا بينًا، فما من فرقة قامت فى الدولة الإسلامية مهما كانت زائفة عن الإسلام إلا وادعت أنها تدعو إلى القرآن، فأجبنى بتفاصيل ما تدعو إليه فى كل ناحية من نواحى الحياة. قال: فشرح لى تفاصيل دعوته فوجدتها فى حدود كتاب الله..»(١).

ثم عايش الشيخ طنطاوى جوهرى الشاب حسن البنا فرأى فيه صفات القائد الذى يفتقده العالم الإسلامى فى آرائه وفهمه لكتاب الله، وإحاطته بالتاريخ، وفهمه للمجتمع الذى يعيش فيه، وذكائه، وألمعيته، وشخصيته الأخاذة، ومقدرته على جمع الناس على دعوته، وصبره على المكاره، وتعففه عما فى أيدى الناس، وبذله فى سبيل دعوته، ولين جانبه، وتواضعه بحيث لا تكاد تميزه من أتباعه(٢).

وهكذا كانت تربط البنا بكثير من العلماء وقيادة الفكر فى المجتمع صلات كثيرة ووثيقة، تعرضنا لبعضهم على سبيل المثال، ونذكر منهم أيضًا الأمير شكيب أرسلان(٣)، والشيخ مصطفى صبرى(٤)، ومصطفى لطفى المنفلوطى(٥)، ومصطفى صادق الرافعى(٦)، وتيمور باشا(٧)، ومحمد إقبال(٨)، وغيرهم، وهذا يوضح لنا المناخ الفكرى العام الذى أحاط بالإمام من خلال هؤلاء وأمثالهم ما يمكن أن يكون قد تأثر به البنا بشكل أو بآخر، وكان له بعد ذلك أن يأخذ ويدع، ويقبل ويرفض، وينتقد ويصحح، حسب فكره ومنهجه، ودعوته.

---

(١) محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١/١٨٦.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر: أحمد الشرباصى: شكيب أرسلان، داعية العروبة والإسلام، ص١٩١، ومحمد المكى الناصرى: شكيب أرسلان رجل الساعة فى العالم الإسلامى، مجلة الفتح ٩ ربيع الثانى ١٣٥١هـ، ص٩، ١١.

(٤) آخر شيخ للإسلام بالدولة العثمانية: انظر إبراهيم غانم: الفكر السياسى عند حسن البنا ص ١٦٨.

(٥) انظر: حسن البنا: مقالة له فى مجلة الفتح ١٥ ربيع الأول ١٣٤٧هـ - ٣٠ اغسطس ١٩٢٨م، ص٩، ١٠.

(٦) انظر محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون ١/٢٤٤، ٢٤٥.

(٧) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ص ٤٧.

(٨) انظر إبراهيم البيومى غانم: الفكر السياسى عند الإمام البنا، ص ١٧٠.

المبحث الخامس

شيوخ الإمام البنا وبعض تلاميذه

لقد كان لنشأة حسن البنا فى بيت صالح، وتعلمه على يد أساتذة أجلاء أثر كبير فى حياته وثقافته، ونظرًا لأن البنا تدرج فى التعليم بدءًا من التعليم فى مدرسة الرشاد الدينية حتى تخرجه فى دار العلوم، فقد أخذ عن كثير من الأساتذة وتأثر بهم، إضافة إلى غيرهم من المشايخ فى كان يحضر دروسهم، ومن هؤلاء الأساتذة الذين أخذ عنهم حسن البنا :

المطلب الأول

شيوخ الإمام البنا

١- والده الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا :

وقد سبق التعريف بالشيخ رحمه الله.

٢- الشيخ محمد زهران :

الشيخ محمد زهران أحد علماء المحمودية، اشتغل بتعليم الأطفال وتحفيظهم القرآن الكريم، وكان يدرس للعامة فى المسجد ويفقه السيدات فى البيوت[١]. وكان ذا همة عالية وغيرة شديدة دفعته لإنشاء مدرسة الرشاد الدينية سنة ١٣٣٣هـ- ١٩١٥م لتربية النشء، وأصدر مجلة شهرية هى مجلة «الإسعاد» التى ظل يحررها حتى سنة ١٣٤٧هـ ١٩٢٨م، وتتناول تعاليم الدين وأسراره، وفوائد فى التاريخ واللغة والأدب والشئون الاجتماعية[٢]، وكان له أسلوب مؤثر يعتمد على المشاركة الوجدانية بينه وبين طلابه يحاسبهم على تصرفاتهم حسابًا دقيقًا؛ فيجازيهم على الإحسان أو الإساءة جزاءً أدبيًا يبعث فى النفس نشوة الرضا والسرور مع الإحسان كما يذيقها قوارص الألم والحزن مع الإساءة[٣].

---

(١) أنشأ الشيخ محمد زهران «مدرسة الرشاد الدينية» على صورة كتاتيب الإعانة الأهلية المنتشرة فى القرى فى ذلك الوقت، ويقوم منهج التدريس فيها على تدريس الحديث وحفظه والإنشاء والنحو والتطبيق والأدب والمطالعة والمحفوظات، ولم يكن شيء من هذه المواد معروفًا فى الكتاتيب المماثلة. انظر مذكرات الدعوة والداعية ص١٤، ١٥.

(٢، ٣) انظرمذكرات الدعوة والداعية ص١٣.

وقد التحق حسن البنا بمدرسة الرشاد الدينية وهو فى الثامنة من عمره، وقد درس فيها البنا الأحاديث النبوية، فكان الشيخ محمد زهران يتناول كل أسبوع شرح حديث ويحفظه للصبيان، حتى ينتهى العام وقد حفظ كل منهم كثيراً من الأحاديث النبوية. ودرس البنا كذلك فى مدرسة الرشاد الدينية الإنشاء والقواعد والتطبيق والأدب والمطالعة والإملاء والمحفوظات النثرية والشعرية(١).

وقد توطدت علاقة حسن البنا بشيخه محمد زهران لعلاقة والده به، فكان كثيراً ما يصحبه إلى مكتبته ويطلعه على ما فيها من فنون العلم ينهل ما يشاء منها، ويحضر مجالسه العلمية مع أصحابه فيستمع البنا إلى ما يدور بينهم من مناقشات علمية(٢).

وقد استفاد حسن البنا من تلمذته للشيخ محمد زهران استفادة ثقافية كبيرة حيث كانت معظم محفوظات البنا من الحديث الشريف ترجع إلي ما حفظه من شيخه محمد زهران، إضافة إلى قراءته فى مكتبته وحضور مجالسه، واستفاد كذلك من أسلوبه التربوى فى التدريس وعلاقة المدرس بتلميذه(٣).

وقد ترك البنا مدرسة الرشاد وهو فى الثانية عشرة من عمره لما شغل عنه شيخه ولم يحفظ إلا نصف القرآن ليلحق بالمدرسة الإعدادية، محملاً بحب شيخه وتقديره(٤).

الشيخ عبد الوهاب الحصافى:

هو شيخ الطريقة الحصافية الصوفية فى دمنهور خلفا لوالده الشيخ حسنين الحصافى، وقد تلقى عنه حسن البنا – أثناء دراسته فى مدرسة المعلمين بدمنهور – الطريقة الحصافية ووظائفها فى ٤ رمضان ١٣٤١هـ، وقد استفاد البنا من الأساليب التربوية الصوفية من صيام وعزلة وصمت وزيارة للأولياء وغيرها(٥). وتأثر أيضًا بسيرة الشيخ حسنين الحصافى بعد أن قرأ كتاب «المنهل الصافى فى مناقب حسنين الحصافى» فى

(١) انظر مذكرات الدعوة والداعية ص١٣، ١٤.

(٢،٣) المرجع السابق ص ١٤.

(٤) ومن مظاهر ذلك التقدير ثناؤه عليه فى مذكرات الدعوة والداعية حيث خلع عليه صفات العلم والورع قائلاً: «الرجل الذكى الألمعى العالم التقى الفطن اللقن الظريف الذى كان بين الناس سراجًا مشرقًا بنور العلم يضىء فى كل مكان»، انظر: مذكرات الدعوة والداعية ص ١٣، ١٤.

(٥) انظر: السابق ص ٢٩، ٣١

سيرته وأعجب البنا بشدته فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مهما كان فى حضرة عظيم(١).

ومن خلال مصاحبته للشيخ عبد الوهاب الحصافى لمس فيه البنا من الخلال الطيبة وتأثر بها فى عدم الخوض فى الخلافات أو المشتبهات من الأمور، والجد والتحرز من صرف الأوقات فى غير العلم أو التعليم أو الذكر أو الطاعة(٢). وقد ظل البنا على تقديره للشيخ عبد الوهاب الحصافى ووالده بعدما أنشأ جمعية الإخوان المسلمين.

الشيخ محمد أبو شوشة:

الشيخ محمد أبو شوشة أحد تجار المحمودية ومن صالحيها، وكان كثيراً ما يأخذ نفسه بالجد والاجتهاد فى العبادة وتذكر أمور الآخرة، فكان البنا يجتمع معه وبعض الشباب ويذهبون إلى المقابر ويتذكرون أمور الآخرة، ويقص عليهم بالمسجد حكايات الصالحين وأخبارهم فكان له أثر فى تربية البنا الروحية.

وقد توافر للإمام حسن البنا فى مدرسة المعلمين كثير من الأساتذة الذين تميزوا بالصلاح والخير والروح العلمية التى تشجع الطلاب على البحث والدرس، ومنهم: **الشيخ عبد الفتاح أبو علام**: أستاذ الشريعة والتفسير والحديث بمدرسة المعلمين بدمنهور، وكان البنا كثيراً ما يتناقش معه حول ما يوجه للتصوف من نقد، وكان أستاذه يغمره بمحبته ورغبته فى توجيهه، ولذلك كان البنا يحبه ويقدره(٣).

ودرس له أيضاً **الأستاذ عبد العزيز عطية** مادة «التربية العملية» وقد لمس فى البنا نبوغاً وذكاء فريداً، فكان يشجعه على القراءة والدرس، واختصه بتصحيح بعض بروفات كتابه «المعلم» فى التربية الذى يكان يطبع فى ذلك الوقت بدمنهور(٤).

ولما التحق حسن البنا بدار العلوم أخذ العلم عن أساتذتها، ومنهم **الشيخ محمد**

---

(١) ومن تلك الأمور التى يذكرها البنا أن الشيخ حسنين الحصافى دخل مرة على الخديو توفيق باشا مع العلماء فى بعض المقابلات فسلم على الخديو بصوت مسموع، فرد عليه الخديوى بالإشارة بيده، فقال له فى عزم وتصميم: «رد السلام يكون بمثله أو باحسن منه، والرد بالإشارة وحده لا يجوز، فلم يسع الخديو إلا أن يرد عليه باللفظ ويثنى على موقفه، انظر: مذكرات الدعوة والداعية ص ٢١، ٢٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٦، ٢٧.

(٣) المرجع السابق ص ٢٩.

(٤) المرجع السابق ص ٣٧.

عبد المطلب وهو أحد الشعراء المشهورين فى العصر الحديث، ويوصف بأنه حجة فى الأدب واللغة، وله اهتمامات علمية متنوعة حتى أنه وضع سلسلة من الروايات التاريخية التمثيلية[1].

كما تلقى كذلك عن **الشيخ موسى أبو قمر**، وكان رجلاً كريمًا جوادًا وكان حسن البنا على علاقة طيبة به[2]، **والشيخ أحمد بدير والشيخ علام موسى** الذى برع فى الأدب، **والأستاذ أحمد يوسف نجاتي** الذى امتحنه الشفوى[3] حين تقدم لامتحان دار العلوم.

المطلب الثانى

تلاميذ الإمام البنا

بذل حسن البنا جهودًا كبيرة فى سبيل نشر الدعوة وساح فى أنحاء القطر المصرى والتقى بكثير من الشخصيات التى آمنت بالدعوة وحملت لواء نشرها، حتى انتشرت فى ربوع القطر المصرى وخارجه، وتواصلت الأجيال التى حملت لواء الدعوة جيلاً بعد جيل حتى عصرنا هذا، ولذلك فإننا إذا تحدثنا عن تلامذة الإمام البنا، فإنما نتحدث عن كل من ينتمى إلى الإخوان المسلمين فى مصر والعالم العربى والإسلامى، فإن هؤلاء جميعًا استوعبوا فكر حسن البنا ودعوته وجاهدوا فى سبيلها وإن لم يتلقوا جميعًا منه فقد تلقوا عن تلامذته، وما تركه من تراث مكتوب، ولذلك فإنه يصعب علينا أن نشير إلي جميع تلامذة الإمام حسن البنا، لذا فإننا سنكتب إلماحة موجزة عن بعض تلامذته من القيادات الإخوانية مثل:

١- الأستاذ عمر التلمسانى:

هو الداعية المربى الأستاذ عمر عبد الفتاح بن عبد القادر مصطفى التلمسانى، تولى منصب المرشد العام للإخوان المسلمين بعد وفاة المرشد الثانى الأستاذ حسن الهضيبى فى نوفمبر ١٩٧٣م، ترجع أصوله إلى «تلمسان» بالجزائر، ولد فى مدينة القاهرة ١٣٢٢هـ- ١٩٠٤م بالغورية، عمل بالمحاماة وعرف عنه الصلابة والقوة داخل السجون التى قضى بها

(١) انظر: إبراهيم البيومى غانم: الفكر السياسى للإمام حسن البنا ص١٥٧.

(٢) انظر: مذكرات الدعوة والداعية ص٤٨.

(٣) انظر: إبراهيم البيومى غانم: الفكر السياسى للإمام حسن البنا ص١٥٨.

أكثر من سبعة عشر عامًا حيث دخلها عام ١٩٤٨م، ثم عام ١٩٥٤م، ثم عام ١٩٨١م كما عرف بالزهد والتعفف والخشية من الله وحده دون سواه والحرص على مرضاته، توفى فى الثالث عشر من رمضان ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢ / ٥ / ١٩٨٦م بالمستشفى بعد معاناة مع المرض تاركًا ولدين وبنتين.

٢- الأستاذ محمد حامد أبو النصر :

هو رابع مرشد للإخوان المسلمين من مواليد ١٩١٣م بمدينة منفلوط أحد مراكز أسيوط وكان يعمل مدرسًا إلى جانب أنه من أعيان البلد، وكان جده من كبار علماء الأزهر، تعرف على الدعوة من خلال لقاء الإمام البنا معه عام ١٩٣٤م فبايعه ولم يمر سوى يوم واحد على تعرفه به واستمر عضواً فى مكتب الإرشاد ولم يخرج منه إلا مرة واحدة فى أول مكتب إرشاد شكل بعد تولية المرشد الثانى الأستاذ حسن الهضيبى، تم الحكم عليه فى أحداث ١٩٥٤م، ولم يخرج إلا فى عهد الرئيس أنور السادات وبعد خروجه من الأشغال الشاقة المؤبدة صدر قرار بتحديد إقامته فى منزله، وكان ذلك بسبب إرساله المأكولات والملابس والأدوية إلى إخوانه فى السجن، ظل جنديًا فى الدعوة فى جميع أطوارها ومراحلها حتى تولى قيادة الجماعة فى عام ١٩٨٦م عقب وفاة المرشد الثالث الأستاذ عمر التلمسانى وتوفى رحمه الله فى يناير ١٩٩٦م.

٣- الأستاذ مصطفى مشهور:

هو خامس مرشد للإخوان المسلمين ولد عام ١٩٢٠م وتخرج فى كلية العلوم وعمل بالأرصاد الجوية، وانضم لجماعة الإخوان المسلمين وكان ضمن قيادة النظام الخاص فى الجماعة الذى قام بالعديد من الأعمال الوطنية البطولية ومنها قضية السيارة الجيب عام ١٩٤٨م وحكم عليه بثلاث سنوات، وفى عام ١٩٥٤م قبض عليه وحوكم بالأشغال الشاقة فلم يخرج إلا فى عهد الرئيس المصرى أنور السادات أوائل السبعينيات، ومع إفراج العمل السياسى في هذا العهد شارك مع بقية الإخوان فى إعادة الحركة الإخوانية للمجتمع، كما كان له دور بارز فى إقامة التنظيم العالمى للإخوان المسلمين، وفى فترة المرشد الرابع محمد حامد أبو النصر كان نائبًا له حتى وفاته ثم تولى القيادة والإرشاد للجماعة منذ يناير ١٩٩٦م وحتى توفاه الله فى ١٠ رمضان ١٤٢٣ هـ.

٤- الأستاذ الشهيد محمد فرغلي:

كان الشيخ محمد فرغلي داعية من دعاة الإسلام ومن الرعيل الأول من الإخوان المسلمين، عمل مع الشهيد حسن البنا منذ بدأ دعوته في الإسماعيلية، واختاره الإمام الشهيد لمسئوليات كبار فكان عند حسن الظن به، فكان محدثًا وموجهًا للإخوان في دروس الكتائب والمعسكرات والأسر والرحلات، كما كان رئيس الإخوان بمنطقة الإسماعيلية ولم يكن الشيخ من ذلك النوع من شيوخ الدين الذين يتعلقون بالقشور ويبحثون عن المناصب والمراكز، ولكنه كان مجاهداً بحق وحسبه أنه ترك وظيفته وأهله، وذهب إلى فلسطين مع رجال جماعته من المجاهدين، وحين نشبت معركة قناة السويس ترك أهله مرة أخرى واندمج بكليته في المعركة حيث قرر التصدي للإنجليز بالقوة ومقاومتهم وضربهم في أوكارهم ومعسكراتهم، حتى أصبح هو ويوسف طلعت يحسب لهما الإنجليز وأعوانهم حسابًا شديداً ويرصدون تحركاتهم ويرصدون جائزة كبرى ثمنًا لرأسه حيًا أو ميتًا ولكنهم لم يفلحوا، وكان من المبادرين إلى الجهاد في فلسطين ١٩٤٨م فدخلها على رأس قوة من مجاهدي الإخوان المسلمين، وكان من أبرز قادة الإخوان الذين قاموا بتدريب إخوانهم الفلسطينيين وشاركوهم في اقتحام مواقع اليهود ومهاجمة مستعمراتهم الذين كانوا يتركونها دون مقاومة بفضل جرأة وإقدام هذا الشيخ وأتباعه، ونال الشهادة في سجون عبد الناصر على حبل المشنقة هو وإخوانه الشهداء الخمسة الذين أعدموا جميعًا يوم ٧ / ١٢ / ١٩٥٤م إرضاء لليهود والإنجليز والأمريكان والروس، ولكن الشيخ المجاهد وقف شامخ الرأس أمام حبل المشنقة باسمًا في إقدام، فرحًا في إيمان، مردداً قول من سبقوه من إخوانه وهم يمضون في طريق الشهادة ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] وقال قولته الشهيرة: «إنني مستعد للموت، فمرحبًا بلقاء الله» وأوردت مجلة «باري ماتش» الفرنسية في عددها الصادر يوم ٨ / ١٢ / ١٩٥٤م الخبر التالي: «في الساعة السادسة من صباح أمس ٧ / ١٢ / ١٩٥٤م رفع العلم الأسود على سجن القاهرة وسيق المحكوم عليهم بالإعدام يسيرون بأقدام عارية، وملابس الإعدام الحمراء، وبدأ تنفيذ الأحكام في ستة من الإخوان المسلمين هم: محمود عبد اللطيف، يوسف طلعت، هنداوي دوير، إبراهيم الطيب، محمد فرغلي، عبد القادر عودة، الساعة الثامنة، وقد ذهب المحكوم عليهم إلى المشنقة بشجاعة منقطعة النظير، وهم يحمدون الله على حصولهم على شرف الشهادة، وقال الشيخ محمد

فرغلى: «أنا على استعداد للموت فمرحبًا بلقاء الله» ولقد عم العالم العربى والإسلامى موجة من السخط الشديد والاستنكار الغاضب، وأعلن الحداد فى بلاد الشام وغيرها على هؤلاء الشهداء.

٥- المستشار عبد القادر عودة:

ارتبط المستشار عبد القادر عودة بجماعة الإخوان فى أوائل الأربعينيات، واختير وكيلاً للجماعة فى عهد المستشار الهضيبى المرشد الثانى للإخوان المسلمين، وقاد مظاهرة ٢٨ فبراير ١٩٥٤م التى اضطرت ضباط الثورة إلى إعادة محمد نجيب إلى رئاسة الجمهورية، وطالبت بالقصاص من جمال عبد الناصر للقتلى الذين سقطوا عند قصر النيل يوم المظاهرة، ولم تنصرف المظاهرة إلا بأمر عبد القادر عودة، وكان ثمن هذا الموقف أن حكم عليه جمال عبد الناصر بالإعدام عقب تمثيلية المنشية ١٩٥٤م، وأهم كتبه: «التشريع الجنائى فى الإسلام».

٦- الأستاذ صالح عشماوى:

هو رائد الصحافة الإسلامية، الأستاذ صالح مصطفى عشماوى من مواليد القاهرة فى ٢٤/١٢/١٩١٠م، حفظ القرآن الكريم وهو صغير وتخرج فى كلية التجارة ١٩٣٢م وكان أول دفعته، عمل بالمصرف الأهلى لمدة سنة واحدة ثم تركه لتعامله بالربا ثم عمل بالأعمال الحرة، اتصل بدعوة الإخوان المسلمين عام ١٩٣٧ وأسند إليه رئاسة تحرير مجلة «النذير» ورئاسة تحرير مجلة «الإخوان المسلمين» الأسبوعية سنة ١٩٤٣، ورئاسة تحرير الجريدة اليومية سنة ١٩٤٦م، ورأس تحرير مجلة «المباحث القضائية» ومجلة «الدعوة» سنة ١٩٥١م وظل يعمل بها حتى عام ١٩٥٤ حين تم اعتقال الإخوان المسلمين ومصادرة مؤسساتهم وتعطيل نشاطهم، إلا أنه ظل يصدر بعض الأعداد كل فترة حتى لا تسقط الرخصة. وبعد خروج الإخوان المسلمين من السجون عام ١٩٧٤م ذهب إلى الأستاذ «عمر التلمسانى» المرشد الثالث للإخوان آنذاك ووضع نفسه ومجلته تحت تصرف الإخوان حيث تمت إعادة إصدارها سنة ١٩٧٦م وظلت تعمل حتى عطلت وسحب ترخيصها عام ١٩٨١م، تدرج فى دعوة الإخوان المسلمين حتى صار وكيلاً لها إبان وفاة الإمام الشهيد حسن البنا، فتولى المسئولية أمام الإخوان لمدة ٣٠ شهراً حتى تم اختيار الأستاذ حسن الهضيبى كمرشد عام للإخوان، واعتقل بعد حل الإخوان فى

٨/١٢/١٩٤٨م أيام حكم محمود فهمى النقراشى وكذلك إبان قرارات سبتمبر ١٩٨١م فى عهد الرئيس السادات، انتقل إلى جوار ربه عن عمر يناهز ٧٢ عامًا يوم الأحد ١١/١٢/١٩٨٣م تاركًا ولداً وبنتين.

٧- الشيخ محمد الغزالى:

هو الداعية المجدد الشيخ محمد الغزالى السقا، ولد فى ٢٢/٩/١٩١٧م فى قرية «تكلا العنب» من «إيتاى البارود» بمحافظة البحيرة بمصر، حفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنوات، وتلقى تعليمه فى كتاب القرية ثم التحق بالمعهد الدينى بالإسكندرية، حيث أكمل المرحلتين الابتدائية والثانوية، ثم انتقل للقاهرة حيث درس بكلية أصول الدين سنة ١٩٣٧م وحصل على الشهادة العالمية سنة ١٩٤١م ثم تخصص فى الدعوة والإرشاد حيث نال شهادة الماجستير سنة ١٩٤٣م وبعد تخرجه علم إمامًا وخطيبًا، ثم تدرج فى المناصب حتى صار مفتشًا فى المساجد، ثم واعظًا بالأزهر ثم وكيلاً لقسم المساجد، ثم مديراً للتدريب فمديراً للدعوة والإرشاد، وفى سنة ١٩٧١م أعير للمملكة العربية السعودية كأستاذ فى جامعة أم القرى «بمكة المكرمة» وفى سنة ١٩٨١م عين وكيلاً للوزارة، كما تولى رئاسة المجلس العلمى لجامعة الأمير عبد القادر الجزائرى الإسلامية بالجزائر لمدة خمس سنوات،وله مؤلفات جاوزت الستين كتابًا فى مواضيع شتى بالإضافة للمحاضرات والندوات والخطب والمواعظ والدروس والمناظرات التى كان يلقيها داخل مصر وخارجها، وتم ترجمة العديد من هذه المؤلفات إلى العديد من اللغات كالإنجليزية والتركية والفارسية والأردية والإندونيسية وغيرها، قضى فى معتقل الطور سنة ١٩٤٩ حوالى السنة، وكذلك فى سجن طره عام ١٩٦٥م فترة أخرى من الزمن، توفى فى الرياض يوم ٩/٣/١٩٩٦م ونقل إلى المدينة المنورة حيث دفن فى مقابر البقيع، وله تسعة من الأولاد وملايين القراء والتلامذة لعلمه وفكره.

٨- الأستاذ عبد الحكيم عابدين:

ولد سنة ١٩١٤م فى قرية «فيدمين» مركز طامية بمحافظة الفيوم، وكان من أوائل المنتظمين فى صفوف الحركة الإسلامية ومن أوائل شعرائها.

تخرج فى كلية الآداب بالجامعة المصرية بالقاهرة، ثم عمل أمينًا لمكتبة جامعة القاهرة، واختاره الإمام الشهيد ليكون زوجًا لشقيقته باعتباره أول من تخرج فى

الجامعة، وبايع على أن يجعل مستقبله رهنًا بمطالب دعوة الإخوان المسلمين.

تولى الأستاذ عابدين منصب السكرتير العام للإخوان المسلمين، وقد اعتقل مع إخوانه حين حلت الجماعة فى ٨/١٢/١٩٤٨م، وخرج من السجن حين ألغت حكومة الوفد الأحكام العرفية سنة ١٩٥٠م وسقط قرار الحل.

خرج من مصر للحج قبل حادث المنشية ١٩٥٤م والتحق بالأستاذ حسن الهضيبى المرشد العام - ساعتها - الذى كان يزور سوريا ورافقه فى رحلته إلي سوريا ولبنان والأردن، ولم يعد بعدها إلى مصر، لأن الحكومة العسكرية قامت باعتقال جميع الإخوان المسلمين بمصر وزجت بهم فى السجون بعد حادث المنشية المفتعل، وبقى الأستاذ عابدين يتنقل من بلد إلى بلد وبخاصة سوريا، ولبنان والسعودية والأردن والعراق وغيرها، يبذل قصارى جهده لنصرة دين الله وإعزاز كلمة الإسلام.

اختاره سماحة الحاج محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ليكون مستشاراً للهيئة العربية العليا فى بيروت تحت رئاسة سماحته، كما اختارته رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ليكون مستشاراً لها.

عاد إلى مصر سنة ١٩٧٥م حيث مارس العمل الدعوى مع إخوانه بقيادة المرشد الثالث الأستاذ عمر التلمسانى ولم يطل به المقام حيث انتقل إلى جوار ربه سنة ١٩٧٧م بعد عمر حافل بالنشاط الإسلامى داخل مصر وخارجها منذ شبابه حتى آخر مراحل شيخوخته.

٩- الأستاذ صلاح شادى:

كان رئيس نقطة بوليس صفط الملوك التابعة لمركز إيتاى البارود بحيرة عندما دعاه صديقه الأستاذ صالح أبو رقيق لحضور محاضرة للإمام الشهيد حسن البنا وكانت هذه المحاضرة هى بداية التحاقه بركب دعوة الإخوان المسلمين، ثم أصبح مسئولاً عن قسم الوحدات الذى شارك فى محاربة الإنجليز.

وشارك فى الإعداد لثورة يوليو وعرض عليه أن يكون وزيراً للحربية فى وزارة الثورة الأولى فرفض، وقضى فى سجون عبد الناصر ما يقرب من عشرين عامًا فما لانت له قناة، ثم خرج من السجن ليواصل الجهاد مع إخوانه عاملاً لدين الله حتى آخر يوم فى حياته حيث أسلم الروح بعد يوم عمل طويل شاركه فيه الأستاذ مصطفى مشهور حيث توفى

وهو جالس بجانبه فى السيارة بعد صلاة العشاء وأداء واجب العزاء فى وفاة زوجة أحد إخوانه وكان ذلك فى عام ١٩٨٩م.

١٠- الشيخ السيد سابق:

من علماء الأزهر الشريف انضم إلي جماعة الإخوان المسلمين فى بداية شبابه، وعينه الإمام المرشد مفتيًا للنظام الخاص وكانت هذه التسمية سببًا فى أن أطلقوا عليه مفتى الدماء، كلفه الإمام الشهيد حسن البنا بوضع كتاب مبسط فى فروع الفقه فكان كتابه الرائع فقه السنة الذى قدمه له الإمام البنا، وقد أخرج للمكتبة الإسلامية العديد من الكتب منها العقائد الإسلامية وإسلامنا وأوقف حياته للدعوة داخل البلاد وخارجها إلى أن لقى ربه.

١١- الأستاذ عبد العزيز كامل:

نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف وشئون الأزهر، الذى جاهد وابتلى كثيرًا فى سبيل الدعوة ومات عليها بالرغم من بعده عن مصر ردحا طويلاً من الزمن.

١٢- الشيخ أحمد حسن الباقورى:

وزير الأوقاف وشئون الأزهر ورئيس جامعة الأزهر الأسبق، ظل مقيمًا على عهده مع جماعة الإخوان المسلمين بالرغم من اختلافه مع الجماعة، التقى بدعوة الإخوان المسلمين منذ بدايتها مع الإمام البنا وكان زعيمًا لطلبة الأزهر، كما كان شاعر الإخوان ومن أقرب الشخصيات للإمام البنا، وتدرج فى جماعة الإخوان حتى وصل إلى عضو فى مكتب الإرشاد ولم يسمح لنفسه أن يلقى قصيدة خارج نطاق الإخوان فى ناد من النوادى ولا فى حفل من الاحفال ولا فى صحيفة ولا فى مجلة.

١٣- الدكتور يوسف القرضاوى:

ولد عام ١٩٢٦م فى إحدى قرى محافظة الغربية بمصر، ونشأ فى أسرة متدينة رقيقة الحال يشتغل أفرادها بالزراعة، وانتقل والده إلى رحمة الله تعالى وهو فى الثانية فى عمره، فكفله عمه وأتم حفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ العاشرة من عمره وتخرج فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣م وكان ترتيبه الأول على دفعته، ثم التحق بتخصص التدريس بكلية اللغة العربية، فحصل على العالمية مع إجازة

التدريس حائزًا المرتبة الأولى على خمسمائة طالب من كليات الأزهر، ثم التحق عام ١٩٥٧م بمعهد البحوث والدراسات العربية العالمية التابع لجامعة الدول العربية فحصل منه على دبلوم عال فى شعبة اللغة والآداب وفى هذه الفترة نفسها التحق بقسم الدراسات العليا فى شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين، ثم شرع فى إعداد الدكتوراه إلا أن أحداثًا رهيبة حالت دون حصوله عليها إلا عام ١٩٧٣م بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى، وتأثر بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم والشيخ محمد رشيد رضا.

اتصل مبكرًا بحركة الإخوان المسلمين مما صحح فهمه للإسلام، ورسالته فى الحياة وواجب دعاته فى هذا العصر فى وطنهم الصغير ووطنهم الإسلامى الكبير، وذلك من خلال تأثره أيضًا بمؤسس الحركة الإمام حسن البنا الذى قال عنه القرضاوى: إنه أعظم الشخصيات أثرًا فى حياتى الفكرية والروحية، وقد أدى انتماؤه إلي هذه الحركة إلى اعتقاله عدة مرات منذ ١٩٤٩م ثم ١٩٥٤م ثم ١٩٥٦م ثم ١٩٦٢م، قم بعمل ضخم فى سبيل الدعوة الإسلامية فى دولة قطر منذ عام ١٩٦١م منها إنشاؤه كلية التربية التى صارت نواة لجامعة قطر، ثم تولى تاسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالجامعة نفسها عام ١٩٧٧م، وكذلك أصبح المدير المؤسس لحركة بحوث السيرة والسنة النبوية بجامعة قطر.

شارك في العمل الإسلامى خطيبًا ومحاضرًا وكاتبًا ومؤلفًا وداعية ومربيًا .. مفكرًا ومخططًا.

ترجم العديد من مؤلفاته إلى لغات العالم الإسلامى المتعددة، وكذلك له دواوين من الشعر فى معظم أغراضه ومجالاته .. أمد الله فى عمره.

١٤- الأستاذ مصطفى السباعى:

هو مصطفى بن حسنى السباعى من مواليد مدينة حمص بسوريا عام ١٩١٥م، ونشأ فى أسرة علمية وكان والده يتولى الخطابة فى الجامع الكبير بحمص، وكان يصحب أباه إلى مجالس العلم، اشترك مصطفى السباعى فى الحركة الوطنية فى سوريا التى تكافح الاستعمار الفرنسى وهو فى السادسة عشرة من عمره فقبض عليه الفرنسيون لأول مرة سنة ١٩٣١م بتهمة توزيع منشورات فى حمص ضد السياسة الفرنسية، ثم

أفرج عنه، وفى عام ١٩٣٣م ذهب إلى مصر للدراسة فى الأزهر، واشترك سنة ١٩٤١م فى المظاهرات ضد الإنجليز وكان عقابه السجن.

التقى مصطفى السباعى فى مصر بالأستاذ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين وانضم إلى الجماعة، واختير ليكون أول مراقب لجماعة الإخوان المسلمين بسوريا سنة١٩٤٥م، واشترك فى حرب فلسطين وقاد إخوان سوريا فى المعركة، حصل مصطفى السباعى على درجة الدكتوراة وعين أستاذاً فى كلية الحقوق فى الجامعة السورية، وعندما طلب من الحكومة السورية سنة ١٩٥٢ السماح بمشاركة الإخوان فى سوريا أن ينضموا إلى إخوانهم فى مصر فى كفاحهم ضد الإنجليز، صدر الأمر باعتقاله وحل الإخوان فى سوريا، واستمر فى الدعوة والكفاح حتى مرض ثمانى سنوات وتوفى رحمه الله فى يوم ٣ / ١٠ / ١٩٦٤م وترك مؤلفات كثيرة منها: شرح قانون الأحوال الشخصية، المرأة بين الفقه والقانون وغيرهما.

١٥- الأستاذ كامل الشريف:

من قادة كتائب الإخوان فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، خرج من مصر عام ١٩٥٤م وقام عبد الناصر بسحب الجنسية منه، ولذلك تجنس بالجنسية الأردنية وعينه الملك حسين وزيراً للأوقاف بعد ذلك وله كتابات منها «المقاومة السرية فى قناة السويس»، و«الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين».

١٦- الأستاذ عمر بهاء الدين الأميرى «الشاعر والأديب»:

كان الأستاذ عمر الأميرى من أوائل من التحقوا بحركة الإخوان المسلمين فى سوريا مع الأستاذ محمد المبارك والأستاذ الشيخ محمد الحامد والشيخ عبد الفتاح أبو غدة وغيرهم، وبذل جهوداً طيبة لدعم الحركة وأسهم في توجيه شبابها وكان وثيق الصلة بالإمام البنا وبعده الأستاذ الهضيبى يكثر من زيارته والتردد عليه ومشاورته فى الأمور.

للأستاذ الأميرى أسلوبه فى علاج المشكلات ومواجهة التحديات فهو يؤثر الحكمة واللين والمهادنة مع أصحاب السلطة لإزالة البغض من نفوسهم وعدم استثارة حفائظهم وترغيبهم فى الإحسان إلى شعوبهم، وعندما كان سفيراً لسوريا فى باكستان وفى زياراته لمصر فى أوائل الخمسينيات كان يجتمع بطلبة البعوث الإسلامية ليعطيهم توجيهاته ونصائحه فيما يتعلق بالعمل الإسلامى وكان يركز على المؤامرة على الإسلام

وسبب ضياع دولة الخلافة وانقسام المسلمين على أنفسهم والاستعانة بأعدائهم على إخوانهم، بالإضافة إلى تأخر المسلمين علمياً عن ركب الحضارة وانغماسهم فى الشهوات وتكالب الأمم عليهم، وكان يثنى على حركة الإخوان المسلمين ومؤسسها ويرى أنها الحركة التى تتوافر فيها مواصفات النهوض بالأمة من كبوتها، كما يوصى الشباب المتحمس بعدم التعجل والاعتماد على التربية لإعداد الرجال.

١٧- الأستاذ محمد محمود الصواف:

كان من أعلام الإسلام ليس فى العراق وحدها بل فى العالم الإسلامى كله، صدع بكلمة الحق واستنهض الهمم لإنقاذ فلسطين بعد قرار التقسيم سنة ٤٧، وأنشا جمعية «إنقاذ فلسطين» وسارع إلى الجهاد، يعد الكتائب ويجهز المجاهدين ويجمع الأموال لدعمهم، وأسهم وتلامذته فى العراق بإسقاط معاهدة «جبر - بيفن» الاستعمارية، وظل يساند المجاهدين فى كل مكان حتى غادر العراق مطارداً من الطاغية عبد الكريم قاسم وأعوانه الذين أهدروا دمه، ولجأ إلى سوريا ثم إلى المملكة العربية السعودية التى آوته وآزرته كما كان له جولات دعوية فى أفريقيا وجنوب أسيا لقيت دعماً كبيراً من الملك فيصل آل سعود أحيا بها روح التضامن الإسلامى، وكانت له مواقف بطولية أمام تجبر الطغاة والمستعمرين، ونظم لهما المؤتمرات الشعبية لمساندة الثورة وقضية الشعب الجزائرى، ولم يترك مدينة بالعراق وكان أول كتاب صدر له كتاب «صرخة مؤمنة إلى الشباب والشابات» يلهب فيه الحماس ويحرك المشاعر ويدعوهم فيه إلى الحق والخير والالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة، وكانت له مواقفه المساندة للثورة الجزائرية مع أخويه الورتلانى والإبراهيمى ودعاهما لزيارة العراق ونظم لهما المؤتمرات الشعبية لمساندة الثورة وقضية الشعب الجزائرى، ولم يترك مدينة بالعراق إلا وزارها ودعا جماهيرها إلى منهج الإسلام وطريق الدعوة، كما زار معظم الأقطار ينشر دعوة الإسلام، وفى السنوات العشر الأخيرة من عمره أعطى وقته وجهده للجهاد الأفغانى يناصره ويسانده ويصلح بين فئات المجاهدين ليمنع الفتن التى يكيدها أعداء الإسلام ويخطب ويبكى الحضور ويملأ القلوب إيماناً وعزيمة.

الفصل الثالث

جوانب من شخصية الإمام البنا

تمتع الإمام البنا بصفات شخصية قلما تجتمع في إنسان واحد، وقد أهلته هذه الصفات الشخصية والمواهب التي حباه الله بها لأن يصبح الداعى الأول فى القرن العشرين، ومؤسسًا وقائدًا لأكبر حركة إسلامية على مستوى العالم، وهى حركة الإخوان المسلمين، فقد حباه الله بجسد قوى يتحمل الشدائد والمصاعب فضلاً عن ذاكرة حديدية تحتفظ بالمعلومات والأسماء بطريقة عجيبة، وسرعة بديهة وسعة أفق ،وقدرة على تحليل الأحداث واستخلاص النتائج التى قلما تخطئ، فقد كان رحمه الله عليمًا بعصره فقيهًا فى حركته ذا حكمة ودهاء، وكان رحمه الله زاهدًا فى العيش مع القدرة على الكسب، متواضعًا فى غير ذلة معتزًا بنفسه وبدعوته من غير كبر، يحب إخوانه ويألفهم ويألفونه.

وكان الإمام البنا يقدم دعوته على غيرها من الأشياء، يقدمها على راحته ويقدمها على أولاده، فقد عاش بالدعوة وللدعوة، وقد امتلك الإمام البنا قوة روحية هائلة وإرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، وعزيمة ماضية لا تنثنى.

ولندع الحديث حول هذا المعنى لمن رافق الإمام الشهيد - رحمه الله - حيث عايش حركته الدائبة فى الدعوة إلى الله لا يفتر عن ذلك أبدًا، يقول الأستاذ محمد عبد الحميد وهو من الرعيل الأول: «إن من أبرز سمات شخصية الإمام الشهيد روح «الحركة» فى طبيعته وطاقة العمل الضخمة فى أعصابه ودمه.

كان شخصية عجيبة فذة حقًا، هى روح وعقل وجسد، روح: هى شعلة سماوية تتوهج بالحرارة والضياء!! وعقل: هو ميزان محكم لا يميل ولا يضطرب على كثرة الأحداث وهول المشاكل!!، وجسم: هو أداة طيعة لهذه القوى الكبيرة والمعانى القدسية العالية!!.

كان شخصية متحركة لا تقف ولا تسكن، كانه فلك إنسانى يدور مع الكواكب يعمل ويوجه ويعد وينظم وينتج فى لحظات ما يقصر عنه غيره فى شهور وسنوات، كان يركض إلى الله حين يمشى العاملون، ويثب إليه حين يركض المخلصون، ويطير إليه حيث

يثب المصلحون، كان يتأسى بالرسول الأعظم ﷺ فى جهاده الدائم حتى كان من أوصافه: «ليست له راحة»!!.

تبهرك أعصاب فذة كأنها كهربائية، نسيج وحده لا يخضع لمؤثرات المادة وقوانينها فى الطاقات والمواقيت، سهر دائم وفكر عامل ثاقب وسلسلة لا تنقطع حلقاتها فى الفكر والعلم والإعداد والتوجيه، وأسفار تلو أسفار حتى تغلغل فى أعماق الكفور والنجوع وبين العشائر والقبائل، فكان الزعيم الحق الذى جلس على التراب وخالط لأول مرة طبقات الشعب فى حياتهم وأحس آلامهم ومشاكلهم!!

كان يختزل الحياة اختزالاً كأنما كان يسابق الأفلاك فى دورانها، خطواته خطوات العماليق، وجهاده جهود أمة كاملة لا فرد محدود، كأنه علم أن حياته أقصر من دعوته الشاملة فحرص على أن يكون لدعوته من أسباب القوة، ويحوطها بأضخم ما يستطيع من أسوار، ويجهزها بأعظم ما يقدر من العدة والذخائر، ولما رأى أن مشاكل المجتمع فوق ساعاته المحدودة وحياته القصيرة جعل شعاره تلك الكلمة المأثورة «الواجبات أكثر من الأوقات»!.

كان سمته «الحركة الدائمة» والعمل السريع وكان يندفع إلى تكاليف الحياة ومطالبها فى هيام وغرام ليس لهما مثيل، وهو خلال ذلك ينتج إنتاجًا ضخمًا هائلاً رغم المسارعة فى غير زلل أو عثار، بل كانت سرعته يتوّجها التوفيق وحركاته المتلاحقة يزينها الإحكام!!.

كانت همته فوق قدرته، وقدرته فوق التعب والزمن، يتسامى فوق الطاقة البشرية، وأعماله الضخمة الموفقة أشبه بكرامات الأولياء منها بجهود العباقرة، عزيمة تتضاءل دونها العزائم، وهمة لا تبلغها العصبة أولو القوة إلا بروح من الله ورضوان!!.

فحق لنا أن نتناول فى هذا الجزء بعضًا من هذه الصفات نلقى عليها الضوء من خلال بعض جوانب شخصيته وهى جديرة حقًا بالتأمل والدراسة.

المبحث الأول

الجانب العقائدى

كان الإمام الشهيد حسن البنا رجل العقيدة بحق، وقد صور الإمام الشهيد حسن البنا فى كتابه «العقيدة وشخصية رجل العقيدة» حال رجل العقيدة وما أخاله إلا أنه كان يتحدث عن نفسه فى وصفه لشخصية رجل العقيدة، ولن نحصى كل مفردات الجانب العقائدى فى حياة الإمام الشهيد، لكننا سنعرض لبعض منها:

١ -التوكل على الله:

التوكل على الله باب كل خير، به يفتح الله أبواب الرزق المغلقة، وبه يكون الله كافيًا عباده كل مشقة، وبه يبلغ الله عز وجل أمره: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ**﴾ [الطلاق: ٣]، وهذا المعنى مطلوب تعميقه فى نفس كل مسلم عامة وفى قلب كل داعية خاصة حتى لا يعرف لليأس طريقًا ولا يتسرب القنوط منه إلى نفسه أبداً، وهكذا كان الإمام البنا - رضى الله عنه - متوكلاً على الله حق توكله، ولم يخب ظنه بالله حتى فى أحلك الظروف وأشدها.

حين رغب الإخوان فى شراء قصر آل «أبو الحسن» وهو المبنى الضخم المقابل لدار المركز العام للإخوان فى ميدان الحلمية الجديدة، لم يكن فى خزانة الجماعة غير مائتى جنيه فقط بينما المبلغ المطلوب أربعة عشر ألفًا من الجنيهات، وحين طلب أصحاب القصر مبلغ خمسمائة جنيه عربونًا على أن يتم سداد باقى المبلغ بعد كتابة العقد بشهر.

هنا هتف حسن البنا قائلاً: شىء عظيم، اشترينا القصر إن شاء الله، وهو يعلم أن الخزانة ليس بها إلا مائتا جنيه، لكنه متوكل على الله ويوقن أن الله سيجعل له من أمره يسراً، وما دام القصد إرضاء الله تعالى، والغاية إعلاء كلمة الله فلن يخيب هذه المساعى الحميدة.

ويطلب الإمام البنا من أمين الصندوق الحاج أحمد عطية(١) تدبير ثلاثمائة جنيه؟ ويقول له الإمام: أنت رجل مبروك وفى وجهك الخير، فيقول له: إذا وفرنا قيمة العربون

(١) عبد الحكيم عابدين: مذكرات غير منشورة.

فمن أين لنا بباقى المبلغ؟ فيرد عليه الإمام البنا: توكل على الله. فتسرى هذه الكلمات فى وجدان الرجل ولا يجد وسيلة لتدبير بقية العربون إلا أن يبيع «حلى زوجته» ويستكمل باقى العربون كدين عليه وأحضر قيمة العربون.

وبينما الإخوان يفكرون فى تدبير ثمن شراء القصر إذا بأبواب الخير تتفتح عليهم، فيأتى أحد المحبين لزيارة الإمام البنا فيخبره بأن الإخوان عقدوا العزم على شراء القصر المقابل، فيسأل: ولماذا لم تنتقلوا إليه؟ فيجيبه بأنهم دفعوا العربون فقط وأن تسليم القصر يكون بعد دفع مبلغ ألف جنيه، فإذا بالرجل يعلن عن تبرعه بمبلغ خمسمائة جنيه فى الحال حتى يتمكن الإخوان من استلام القصر والانتقال إليه.

وفى أول حديث ثلاثاء أعلن عن شراء القصر المقابل للمركز العام ويُفتح باب التبرع لهذا الغرض، وطلب الإمام أن يساهم كل أخ مستطيع فى عملية الشراء وقال: لا أريد أن أحرم أحداً من الإخوان المسلمين فى أنحاء القطر أن يكون له حجر أو لبنة فى المركز، وفى أقل من شهر استكمل المبلغ وزادت التبرعات عن المبلغ المطلوب. فسارع الإمام البنا وأعلن غلق باب التبرع لحساب الشراء.

وهكذا صار للإخوان مركز عام ضخم يستوعب الكثير من أوجه نشاطهم، خاصة حديث الثلاثاء الذى أصبح مقياساً صادقًا ومعبراً بوضوح عن قوة الإخوان فى المجتمع المصرى.

فمن مبلغ صغير فى الخزانة محبوس أصبح للجماعة منارة عظمى تفد الوفود والجموع إليها.

٢ - اليقين فى نصر الله:

إن الإنسان الطموح إلى غاية سامية وهدف عظيم إذ لم يكن متيقنًا من الوصول إلى غايته فإنه لن يصل إليها، لأن اليأس سوف يستبد بقلبه ويسيطر على مشاعره، ويستسلم له فيقعده عن العمل، وقد كان هذا المعنى متمكنًا من قلب الإمام البنا، ظهر ذلك فى خطته التى كان يلح فيها ويركز على بعث الأمل، وبث الثقة فى نفوس إخوانه ضاربًا الأمثلة الحية من سيرة الرسول - ﷺ - كموقفه فى غزوة الأحزاب التى وصف الله فيها شدة البلاء الذى نزل بالمؤمنين فقال: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ

زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

فى هذا الجو الرهيب شديد البرد، والأعداء كثر، استعصى حجر من الأحجار على الصحابة، فأخذ رسول الله – ﷺ – المعول وضربه وقال: «**بسم الله الله أكبر، فتحت عليكم الروم، والله إنى لأنظر إلى قصورها البيضاء...**» الحديث.

بمثل هذه المعانى كان يتحدث البنا مع إخوانه، ولم يكن ذلك أقوالاً فقط بل كانت أفعالاً أيضًا، فعندما اعتقل بعد مقتل أحمد ماهر ازداد يقينًا فى نصر الدعوة وكتب إلى إخوانه من خلف القضبان فى ١٦ / ٣ / ١٣٦٣هـ يقول: إن ما نلقاه الآن ليس جديداً علينا ولا هو من المفاجآت فى طريق دعوتنا، فكذلك كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء: **﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾** [آل عمران: ١٣٩]، وقد حقق لنا القوم بهذا ما كنا نتمثل به من قبل: «إن سجنى خلوة وقتلى شهادة وتغريبى سياحة»(١)، وقد نقلونا بهذه المحنة نقلة واسعة إلى الأمام والحمد لله، ووقفوا بنا على طريق معبد من طرق الدعوة، وهذا أول الخير وأنا به جد متفائل وأعتقد أن وراء ذلك الفتح العظيم إن شاء الله(٢).

٣ – يرضى بالقضاء والقدر:

كان الإمام الشهيد رضوان الله عليه يؤمن بالقضاء والقدر إيمانًا راسخًا، لا عن طريق الدراسة والتعليم فقط؛ وإليك قوله فى هذا:

– إن إيمانى بالقضاء والقدر، والرزق والأجل، ليس نتيجة الدراسة والتسليم والإيمان بالنصوص فقط، ولكنه نتيجة التجارب والمشاهدة، فقد تعرضت للموت فى صغرى أكثر من مرة وبصورة مختلفة، وكانت نجاتى بأعجوبة، فوجئت أنا وأخى عبد الرحمن ونحن صبيان نلعب فى «الحارة» بانقضاض بيت كامل فوق رؤوسنا، ولم ينجنا إلا استناد السقف على «درابزين» السلم فأصبحنا فى مأمن بالفراغ الناشئ عن ذلك حتى رفعت الأنقاض وخرجنا سالمين».

---

(١) قول مأثور للإمام ابن تيمية رحمة الله عليه.

(٢) مجلة عطارد – العدد الثانى ص ٤٨ – فبراير ١٩٥٣م.

– ووقعت من فوق سطح يرتفع عن الأرض أكثر من ثمانية أمتار ولكن الله سلم فجاءت الوقعة فى « ملطم المونة » فلم تحدث إصابة.

– وقذفت بنفسى فى إحدى الترع الكبيرة فى أيام الفيضان، والماء على أشده فراراً من مطاردة كلب عقور، فانتشلتنى سيدة كريمة، لا أزال أذكر منظرها، وقد خلعت فى سرعة البرق جلبابها وتعممت به، وقذفت بنفسها إلى الماء، وبعض الرجال وقوف ينظرون، ولا ينجدون، مما جعلنى أؤمن بأن الشهامة والنجدة ليستا وقفًا على الرجال.

– وتقدمت لإطفاء النار فى منزل اندلعت ألسنتها فيما على سطحه من وقود على عادة الريف، فامتدت النار إلى ثيابى وأطرافى، ولكن فرقة الإطفاء كانت قد أقبلت، وقدر رجالها هذ الموقف من ناشىء صغير، فوجهوا إلى خراطيمهم، ونجوت بذلك من احتراق محقق.

– وجمحت بى الفرس مرة جموحًا شديداً، واعترضنى حاجز قوى لسور خشبى يحاذى الرقبة، كان الاصطدام كافيًا ليطيح بالرأس إلى مكان بعيد، لولا أن الله تبارك وتعالى ألهمنى فى هذه الساعة الحرجة أن أستلقى على ظهرى على السرج استلقاءً كاملاً حتى اجتزت هذا الحاجز[١].

وكان – رضى الله عنه – ينزل عليه القضاء، فيرضى به، بل ويشكر عليه كأنه برد وسلام على قلبه، لدرجة أنه لا يغير من برنامجه شيئًا، ويشهد بذلك موقفه من موت ابنه، يقول أنور الجندى: كان قد دعا إلى « كتيبة » تبيت بالمركز العام، يتحدث معهم إلى هزيع الليل، ثم ينامون ساعة أو ساعتين، ثم يستيقظون لصلاة الفجر، كان قد ذهب إلى المنزل فوجد ابنه فى حالة الخطر، وعلى شفا الموت، وكان موعد الكتيبة قد اقترب فانصرف إليها، وبينما هو يتحدث معهم فى بشاشته المعهودة، جاء من يسرُّ إليه أن ابنه توفى، فما زاد على أن قال له بضع كلمات تتعلق بغسله وتكفينه.. وواصل حديثه مع أعضاء الكتيبة ونام معهم، وفى الصباح أمر بمن يذهب به إلى القبر[٢].

(١) الدعوة – العدد (٥٢) – ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١هـ/ ١٣ فبراير ١٩٥٢م.

(٢) مجلة عطارد – العدد الثانى ص ٤٩ – فبراير ١٩٥٣م.

المبحث الثانى

الجانب العبادى

كان الإمام الشهيد حريصًا على أداء العبادات على أكمل وجه، فكان حريصًا على أداء الصلاة فى وقتها، وقد نبه إخوانه إلى ذلك فقال: «قم إلى الصلاة متى سمعت النداء مهما تكن الظروف» وكان حريصًا على قيام الليل مهما اشتد به النصب مع حب وشغف بالقرآن لا ينتهى.

- صلاته:

يقول الأستاذ محمود عبد الحليم: «لقد كنت فى أيام اتصالى بالإخوان المسلمين حريصًا على مراقبة كل ما يدور فى مركزهم العام، لا سيما ما يصدر من مرشدهم من حديث وأعمال.

وقد لفت نظرى أن صلاة المرشد - وكان دائمًا هو الإمام - لا تكاد تختلف عن صلاة كثير من الناس، فهى وإن كانت صلاة خاشعة مطمئنة؛ لكن رائيها لا يمكن أن يصفها بانها صلاة مطولة كتلك التى تمارس فى مساجد بعض الجمعيات، أما فى الصلوات الجهرية فكان له فيها - رحمه الله - أسلوب آخر.. كان يطيل فيها من قراءة القرآن.. ولكن هذه الإطالة لم تكن مجرد إطالة ولا القراءة مجرد قراءة، وإنما كانت قراءة هادفة، كانت قراءة من مواضع مختارة.. يتناول فى كل صلاة منها معالجة موضوع معين من المواضيع الحساسة التى تمس النفوس وتعالج مشاكل المجتمع، ففى صلاة يستعرض على المامومين أصناف الناس، وفى صلاة أخرى يستعرض طبائع النفوس، وفى ثالثة يعرض صورة لغرور السلطة وعواقبه، وفى رابعة يستعرض مواقف الحق الأعزل من الباطل المسلح، وفى خامسة يستعرض دلائل قدرة الله فى مخلوقاته، وهكذا من المواضيع التى يخرج المامومون من كل منها بتوجيهات محددة وتعاليم معينة.

وغير خاف على القارئ المجرب أن سماع المؤمن القرآن وهو واقف فى الصلاة بين يدى الله ذو أثر فى النفس أشد عمقًا وأعظم وقعًا من سماعه القرآن فى غير هذا الوضع.. وقد يفهم من القرآن في هذا الموقف ما لا يفهمه منه فى غيره من المواقف.. لا سيما إذا كان القارئ أستاذًا مربيًا يفهم ما يقرأ، ويعرف كيف يتلو الآية تلاوة تبرز ما خفى من

معانيها فهو يعرف كيف يكون الوقف ويعرف كيف يكون الوصل.. ولا يمر بآية وعيد وعذاب إلا استعاذ في سره بالله، ولا يمر بآية من البشريات إلا طلب في سره من الله المزيد، وهكذا كانت الصلاة إحدى وسائل حسن البنا في تثبيت أفكار دعوته في النفوس وفي تربية من وراءه وتوجيههم.

لكن القليل من الإخوان من لمس من حسن البنا اختلافًا عن الناس في الصلاة التي بينه وبين ربه - أعني الصلاة - يحكي الأستاذ عمر التلمساني عن موقف صحبه فيه إلى لمنزلة، بعد كثرة الإجهاد من السفر، والجلوس مع الإخوان، ومتابعة أنشطتهم، حدث ما يلي:

وبعد الحفل صعدنا إلى الطابق الثاني في منزل لنأخذ قسطًا من الراحة، ودخلت معه إلى حجرة بها سريران وعلى كل سرير ناموسية، لأن المنطقة كانت زاخرة بجحافل الناموس، التي لا ترتوي إلا من امتصاص دماء البشر، ودخل سريره وأرخى ناموسيته، وفعلت مثلما فعل على السرير الآخر، وكان التعب والإجهاد قد بلغ مني مداه، فاعتراني قلق وبعد خمس دقائق تقريبًا سألني فضيلته: هل نمت يا عمر؟ قلت: ليس بعد، ثم كرر السؤال بعد فترة ثم بعد فترة، حتى ضقت بالأمر، وقلت في نفسي: ألا يكفيني ما أنا فيه من إجهاد وقلق حتى تضاعف على المتاعب! ألا تدعني أنام؟ كان هذا حديثًا صامتًا يدور بيني وبين نفسي فصممت على الا أرد على أسئلته موهمًا إياه أنني نمت، فلما اطمأن إلى نومي نزل من سريره في هدوء كامل، وعند الباب أخذ «القبقاب» بيده وسار حافيًا حتى وصل إلى دورة المياه، حيث توضأ وأخذ سجادة صغيرة، وذهب إلى آخر الصالة بعيدًا عن الغرفة، التي ننام فيها.. وأخذ يصلي ما شاء الله له أن يصلي، ونمت أنا ما شاء الله لي أن أنام[1].

ويقول عمر بهاء الأميري: «لقد راقبته أدق المراقبة، حتى إنني كنت أتابعه من شقوق الباب وهو يصلي في غرفته خاليًا قبل النوم، وكنت أفحص خشوعه فأراه أطول سجودًا وأكثر إقبالاً على الله منه وهو يصلي بنا».

الرجل القرآني:

القرآن الكريم نور يضيء جنبات النفوس ويتسرب إلى أعماق القلوب فيهزها

---

(١) عمر التلمساني: ذكريات.. لا مذكرات ص ٥٤.

ويضيئها وصدق الله القائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وصدق رب العزة إذ قال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨].

ولكن هذا النور لا يضيء إلا النفوس التى فتحت له مغاليقها واستدعته إلى دروبها، لتستضيء بنوره وتتلألأ بأسراره العجيبة، وهذا مصداق قول ربنا فى سورة النساء: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥]، ومصداق قول الحق سبحانه فى سورة المائدة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ⑮ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

ونحسب الإمام البنا كان واحداً من القرآنيين الذين شغلهم القرآن الكريم تلاوة وحفظًا وفهمًا وعملاً، فكانت حياتهم كلها له. وهذه بعض المواقف المشهودة للرجل رحمه الله.

غاب عن الناس من خلقه ما جعله بين نفسه وربه يستره عن الناس فلا يطلع عليه إلا خاصة أهله، فهو فى بيته - شهد الله - لا يفتر عن مصحفه ولا يغيب عن قرآنه ولا يغفل عن ذكره، يتلو القرآن على الحافظ منا فيسمع له ويلقى بالمصحف إذا لم يجد حافظًا إلى الصغير فيراجع عليه ويملأ البيت بالقرآن والتلاوة سابحًا فى آيات، غارقًا فى ذكريات، صاعداً إلى سماوات، يعرف الطريقة التى كان يقرأ بها النبى ﷺ فيقرأ بها والمواقف التى كان يقف عندها فيقف عندها.

وكان تعرو جسمه رعدة وتأخذ نفسه روعة فيتجهم لدى آيات الوعيد، ويشرق عند آيات البشرى والنعيم، خارجًا عن الجو الذى يحيا فيه غائبًا عن معنى بعيد بعيد.

يقول عنه الكاتب الأمريكى «روبير جاكسون»: لقد حمل البنا المصحف ووقف به فى طريق رجال الفكر الحديث، ثم يقول عنه: وكان الرجل القرآنى يؤمن بأن الإسلام قوة نفسية فى ضمير الشرق وأنها تستطيع أن تمده بالحيوية التى تمكن له فى الأرض.

وكان رحمه الله ذا فهم قرآنى راق نابع من قلب داعية، ففى ذلك يقول محمد عبد الحميد أحمد: «من الذكريات الجميلة التى لا تزال راسخة فى أعماق نفسى ما فتح الله على إمامنا الشهيد خلال محاضرات يوم الخميس من كل أسبوع لقسم الطلاب بالمركز العام، وكان موضوع المحاضرة «دراسات قرآنية» تناول فيها موضوع الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور من القرآن الكريم مثل «ألم، ق، ص.. إلخ» وتناول آراء المفسرين فى دلالتها وحكمتها.. ثم هداه الله وكشف فى هذه الحروف إذا جمعت وحذف المكرر منها تكون عبارة تدل على أن هذه الحروف لها حكمة ربانية وسر إلهى، وهذه العبارة هى «نص قاطع حكيم له سر» وقد عرضنا هذا التصوير على الشيخ الصالح «كامل حسن» وكيل كلية الشريعة سابقًا رحمه الله فكان جوابه إن القرآن كما وصف الرسول عليه الصلاة والسلام لا تنتهى عجائبه، وهذا فتح من الله يؤتيه الله من يشاء من عباده الصالحين، والإمام البنا رجل قرآنى امتزج القرآن بدمه ولحمه فلا عجب أن يهديه بتأمله وتدبره إلى هذه الملاحظة البديعة حقًا.

ويصفه الشيخ الغزالى فيقول: «إن الله جمع فى شخصه مواهب تفرقت فى أناس كثيرين وقد استفاد من تجارب من سبقوه من القادة، وكان يدمن قراءة القرآن ويتلوه بصوت رخيم ويحسن تفسيره كأنه الطبرى أو القرطبى، ويفهم أصعب المعانى ويعرضها على الجماهير بأسلوب سهل قريب. وقد درس السنة والفقه ففهم منهج السلف والخلف وأحاط بالتاريخ الإسلامى واطلع على منهج محمد عبده، ورشيد رضا وتعمق فى حاضر العالم ومؤامرات الاحتلال الأجنبى.

المبحث الثالث

الجانب البدني

البدن هو مركب الروح لتنفيذ رغباتها والنفوس العظيمة تتعب من مرادها الأجسام، فإذا كانت النفس تواقة إلى معالى الأمور والبدن لا يتحمل ذلك عجز عن تحقيق أهدافها وآمالها، ولذلك وهب الله الإمام البنا قوة بدنية كبيرة ساعدته فى أداء رسالته فى هذه الحياة وقد بدت قوته البدنية وقوة تحمله فى مواقف عديدة، نذكر منها.

- فعندما كان طالبًا فى مدرسة المعلمين الأولية بدمنهور - وهو لا يزال فتى يافعًا - يظل اليوم والليلة عاملاً مذاكرًا لا ينام، ثم إذا نام نام الوقت القليل، فكان فى يوم الخميس بعد ذهابه للمدرسة فى دمنهور يرجع إلى المحمودية، فلا يذهب إلى بيته - رغم أنه صائم - ولكن إلى دكان الساعات، ومنه إلى البيت حتى يفطر ثم يذهب إلى المسجد للصلاة والدرس، ثم يذهب إلى الحضرة، ثم يسهر فى المدارسة والذكر حتى صلاة الفجر، ثم يستريح لفترة، ثم يذهب بعدها للدكان للعمل حتى صلاة الجمعة، ثم الدكان إلى المغرب فالمسجد فالمنزل ثم يذهب فى الصباح إلى المدرسة[1].

- وعندما أصبح مرشداً للإخوان كان يقطع القطر المصرى بمحافظاته المختلفة من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه فى أيام معدودات، يزور المراكز والقرى ويزور شعب الإخوان ويحاضر فيها ويوجه إخوانه إلى الخير ولا تسل كيف كانت وسائل المواصلات فى ذلك الوقت، ومع صعوبتها فقد كان حسن البنا لا يركب إلا قطار الدرجة الثالثة فى معظم رحلاته، وسأقدم لك نموذجًا لبعض الرحلات التى قام بها الإمام البنا لزيارة الشعب فى يناير وفبراير سنة ١٩٤٦م، فهذه هى أيامه:

فى يوم الأحد ٩ صفر الموافق ١٣ يناير بالمنيا، ويوم الاثنين والثلاثاء حفلات بالمركز العام بالقاهرة «موعد المحاضرة الأسبوعية»، ويوم الأربعاء ١٦ يناير بمنيا القمح وفاقوس، ويوم الخميس ١٧ يناير أبو كبير والزقازيق، والجمعة ١٨ يناير بالإسماعيلية، والسبت ١٩ يناير ببورسعيد، والأحد ٢٠ يناير بالعزيزية، والاثنين والثلاثاء حفلات بالمركز العام بالقاهرة، والأربعاء ٢٣ يناير بالمنصورة، والخميس ٢٤ يناير بشبين الكوم وطنطا أول،

---

(١) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ص ٣٥.

والجمعة ٢٥ يناير بطنطا ثان ودمنهور، والسبت ٢٦ يناير بالإسكندرية بمناطقها الثلاث، والأحد ٢٧ يناير بقليوب وشبين القناطر، والاثنين ٢٨ يناير بطوخ وبنها، والثلاثاء بالمركز العام حفلات والمحاضرة الأسبوعية(١).

تلك كانت الزيارات المتفرقة، وهى تبين مدى الجهد الذى يبذله دون كلل أو ملل، وهناك رحلات أخرى عرفها الإمام البنا وكانت تستغرق منه يوم الخميس بعد انتهاء اليوم الدراسى فى مدرسته، والجمعة والسبت ويعود منها مباشرة على مدرسته يوم الأحد دون أن يتأخر عن موعده، وقد كان يبذل فيها من المشقة والجهد ما يصعب على كثير من أصحاب الأبدان القوية وإليك نموذج لذلك:

سنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٩م

الساعة ٣,٤٠ يسافر من «القاهرة» مساء الخميس ٢١ ذى القعدة ١٢ يناير يصل إلى «المنيا» الساعة ٨ مساء.

الساعة ١١,٣٥ يسافر من «المنيا» فى نفس الليلة - يصل «إدفو» الساعة ٨,٤٠ من صباح الجمعة.

الساعة ١,٢٥ يسافر من «إدفو» بعد ظهر الجمعة فيصل إلى «قنا» الساعة ٦,٣٦ مساء.

الساعة ٨,٢٤ يسافر من «قنا» صباح السبت إلى «نجع حمادى» فيصل الساعة ٩,٤٥ صباحًا أيضًا.

الساعة ٤,٢٤ يسافر من «نجع حمادى» إلى «جرجا» فيصل إليها الساعة ٥,٤٤ مساء السبت أيضًا.

الساعة ١٠,٥٥ مساء السبت يسافر من «جرجا» عائدًا إلى القاهرة فيصلها الساعة ٧ صباحًا يوم الأحد.

أما فى أيام الأجازات الطويلة كإجازة نصف العام، أو أجازة آخر العام، فقد كان لها برنامج مماثل يتناسب مع طولها، وإليك نموذج لها:

---

(١) أحمد أنس الحجاجى: روح وريحان ص ٢٧٩.

اليوم والتاريخ	البلد	الموعد والقطار
الأربعاء ٣٠ يناير	العياط الواسطى	القيام من القاهرة الساعة ١,٤٥ مساء ويصل الساعة ٣ عصراً. القيام من العياط الساعة ٧,٤٥ مساء ويصل ٨,١٥ مساء.
الخميس ٣١ يناير	أسيوط البدارى أبنوب	القيام من الواسطى الساعة ٩,٣٥ صباحًا ويصل الساعة ٢,٣٨ ظهراً. بالسيارات بالسيارات
الجمعة ١ فبراير	كوم أمبو أسوان	القيام من أسيوط الساعة ٢,١٠ صباحًا ويصل ١٠,٤٤ صباحًا. القيام من كوم امبو الساعة ٥,٣٥ مساء ويصل ٦,٣٥ مساء
السبت ٢ فبراير	إدفو إسنا	القيام من أسوان الساعة ٦,٥ صباحًا ويصل ٨,٣٨ صباحًا. القيام من إدفو الساعة ٥,٢٠ مساء ويصل ٦,٢٠ مساء
الأحد ٣ فبراير	الأقصر قوص قنا	القيام من إسنا الساعة ٩,٥٧ صباحًا ويصل ١١,٥ صباحًا. القيام من الأقصر الساعة ٣ مساء ويصل ٣,٤٢ مساء القيام من قوص الساعة ٦,٣٥ مساء ويصل ٧,٢٠ مساء
الاثنين ٤ فبراير	دشنا نجع حمادى فرشوط	القيام من قنا الساعة ٧,٢٨ صباحًا ويصل ٨,١٠ صباحًا. القيام من دشنا الساعة ١,٣٢ ظهراً ويصل ٢ ظهراً. القيام من نجع حمادى الساعة ٦,٦ مساء ويصل ٦,٣٠ مساء
الثلاثاء ٥ فبراير	البلينا جرجا	القيام من فرشوط الساعة ٩,٥ ويصل ٩,٤٥ صباحًا. القيام من البلينا الساعة ٣,٥ ظهراً ويصل ٣,٣٠ ظهراً.

اليوم والتاريخ	البلد	الموعد والقطار
	سوهاج وأخميم	القيام من جرجا الساعة ٧,٤٥ مساء ويصل ٨,٣٦ مساء.
الأربعاء ٦ فبراير	طهطا طما أبو تيج	القيام من سوهاج الساعة ٨,٥ صباحًا ويصل ٨,٥٥ صباحًا القيام من طهطا الساعة ١١,٤٣ صباحًا ويصل ٣,٣٠ظهرا القيام من طما الساعة ٥,٥٦ صباحًا ويصل ٦,٣٠ مساء
الخميس ٧ فبراير	منفلوط ديروط ملوى	القيام من أبو تيج الساعة ٧,٨ صباحًا ويصل ٩,٩ مساء القيام من منفلوط الساعة ١,٣٠ ظهرًا ويصل ٢,٢ ظهرًا القيام من ديروط الساعة ٥,٤٤ مساء ويصل ٦,١٧ مساء.
الجمعة ٨ فبراير	الفكرية سمالوط بنى مزار	القيام من ملوى الساعة ١٠,٢٥ صباحًا ويصل ١١,١٥ صباحًا القيام من الفكرية الساعة ٢,٥٢ ظهرًا ويصل ٣,٤٥ظهرًا القيام من سمالوط الساعة ٨,٧ مساء ويصل ٨,٤٢ مساء.
السبت ٩ فبراير	مغاغة الفشن ببا	القيام من بنى مزار الساعة ١٠,٢ صباحًا ويصل ١٠,٣٠ صباحًا القيام من مغاغة الساعة ٤,٣٤ مساء ويصل ٤,٥٦ مساء القيام من الفشن الساعة ٦,٥٣ مساء ويصل ٧,١٠ مساء.
الأحد ١٠ فبراير	بنى سويف الفيوم	القيام من ببا الساعة ١١,١٨ صباحًا ويصل ١١,٣٩ صباحا بالسيارة من بنى سويف بعد المغرب إن شاء الله.
الاثنين ١١ فبراير	القاهرة	من الفيوم بالقطار أو السيارة إن شاء الله والله المستعان.

ومن ذلك نستطيع أن نصف الإمام الشهيد بأنه «رحالة فى سبيل الله أبدًا» حيث إن الداعية الحق هو من يقسم جهده ووقته بين أبناء دعوته، فلكل واحد منهم نصيب،

البعيد منهم كالقريب عنده، القاصى منهم لا يقل عن الدانى، وقد اعتاد الناس فى شهور الصيف أن يفروا من حرارة جو الصعيد إلى حيث سواحل مصر الشمالية يتبردون برطيب جوها ويسعدون بشذا زرعها ومائها، وكان الإمام البنا رحمه الله على خلاف ذلك.

فشهور الصيف الحار التى تتشقق منه الأحجار يقضيها هذا الداعية المجاهد هناك حيث الكفور والنجوع والجبال، وبمجرد أن تنتهى الأجازة الصيفية يعود أدراجه إلى القاهرة ليبدأ برنامجًا حافلاً لرحلته الشتوية فى أرجاء الوجه البحرى، وكان له فى ذلك كله مواقف وطرائف.

كان يقطع الوجه القبلى كله بلدًا بلدًا وقرية قرية فى عشرين يوما ينام ساعة أو بعض ساعة فى القطار وهو يضع رأسه تحت ذراعه وهم يتحدثون من حوله.

فإذا سافر مع أصحابه أشرف على نومهم وبحث عن الأسرة والغطاء وكل أمورهم فإذا اطمأن إلى أنهم رقدوا عاد إلى حجرته يتوضأ ويصلى هزيعًا من الليل ويناجى حتى الفجر ثم ينام بعده ساعة أو ساعتين يستيقظ بعدها فتيا قويًا، وسرعان ما يرتدى ثيابه ويتناول إفطاره ويكون فى الطريق إلى العمل يجتمع مع أهل كل بلدة خاصة فإذا انتهى جمعهم فى جماعة عامة.

وفى «القوصية» دعا زعيم البلدة الأستاذ البنا وإخوانه إلى طعام العشاء فى قصره وما أن انتهى من الحفل المقام حتى بدأ ينصرف وسار وراءه كثير من أتباعه وقريبًا من القصر وقف وقال: يا فلان ثلاثة فقط يذهبون معنا، ودعا كل جماعة إلى أن تأخذ طريقها، المسافرين والمقيمين، حتى لا يعطى الرجل صورة معروفة عن بعض الطوائف، وهناك على المائدة - كعادته دائمًا - لا يأكل إلا القليل والقليل جدًا، فإذا عاد إلى غرفة نومه أخذ فى كتابة مذكراته عن أعمال يومه.

وربما يزور بلدة من البلاد لأن له فيها مريدًا واحدًا وكان من عادته أن يزور إخوانه فى أماكنهم ولا يحملهم مشقة الانتقال إليه، فيركب الحمار والجمل والفرس ويركب القطار والأتوبيس والسيارة والمركب والمعدية ويمشى أحيانًا.

ذات مرة أراد أن ينتقل من البر الغربى للنيل إلى البر الشرقى ليزور بعض إخوانه هناك فقالوا له: إن المركب الوحيد على هذا البر مفتوح ولا تصلح للركوب ويحسن أن نرسل إليهم أن يحضروا، فقال: لا بل نذهب فيه وننقل الماء منه إلى البحر وقد كان.

وفى رحلاته كان يصحب معه حقيبة صغيرة فيها غيار الملابس وبعض كتب ومناديل وجرابات ومشط وفرشاة أسنان وشيء آخر «علبة الدقة» وهى علبة صفيح مستديرة ذات غطاء فيها مسحوق أسود اللون وقال له أحدهم: لم تحمل مثل هذا؟ فأجاب: من يدرى لعلنا نذهب إلى بلد لا نجد فيها من ننزل عنده أو نعرفه، عندئذ نغمس الرغيف فى الدقة وننام فى المسجد يضع أحدنا ذراعه تحت رأسه ويتغطى بعباءته وينام.

وكان كثيراً ما يحدث فى أول الأمر أن ينزل بلداً من البلاد ويكون الوقت عصراً مثلاً فيتوجه إلى المسجد وبعد أن يصلى مع الناس العصر يقف بجوار أحد الأعمدة ويستأذن الإمام فى الكلام، ويأخذ فى تفسير حديث من أحاديث رسول الله ﷺ ثم يستطرد إلى ما يريد أن يقول فى يسر وبساطة، وقد ينصرف الناس بعد أن يستمعوا إلى حديثه فيكون من أمره أن يبيت بالمسجد بعد أن يتوسد ذراعه وينام على حصير الجامع ويتغطى بعباءته.

وكم قضى من الليالى على هذا الوضع وكان قد عود نفسه أن يسافر إلى أسوان والأقصر فى أجازة الصيف، وقد قدر له أن يزور أربعة آلاف قرية فى القطر كله وكان يخطب فى كل بلدة، وكان يأكل طعام الغداء مرتين أو ثلاثة ويسر لإخوانه الحاضرين معه من القاهرة: «كلوا نصف بطن هنا فأمامنا غداء آخر فى البر الغربى وإذا لم نأكل هناك يغضبون منا».

وكان فى هذا التنقل العجيب يعرف كثيراً: اللهجات، الأخلاق، الطبائع، القصص، الأسرار، التاريخ، البيوت، العائلات، الغنى والفقير، الحياة والموت.

وما كان يتمتع به الإمام الشهيد من قوة بدنية، قادرة على تحمل المشاق والمصاعب يصفه الأستاذ أنور الجندى حيث صحبه فى رحلته للحج عام ١٩٤٦م يقول: نركب السيارة بين مكة والمدينة فيصيبنا الدوار ولا يصيبه، نأكل بعض الأصناف فتصاب أمعاؤنا ولا يصاب، ندخل جو مكة الحار بعد جونا الرطب، وجو المدينة الرطب بعد جو مكة الحار فتتأثر صدورنا بالزكام والسعال وهو لا يتأثر، يتعبنا المشى والتصعيد فى غار حراء وهو لا يتعب، تزعجنا المشاق وهو باسم راض، تتأفف نفوسنا وتتوتر أعصابنا لبعض المواقف وهو هادئ يرد عنا ما بنا من غلظة وجفاف.

ذلك فضل الله وذلك نتيجة التمرس الدائم بأعباء الحياة وأجوائها وأطعمتها وأسفارها(١).

وبتلك القوة البدنية التى حباه الله بها كان الإمام الشهيد قادراً على تحمل كل الأجواء والظروف، قائظ، أو برد قارس، هواء عاصف، أو نسيم عليل، صحراء مقفرة، أو أرض موحلة، الكل يستوى عنده، يتكيف مع كل ذلك دون مشقة أو عناء.

ومن لطيف ما يحكى فى ذلك أنه لما دخل المعتقل فى ١٦ أكتوبر عام ١٩٤١م وكان مع الأستاذان أحمد السكرى، وعبد الحكيم عابدين، كان كثيراً ما يختلفان حول إعداد غرفة النوم أثناء النوم، فقد كان الأستاذ أحمد السكرى لا يستطيع أن ينام إلا إذا أغلق الشبابيك، والزجاج والمنافذ كلها، ولا يترك منفذاً أبداً، وكان الأستاذ عابدين يقول له: «أنا أكاد أختنق، سأموت من الحر» وكان الأستاذ الإمام يضحك عليهما ويقول: «اضربوا رأسكما فى رأس بعض»(٢)، أنا سأنام فتحتم أو قفلتم. ويعلق الأستاذ عابدين فيقول: والعبرة التى تأخذنى أن الإمام الشهيد - طيب الله ثراه - ما كان يهمه أبداً أن ينام على الأرض أو على سرير، فى شباك مفتوح أو مغلق، فى حر أو فى برد، لا يبالى أبداً بشىء من هذا»(٣).

(١) أنور الجندى - حسن البنا الداعية الإمام والمجدد الشهيد.

(٢) هو مثل شائع يقال عندما تحتدم المواجهة بين اثنين سخرية منهما، وتهوينا من شان ما يختصمان عليه.

(٣) عبد الحكيم عابدين: مذكرات غير منشورة.

المبحث الرابع

الجانب العقلى

ليس المؤمن كما يتصوره الناس « كيس قطن » ولكنه كما جاء فى الأثر « كيِّس فطن » وكما أخبر بذلك الخليفة الثانى رضى الله عنه « لست بالخب ولا الخب يخدعنى »، وهكذا فليكن الدعاة إلى الله: إيمان وتقى محوط بيقظة ودهاء يمكن الداعية من حسن التصرف فى المواقف والتغلب على العقبات، وقد كان الإمام الشهيد - رحمه الله - واحداً من هذه النماذج، فلندع القول لمن عاصروه ورأوا المواقف بعيونهم شاهدة على ذلك:

قال فضيلة الشيخ طنطاوى جوهرى: « إن حسن البنا فى نظرى مزاج عجيب من التقوى والدهاء السياسى، إنه قلب علىٍّ وعقل معاوية، وإنه أضفى على دعوة اليقظة عنصر « الجندية »، ورد إلى الحركة الوطنية عنصر « الإسلامية »، وبذلك يعد هذا الجيل الإسلامى الحاضر النسخة الإسلامية الثانية الكاملة المعالم بعد الجيل الإسلامى الأول فى عهد الرسول ﷺ(١).

ومما يذكر على سبيل المثال أن أزهريًا أراد أن ينفر منه المستمعين بإثارة جدل عقيم حول جزئيات سخيفة فى بدء حركته فى الإسماعيلية، فسأله عن اسم والد « إبراهيم الخليل » فى معرض قصته فقال له البنا: « إن اسمه « تارخ » وإن « آزر » عمه. والقرآن يقول إن آزر أبوه ولا مانع من أن يكون عمه لاستخدام ذلك فى لغة العرب وقال بعض المفسرين: إن آزر اسم للصنم لا لأبيه ولا لعمه، ونطق الإمام البنا كلمة تارخ بكسر الراء، فرد عليه الأزهرى إن الكلمة بضم الراء لا بكسرها إحراجًا له.. »وحين أراد الأزهرى أن ينحو هذا النحو فى كل درس تذرع بوسيلة تدل على دهائه فدعاه إلى منزله وأكرمه وقدم له كتابين فى الفقه والتصوف هدية وطمأنه على أنه مستعد لمهاداته بما شاء من الكتب، فطابت نفس الأزهرى وواظب على حضور الدروس وكف عن اللجاج(٢).

ولعل أشد المواقف امتحانًا لذكائه ودهائه كان عندما صادر إبراهيم عبد الهادى أموال

---

(١) أنور الجندى - مرجع سابق ص ٣٥١.

(٢) إسحاق موسى الحسينى، كبرى الحركات الإسلامية ص ٥٢، ٥٣.

الجماعة وطاردها بعنف واتهمها بتبييت الانقلاب وعدم الولاء للعرش، فما كان من البنا إلا أن صرح بأن الهيئة ستأخذ بالنهوض بحالة البلاد من الناحية الدينية والاجتماعية والاقتصادية مهملاً الناحية السياسية التى توغل فيها أيما توغل إبقاء على الجماعة فى وجه العنف[١]، وهو موقف لا بد من أن يكون قد حز فى نفسه وآلمه أشد الألم بعد أن كان يرجو أن يجعل من الإخوان «جيش الإنقاذ وكتائب الجهاد» وبعد أن صرح مراراً أن السياسة جزء لا يتجزأ من منهجهم.

ومن أهم مفردات الجانب العقلى للدعاة الذاكرة القوية، والقدرة على التركيز، لأن الدعاة يلقون كثيراً من الوجوه ويتحدثون إلى أناس كثير، فلو لم يؤتهم الله نعمة التركيز وهبة التذكر القوى والذاكرة الحادة ما استطاعوا أن يقودوا جموع الأتباع ولا أن ينشروا فكرتهم فى كل الأصقاع.

وكان الإمام البنا نموذجًا فريداً فى هذا الباب وطرازاً عجيبًا فى هذا الصدد:

يسمع إلى آلاف الأفكار والآراء والمذاهب فلا تؤثر فى اتجاهه المركز الثابت وإنما تمده بالعون، ذلك أنه أوتى القوة الكاملة على تحرير نفسه فلا يجرفه تيار فكرة ما إلا بعد البحث الدقيق.

أعطى هذا الرجل ذاكرة عجيبة لا تنسى اسمًا ولا وجهًا ولا مكانًا ولو طالت السنون، ولذلك فهو يعرف أكبر مجموعة من الناس ويعرف عنها كل ما يحيط بها معرفة تامة، ويعرف القطر مدنه وقراه، ويعرف روح كل بلد ووضعها ونظم أهلها وتقاليدها وعاداتهم ومذاهبهم الدينية وكل ما يتعلق بكيانهم الروحى والاجتماعى والعقلى، فيتمشى معهم ويحاول أن يرتفع بهم، وكان يعرف أتباعه من صورهم وكانوا قد أرسلوا رسومهم وحضروا بعد عام فلما رآهم ناداهم بأسمائهم وكان يعرف أسماء أتباعه بعد أن يلتقى بهم للمرة الأولى وكان إذا سمع اسماً ردده، وإذا قيل له: فلان من عائلة «كذا» فتوقف وقال: هناك خمس عائلات فى مصر تحمل هذا الاسم فمن أيهم هو؟.

عقله كأنه مطبعة من المطابع التى تحفظ الصور والأسماء والأماكن على كثرة ما لقى من الناس وشاهد من الصور والأماكن، فقد طاف القطر من أقصاه إلى أقصاه المدن

---

(١) إسحاق موسى الحسينى، كبرى الحركات الإسلامية ص ٥٢، ٥٣.

والقرى، ورأى رجالاً من المغرب والهند والشام والجزيرة العربية، وهو على قدر ما التقى بالناس لا تغيب عنه أسماؤهم ولا أهدافهم ولا مسائلهم، فذاكرته حافظة عجيبة الصمامات يفتحها فى الوقت المطلوب، بالقدر المطلوب تحتوى شعرًا ونثرًا وأدبًا وتاريخًا وفقهًا وحديثًا وتصوفًا وقرآنًا وطبًا وقانونًا.

يصفه الأستاذ عمر التلمسانى فيقول: كانت له ذاكرة غير مألوفة فى قوتها: إذا سأل أخًا عن اسمه مرة وابنه وأبيه وعمله ثم التقى به بعد أشهر طوال حياه باسمه، وسأله عن والده فلان، وابنه فلان، وكان ذلك مثار العجب عند الجميع، ولو علمت عدد شعب الإخوان أيام حياته، ولكل شعبة مسئول ثم هو بعد ذلك يعرف كل مسئول عن كل شعبة، وهو الذى يعرف الآخرين بهم، لأذهلتك هذه الذاكرة الجبارة، التى ما ضاقت يومًا عن اسم أو غاب عنها حدث مهما طال به الزمن(١).

ومن الوقائع الدالة على قوة ذاكرته – رحمه الله – ما كان بينه وبين كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر »(٢)، حيث طلبت منه جمعية الشبان المسلمين إلقاء محاضرة عن الكتاب بعد خمسة أيام، ولم يكن عند الإمام الشهيد وقتً يخصصه لقراءته إلا فى فترة ركوبه الترام فى الصباح إلى مدرسته، وفترة رجوعه منها، وكان يضع علامات بالقلم الرصاص على فقرات معينة.

وفى الموعد المحدد ذهب الإمام الشهيد إلى دار الشبان المسلمين فوجدها – على غير عادتها – غاصة بالحاضرين، وهم من رجال العلم والأدب والتربية فى مصر ونتركه يكمل القصة فيقول: « ووقفت على المنصة، واستفتحت بحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبجانبى الدكتور يحيى الدريرى السكرتير العام للشبان المسلمين، ورأيت الكتاب كله منطبعًا فى خاطرى بعلاماتى التى كانت علمتها بالقلم الرصاص.

وبدأت أول ما بدأت فقلت إننى لن أنقد هذا الكتاب بكلام من عندى، وإنما سأنقد بعضه ببعضه، وأخذت – ملتزمًا بهذا الشرط – أذكر العبارة من الكتاب، وأعارضها بعبارة أخرى من نفس الكتاب، ولاحظ الدكتور الدرديرى أننى فى كل مرة أقول: « يقول الدكتور طه حسين فى الكتاب فى صفحة كذا.. واقرأ العبارة بنصها أيضًا من

---

(١) انظر: عمر التلمسانى: الملهم الموهوب، ص ٢٨،

(٢) كتبه طه حسين، ودعا فيه إلى تغريب التعليم والثقافة ووسائل العيش والحياة.

خاطرى، ثم أقول: ويناقض الدكتور طه نفسه فيقول فى صفحة كذا.. وأقرأ العبارة بنصها أيضًا من خاطرى، فاستوقفنى الدكتور الدرديرى، وطلب إلى أن أمهله حتى يحضر نسخة من الكتاب ليراجع معى النصوص والصفحات، لأنه قرأ الكتاب، ولم يلاحظ فيه هذا التناقض» وكأنه لم يقرأ العبارات التى يسمعها الآن.

وأحضر له الكتاب، وظل يتابعنى، فيجد العبارات لا تنقص حرفًا، ولا تزيد حرفًا، ويجد الصفحات كما أحددها تمامًا، فكاد الدكتور الدرديرى يجن، كما ساد الحاضرين جو من الدهشة والذهول، والكل يتجه - كلما قرأت من خاطرى عبارتين متناقضتين - إلى الدكتور الدرديرى فى كل مرة: «تمامًا بالنصوص والصفحات»، وظللت على هذه الوتيرة حتى أنهيت الكتاب كله، وأنهيت المحاضرة، فقام الجميع - وفى مقدمتهم الدكتور الدرديرى - بين معانق ومقبل[1].

وفى موقف آخر: قدم إليه أكثر من مائة «كرت» بأسماء شباب الجوالة فى إحدى المحافظات لتوقيعها، ،فراح يمعن النظر فى صورة كل جوال ويحفظ اسمه ولما توجه بعد أكثر من سنة لزيارة بعض قرى هذه المحافظات، كان يلتقى بالإخوان ويناديهم بأسمائهم، ولم يكن قد التقى بهم من قبل إلا من خلال تلك «الكرنيهات» فكان ذلك مثار دهشة الجميع[2].

ويذكر المهندس سعد لاشين موقفًا للإمام البنا يدل على ذكائه وقوة ذاكرته فيقول: «إنه أثناء حفلات الإخوان فى سوهاج حضر الأستاذ البنا وكنت قد التحقت بالإخوان هناك حيث كنت أعمل بمديرية الزراعة بسوهاج، فلما انتهى الحفل بدأ التعارف بين الإخوان وذكرت اسمى ومهنتى، وبعد انتهاء التعارف بادرنى الإمام البنا بالسؤال الآتى:

الأستاذ محمود لاشين يقرب لك إيه؟ فقلت له: هذا عمى فذهبت إلى عمى وكان فى هذا الوقت مدرسًا أول بالمدرسة الثانوية بسوهاج وقلت له: إن الأستاذ المرشد حسن البنا يعرفك فدهش عمى لأنه لم يلتق به إلا فى سنة ١٩٢٩م إذ كانا فى مراقبة امتحان

(١) الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٤٠، ٢٤١، وبعد ذلك بمدة ألقى الإمام الشهيد - بطلب منه - محاضرة قوية عن الكتاب فى جامعة القاهرة مبينًا خطورة الكتاب على العقيدة، واستمرت المحاضرة عدة ساعات، انظر عمر التلمسانى: ذكريات لا مذكرات ص ٤٩، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٥.

(٢) أحمد أبو شادى: رحلتى مع الجماعة الصامدة، ص ٣٥١، ونفس القصة يشير إليها أنور الجندى: حسن البنا الداعية الإمام والمجدد الشهيد، ص ٣٥٦.

الشهادة الابتدائية، والمراقبة لا تستمر أكثر من أربعة أيام، وكان ذلك أول لقاء لى مع الإمام البنا رحمه الله(١).

كان للداعية الأول للإسلام من البلاغة والفصاحة وحسن الحديث وروعة البيان ما جذب إليه فصحاء العرب وبلغاءهم حتى إنه لما سئل ﷺ عن ذلك، قال: أدبنى ربى فأحسن تاديبى، حتى أن مشركى قريش كانوا يقولون عنه إنه ساحر لما يسلب به القلوب بحلو حديثه وعذب كلامه وبليغ منطقه. وهكذا جعلها الله سنة فى خلقه فحملة ألوية الدعوة إلى الله من بعد الداعية - رسول الله ﷺ - يمنحهم الله هذا البيان الصافى والأسلوب الساحر الأخاذ، ومن هؤلاء كان الإمام البنا رحمه الله وحسبنا تدليلاً على ذلك:

أولا: أقوال من عاصروه واغترفوا من معينه:

يقول الأستاذ أنور الجندى(٢):

« كان حسن البنا كاتبًا وخطيبًا ومحدثًا من آيات البيان والتعبير، ووراء ذلك كله المحصول الضخم من القراءات والثقافات والتجارب، فقد أحاط بالتراث الإسلامى إحاطة طيبة، وعرف من الناس العشرات، استمع إليهم وحدثهم وعرف تجاربهم وما وعوه من سير الدعوة والدعاة ».

ويقول الدكتور منصور فهمى: « كان على قدر عظيم من الإيمان والذكاء ومبشراً من الصالحين، يدعو لوجه الله على أبلغ ما يدعو داعية مؤمن بما يقول وعلى خير صور التبليغ الذى يصل به المعلم المختار الملهم إلى نفوس تلاميذه وأذهان مريديه.

اجتمعت به مراراً فى المجالس التى تعمل للصالح العام كان إذا بدا له أن يسوق رأيًا أو حكمًا كانت الحجج القاطعة تواتيه منتظمة فى فصاحة البلغاء ولباقة الأذكياء الكيسين، وفى تواضع العلماء الراسخين، وفى إيمان الدعاة المخلصين، وطالما سمعته خطيبًا ومحدثًا فى المحافل العامة فكانت المعانى تواتيه جلية واضحة مرتبة، وتتوالى على لسانه العبارات طيعة سهلة فصيحة ولطالما كان يثبت معانيه وأقواله بقول الله المكين والأحاديث المناسبة والشواهد الأخاذة من أعمال السلف الصالح ».

وبمثل فصاحته البليغة الفياضة بحرارة الإيمان كان يقود الجماهير ويفيدهم بما ذهب إليه ويدعو له.

(١) لواء الإسلام - العدد (١١) رجب ١٤١٠هـ - ١٠/ ١٩٩٠م.

(٢) أنور الجندى: حسن البنا الداعية الإمام والمجدد الشهيد ص ٣٩٢، ٣٩٣.

ويقول أحد الأمراء العرب: «لقد خاب ظنى بادئ الرأى فى حسن البنا أول ما لقيته فى القاهرة لجسده الضئيل وبذلته الباهتة وسمته الذى لا يلفت العين، فضلاً عن أن يلفت النفس، فإن هى إلا دقائق فى أحاديث مختلفات حتى بهرنى الرجل البسيط: أصالة فى الصدق تطوع من كان له بعض قلب وأصالة فى الحجة والرأى مبرأة من شوائب الحسد أو العجب، كل ذلك جمع سماحة نفس سيالة الود وتواضعًا عجيبًا ليس فيه إثارة وواقعية مدهشة وحفاظ على ثلاثة أمور فى وقت واحد:

١- وعى راسخ بالأحكام الشرعية.

٢- حاضر الحجة من الكتاب والسنة ومحيط بخلافات الفقه ووجوهها.

٣- على ثقة تامة بدعوته وبمستقبل الإسلام والمسلمين[١].

ثانيًا: بعض المواقف الرائعة فى هذا الميدان:

الموقف الأول: دخول الإمام البنا إلى الجامعة محاضراً عن ذكرى الهجرة النبوية:

كان الاحتفال بالهجرة مقصوراً على الأزهر الشريف، ولم تكن الجامعة فى ذلك الوقت تحتفل بأى ذكرى دينية، وأراد طلاب الجامعة من الإخوان المسلمين أن يقيموا احتفالاً دينيًا فى رحاب الجامعة ويدعو الإمام البنا لحضورها وإلقاء خطبة بها، فاعلنوا فى الجامعة عن الاحتفال وأن الذى يتلو السيرة النبوية هو الشيخ حسن أحمد عبد الرحمن، فلم يعترض أحد على ذلك من إدارة الجامعة، وحان وقت الحفلة، وامتلأت القاعة بالحضور والضيوف المتحدثين، وكانوا صفوة من العلماء والمدرسين بالجامعة وعلى رأسهم الأستاذ أحمد أمين، الأستاذ محمد الغمراوى، وجلس معهم الإمام البنا وحين جاء الدور عليه فى الحديث قام على هيئة المتواضع، ويتحدث بهدوء، ويثنى على السادة العلماء ويذكر مناقبهم، واحداً واحداً ثم بدأ حديثه العذب، بدأ خفيض الصوت، ناعمًا، هادئًا، ثم انطلق وتدفق حديثه وانسابت كلماته متدفقة إلى قلوب السامعين حتى جذبهم إليه، وكان للإمام حماسة فى حديثه وقوة فى منطقه، وبلاغة فى حجته وسحر فى بيانه، فتجاوب معه الحاضرون والتهبت أيديهم بالتصفيق إعجاباً بحديث الإمام، وصارت كلمة «الله أكبر ولله الحمد» تدوى فى رحاب الجامعة، وكان

---

(١) المرجع السابق.

من ثمرة هذا النجاح الباهر أن أصرت إدارة الجامعة على أن تكون الاحتفالات بالمناسبات الإسلامية بانتظام وأن يكون الإمام البنا هو الخطيب الرئيسى فيها.

فإذا كان حسن البنا رحمه الله مؤثرًا فى جموع البسطاء من العمال والفلاحين فإن تأثيره فى رواد وطلاب الجامعة كان أشد(١).

موقف آخر:

يروى أحد ضباط البوليس: «كنت أعمل فى إحدى قرى مديرية «جرجا»(٢) وبينما أنا منهمك فى لعب النرد بعد الغروب إذ جاءتنى إشارة مستعجلة هذا نصها: (يمر الليلة بالبلدة من يدعى الشيخ حسن البنا فالمطلوب مراقبة الاحتفال الذى يقام له وسماع كلمته فإذا وجدتم فيها ما يخالف القانون يقبض عليه فورًا ويرسل مع مخصوص، قال: ضقت بالإشارة وبالشيخ فقد صرفانى عن رغبتى فى اللعب ومضيت إلى ذلك السرادق البسيط المتواضع الذى أقيم، وكان الرجل قد وصل وبدأ يتحدث وجلست فى آخر الصفوف أستمع وأراقب فماذا وجدت؟ تكلم الرجل عن البلدة والإنارة والنظافة وطلب من الأهالى وضع «فوانيس» على أبواب بيوتهم إلى أن يستطيعوا إنشاء مجلس قروى ودعاهم إلى بناء المساجد، وظل يتحدث وأنا أصغى وأقول: ماذا فى قول مثل هذا الرجل مما يضير الأمن العام. وتحدث عن نسيان الخلافات وإجراء المصالحات بين الأسر واستطرد إلى حال الأمة حين تنسى ربها ودينها، كنت أستمع إليه كالمأخوذ، وكأنما قد أمسك بعنانى وسحرنى، فما أن انتهى من كلمته حتى كنت أسرع الناس إلى التسليم عليه وفى اليوم التالى كنت أحمل حقيبته إلى القطار!(٣).

أوتى الإمام البنا أسلوبًا سهلاً ممتنعًا جمع الله إليه صوتًا قويًا له رنة حلوة نفاذة إلى القلوب مؤثرة فى الأعصاب والأرواح تفعل فيها فعل السحر، وهو إلى ذلك لا يستعمل الألفاظ الرنانة ولا الجمل المثيرة ولا الكلمات الجوفاء، إنما يستعمل المعانى العامرة ويخاطب القلوب والعقول معًا، ويعتمد على المنطق والبرهان والحجة، ويجمع بين الأدب العربى الخالص البليغ واللهجة العادية التى يفهمها كل الناس ويجمع بين

(١) من مذكرات المرحوم الأستاذ عبد الحكيم عابدين ص ١٨٢.

(٢) مدينة بجنوب مصر.

(٣) عبد الحكيم عابدين: مرجع سابق.

الفلسفات والاجتماعيات والقانون فى نمط واحد يبسطه للناس حتى يصل إلى الأذهان فلا يثقل على العامة ولا يزدريه الخاصة.

وهو يدعو إلى التراحم والمحبة بين الناس، لا يفتعل العبارة ولا يتكلف الحديث ولكن يرسل القول إرسالاً ويبين ما يريد في بساطة ووضوح مستشهداً فى كل موقف بآيات القرآن الكريم، يحفظها حفظًا جيداً ويتلوها تلاوة عذبة ويوضحها إيضاحًا كاملاً ويفهمها فهمًا دقيقًا، ويفتح عليه فتوح الفيض الإلهى والفتح الربانى وتمضى الساعات وهو مسترسل ويفيض فيسمع الناس فى دهشة وذهول(١).

(١) أنور الجندى: مرجع سابق ص ٣٥٨.

المبحث الخامس

الجانب النفسى

إن نقاء السريرة وإخلاص النية وصفاء النفس من أهم صفات الداعية الحق ولا يجد القبول من الناس إلا بها، وقد كان الإمام الشهيد على قدر كبير من تلك الصفات النفسية الضرورية لكل إمام مجدد ونحاول فى عجالة ان نعرض لبعضها:

١- كان أبغض شيء إلى نفسه المدح والإطراء الشخصى:

عندما يسن إمام الدعاة إلى الله قانونًا فلا يسع أتباعه وحملة الوية دعوته إلا السير على نفس النهج، فرسول الله ﷺ، يقنن لأمته عامة ولأهل الدعوة خاصة ذلك القانون العظيم «احثوا فى وجه المداحين التراب» ذلك أنه كثيرًا ما يكون نابعًا من النفاق، أو يكون دافعًا إلى غرور الممدوح وتكبره بعد أن يمتلئ إعجابه بنفسه.

وعلى نفس المنوال نسج الدعاة إلى الله ومنهم الإمام البنا فقد كان يبغض المدح الشخصى أيما بغض، ويكرهه، ويبدو ذلك واضحًا من خلال هذه المواقف:

«دعيت وأنا وحديث عهد بدعوة الإخوان المسلمين إلى لقاء الإمام الشهيد حسن البنا فى دمنهور.. كنت أتخيله شيخًا كبيرًا له لحية طويلة وفى يده مسبحة طويلة، ويضع على رأسه عمامة واسعة فوجئت بأنه «أفندى» يرتدى البدلة وله وجه باسم يستقطب الناس بالنكتة اللطيفة وكان معروفًا وقتها ان الأفندية معظمهم لا يصلون.

وقف الأستاذ أحمد السكرى وكيل الجماعة – فى ذلك الوقت – والقى كلمة ثم قدم الأستاذ البنا بكلمات فيها الكثير من الإطراء قائلاً: «أيها الإخوان .. ها هو زعيمكم ومرشدكم ها هو قائد المسيرة، نظرت إلى الأستاذ البنا فوجدته يرتجف ووجهه ممتقع ثم قام وأمسك بالميكروفون وقال: ما ماتت الدعوات إلا بسبب التفاف أصحابها حول الأشخاص فإذا مات الشخص ماتت الدعوة.. وأنتم أيها الأحباب مبادئكم خالدة.. الله غايتكم والرسول زعيمكم والقرآن دستوركم والجهاد سبيلكم والموت فى سبيل الله أسمى أمانيكم.. هذه المبادئ التى تلتفون حولها هى الباقية.. فمسح رحمه الله بهذه الكلمات كل الإطراءات التى قالها الأستاذ السكرى.. وما رأيت إنسانًا بعده

مسح إطراء قيل عنه كما فعل الإمام الشهيد وإنما يكتفى الناس بشكر من أثنى عليهم أو بقول: غفر الله لنا ولكم(١).

ويذكر الأستاذ أنور الجندى أن الإمام كان ينزعج من المدح فى شخصه ويقول: «إنه أنزلنى من فوق منصة الخطابة فى أسيوط بشدة وعنف لأننى كنت ألقى قصيدة جاء فيها ذكره فغضب لذلك وقال: إما أن يقول شيئًا عن الدعوة وإلا فانزلوه، وقد فعلها مع كثير غيرى من الإخوان وكنت أشعر بضجره إذا حاول أحد من الإخوان أو من الناس أن يذكره بكلمة ثناء فى قصيدة أو خطبة، وكان يقول دائمًا: «تكلموا فى الدعوة فهى باقية والأشخاص فانون»(٢).

٢- التواضع والبعد عن العجب:

إن كان التواضع وخفض الجناح محبوبًا ومرغوبًا للمسلمين فهو للدعاة واجب ولازم لا غنى لهم عنه، ورسول الله ﷺ كان إمام الدعاة وقدوة المتواضعين فهو القائل: «**طوبى لمن تواضع فى غير منقصة ولزم أهل الذل والمسكنة**» حتى إن الجارية تلقاه ﷺ فى الطريق فتأخذ بيده تطوف به طرقات المدينة ما يمنعه من ذلك شىء، ومن معينه ﷺ قبس حملة لواء دعوته من بعده، فكانوا به متأسين وعلى منواله ناسجين ومن هؤلاء كان مجدد دعوة الإسلام فى هذا العصر الذى كادت أن توأد فيه دعوة الإسلام.

يذكر عبد الحكيم عابدين فى مذكراته غير المنشورة: «بل أذكر مرة ومرات عديدة كان يكثر من التبرؤ بنفسه إلى الله عز وجل، مثلاً فى بعض المحاضرات يرى إقبال الناس والإخوان يأتون فى محاضرات الثلاثاء هذه بدون دعوة من أقصى أطراف القاهرة، وقد يمشى الواحد منهم أكثر من عشرة كيلو مترات على قدميه فكان هؤلاء الإخوان يحضرون دروس الثلاثاء وإذا نظر وراء هذه الكثرة الكاثرة وانتفاضها بالتكبير والتحميد عندما يتحدث ويكون فى حديثه ما يروع ويعجب - وكل حديثه والحمد لله يروع ويعجب- كان لا يتردد فى أن يقول: أيها الإخوان إنكم لتأتون إلى من بقاع بعيدة ومن بلاد نائية وأنا أعلم أن فيكم من يأتى مشيًا على الأقدام وتأتون لتستفيدوا منى علمًا وتأخذوا عنى خيرًا، والله لأعتقد فى أعماق قلبى وشعورى بأن هناك فى أواخر صفوفكم من لا تنظر إليهم عين ولا تصغى لهم أذن، أناسًا وشبابًا تدركنى أنا بهم رحمة الله

(١) لواء الإسلام: ذو القعدة ١٤٠٨هـ.

(٢) أنور الجندى: حياة رجل وتاريخ مدرسة، ص ٤١.

وأتقرب إلى الله أنا بمحبتهم، وأستمد الفيض والبركة من الله ومن قلوبهم، فكان دائمًا حريصًا على هذه المعانى والفرار إلى الله عز وجل فرارًا تامًا من أى معنى أو مادة أو مكسب أو فائدة من هذه الدعوة من علو أو تقدير، ويعلن فراره من هذه إعلانًا يكسر أنف من يركبه الغرور وتجعل أعلى الناس فخارًا بمواهبه لا يشعر إلا أنه حفنة تراب أمام جبل أشم.

أما عن تواضعه رضى الله عنه فقد كان يجلس على الحصير إذا كان المجلس أرضًا وفى آخر الصفوف إذا اصطفت المقاعد للجلوس منكمشًا فلا يكاد يرى متواضعًا فلا يكاد يعرف لولا ما ينم عنه من علم وفضل ونور، يلبس فى غالب أحيانه الجلباب العادى من أرخص الأقمشة والعباءة من فوقه والعمامة يشرق من تحتها جبين وضاء ووجه كله سماحة وذكاء.

٣- التسامى عن المناصب والترفع عن المتن:

إن حب الرياسة خلق دنيوى ترابى لا يطمح إليه المحلقون فى الآفاق الرحبة والأبراج العالية من النورانية والربانية والنعيم العظيم فى الآخرة.

هذا إمام الدعاة الأول ﷺ جاءه عتبة بن ربيعة ممثلاً قومه يعرض عليه أمورًا:

«قل يا أبا الوليد أسمع .. قال: يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا...»، فتلا رسول الله ﷺ سورة فصلت حتى انتهى إلى السجدة فيها ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك، هكذا رفض رسول الله الملك الذى يلهث وراءه الناس.. وهو الأمر الذى كان الإمام البنا - رحمه الله - يتسامى عن طلبه والسعى إليه، فقد كان يود أن يكون جنديًا من جنود الدعوة ويسلم قيادها إلى من يحمل عنه هذا العبء. وقد عرضه مرات ورغب من الإخوان عدة مرات أن يكون هو جنديًا متواضعًا يتلقى الأمر ممن يلى أمر الدعوة حين يجد من يلقى هذه الأوامر وكان يعنى ذلك بجد لا بتحد وتعجيز بل برغبة صادقة حتى كان يقول: فرغونى أنا للعمل الخاص للدعوة اتركوا لى أنا الناس والشعب للتربية وللتفقيه واختاروا لكم مرشدًا عامًا يكون همه إدارة الدعوة وتصريف شئونها ويكون عملى مجرد داعية فقط، لا أقيم فى القاهرة إلا أيامًا قليلة أنقل لكم أخبار الأقاليم، وسرحونى على أجيال هذه الأمة وقراها وأصغر

القرى فيها لأتولى التربية[١]، كانت هذه أمنيته وحرص عليها حتى إنه فى أواخر أيامه رحمه الله قبل استشهاده بنحو سنة ونصف استطاع بعد مجهود أن يصل إلى صورة من هذه الصور، وهو أن يوزع أعباء القيادة الفعلية على أعوانه الموثوقين على أن يكون هو فقط للسياسة العليا.

ومن عجيب أفعاله أنه رفض عرضًا من احد علية القوم[٢]، بأن يطلب إلى وزير المعارف ترقيته ليكون مفتشًا عامًا على التعليم الدينى فى القطر المصرى، ويكون معه «أبونيه» الدرجة الأولى ليتفرغ للرحلات فى أنحاء القطر المصرى كله، يوجه العملية التعليمية، وينشر دعوته بين الناس، فرفض الإمام الشهيد ذلك، واعتذر له بلطف وأدب، وقد عاتبه الأستاذ عبد الحكيم عابدين، والشيخ الباقورى والأستاذ مصطفى الطير وقد كانوا معه فى هذا الموقف على هذا الرفض حيث كانوا يرون فى عرض الشناوى بك عدة فوائد وضعوها بين يدى المرشد وهى[٣]:

١- توفير الوقت ، حيث يتسع للزيارات والرحلات وعدم التقيد بمواعيد المدرسة.

٢- توفير المال الذى يصرف على الرحلات.

٣- توفير الجهد، حيث يجد المرشد الراحة فى الدرجة الأولى أثناء السفر فيوفر على نفسه الجهد والإرهاق الذى ينتابه من ركوب الدرجة الثالثة.

٤- أنه سوف يوجه العملية التعليمية توجيهًا صحيحًا، فضلاً عن علاقته مع علية القوم من المفتشين والمديرين والنظار وغيرهم، وسوف يكون ذلك فتحًا للدعوة حيث تستقطب هؤلاء الناس.

وقد أجاب الإمام الشهيد على ذلك، فأما توفير الوقت فقال: عندنا أجازة صيفية أربعة أشهر، فالرحلات الطويلة نقوم بها فيها، وعندنا أجازة نصف العام عشرة أيام،

---

(١) عبد الحكيم عابدين : مرجع سابق.

(٢) هو الشناوى بك، كان وفديًا من أعيان المنصورة، وكان عضواً فى مجلس النواب اقتنع بفكرة الإخوان وبايع الإمام البنا، وظل وفيًا مخلصًا لدعوته يبذل فيها كل ما يستطيع، وقد قص قصته مع الإمام الشهيد الأستاذ عبد الحكيم عابدين، فى مذكراته غير المنشورة فى حوالى خمس صفحات.

(٣) آثرنا اختزال النص لطوله، وتدخلنا فى صياغة الألفاظ العامية الأسلوب، لأن مذكرات الأستاذ عابدين كانت عبارة عن تسجيلات صوتية تلقى على المستمعين باللهجة العامية، وإن كان فيها من القصص الكثير.

وأجازة عيد الأضحى خمسة أيام، وعيد الفطر أربعة أيام، فما الذى يريده داعية بعد ذلك، هل يريد بساط سليمان ليتصل بشعبه وجمهوره فى الأقاليم؟!.

قالوا: لكن هذا يكلفك الجهد الكثير، فقال: يا إخوان: أنت نسيتم مبادئكم الدعوية، من يطلب الراحة فى أداء دعوته، كيف تتجدد عنده شحنة الإيمان؟ فإذا كان الداعية سيؤدى عمله كما لو كان يقوم برحلة صيد أو بنزهة فما هو المحرك الذى يؤجج الحماسة فى نفسه، ما هو الجديد الذى يستفيده على مشاعره حتى يستطيع أن يشعر أنه مربوط بهذه الدعوة رباط حياة أو موت؟، ثم لو طلب الداعى الراحة فسوف يطرى عوده، ولا يكون له جلد على استكمال مشواره إلى نهايته.

ثم هل تظنون أن الدعوة فى القاهرة من السهل أن تستغنى عن المرشد العام الشهور التى تتصورنها؟ أنا لا أخاف إلا على إخوان القاهرة ، لذلك أذهب إلى الأقاليم أتزود من إيمانهم وأحضر إلى القاهرة أجدد به إيمانكم.

أما عن توفير المال، فأجاب المرشد: إذن لا نشعر بلذة البذل فى سبيل الله، ويفقد الأخ منا سعادته بأنه اقتطع القرش من قوته وقوت أولاده ليبذله فى سبيل الله، وهذه لذة لا يعرفها إلا من ذاقها مثلكم، أنا نفسى إذا فقدت الشعور بأنى أترك ولدى شبه جائع فى سبيل تبليغ دعوة الخير للناس، فقد أصبحت رئيس حزب أو رئيس جمعية ولم أكن داعية، أين نحن من رسول الله ﷺ الذى تروى عنه السيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها: «كنا نرى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ما يوقد فى بيت من بيوت رسول الله ﷺ نار، فقيل لها: فما كان طعامكم يا خالة، قالت: الأسودين، التمر والماء».

أما عن إرهاق الدرجة الثالثة فى السفر، فأجاب المرشد: هل شكوت لكم يومًا من الإرهاق؟ هل قال لكم الإخوان الذين تحدثت معهم طوال الليل: إن المرشد كان باديًا عليه الإنهاك لدرجة أنه لم يستطع أن يبلغ الدعوة، يا إخوانى ارجعوا إلى أصلنا، فليست لنا قوة، وليست لنا طاقة إلا بالفقر إلى الله عز وجل، الذى يمدنا بمدده ويعيذنا بقوته، فإذا التجانا إلى أساليب الراحة ووسائل الترفيه فكأننا نقول لمدد الله: إننا استغنينا عنك، واستبدلناك بوسائل الراحلة، يا إخوانى الافتقار إلى الله ياتينا بالقوة والعون، ولولاه لوكلنا الله إلى أنفسنا، فنضيع وتضيع الدعوة.

أما أن ذلك سوف يكون فتحًا للدعوة ويستقطب علية القوم لها، فأجاب المرشد:

إننا فعلاً سوف نكسب الكثير من رجال التعليم وكبارهم لكن لن يدخلوا لحلاوة الدعوة وانصبابها في قلوبهم، وإنما سيدخلون تقربًا للمفتش العام، الذى بيده ترقيتهم، ونقلهم، ووضع التقارير عنهم، وحينئذ سنتعب فى غربلة هؤلاء الناس وفرزهم وسنجد من هؤلاء من يكون بلاءً على دعوتنا، لأنهم يشبهون مسلمة الفتح، الذين قبلهم الرسول ﷺ حين ثبتت الدعوة، واشتد عودها، وأصبحت لها دولة تحميها أما نحن فما زلنا فى مرحلة التأسيس، وإذا قبلنا مسلمى الفتح هلكت دعوتنا وهلكنا جميعًا.

وبعد أن أجاب لهم المرشد عما حسبوه فوائد ذلك العرض، وأعطاهم درسًا تربويًا مهمًا، قال لهم: إن الشناوى بك يعرض ذلك بدافع إخلاص للدعوة، لكنه لن يحصل عليه إلا بموافقة وزير المعارف - زكى العرابى باشا - الذى هو وزير فى وزارة الوفد ، وربما يحتاج إلى موافقة النحاس باشا نفسه، ومعنى ذلك أننا نطوق أعناقنا بأنفسنا للوفد المصرى، فإذا كنا - الآن وليس لأحد علينا منة - نتهم بأننا وفديون، ويرمينا البعض أننا أحرار دستوريون أو سعديون أو وطنيون .. فما بالكم لو قبلنا عرض الشناوى بك فسيقول الناس إن الإخوان أصبحوا أذناب الوفد، ولا يهم الدليل، بل وسيشعر الوفد بأننا أتباعه، وهذا معناه إما أن نوافقهم دائمًا وإما أن تطلع علينا صحفهم وتقول: إن مدرس الخط الحقير الذى رفعناه إلى مفتش عام للتعليم الدينى لم يذكر لنا هذا الجميل، ولم يعرف لنا الوفاء[1].

٤- محاسبة النفس حتى على خلجاتها وخواطرها:

ومن المواقف النفسية المهمة التى تدل على شدة محاسبة الإمام البنا لخلجات نفسه ومراقبة الشهوات النفسانية الدقيقة ما حدث بعد أن أصدر حسين سرى رئيس الوزراء سنة ١٩٤١م قرارًا بنقل حسن البنا إلى قنا، على أن يكون التنفيذ فورًا وإلا الاعتقال، ورأى الأستاذ المرشد فى الأمر انتقاصا من عزة الإيمان، وامتهانا لكرامة الإسلام، وتخويفًا بالاعتقال، وكأنه السيف المسلط من قبل الحكومة على رقاب الإخوان وهو فى مثل هذه الحالات ينقلب اللين والتسامح والرحمة والرأفة المعهودة فى شخصية حسن البنا إلى شدة، وبأس وعزم على عدم الخضوع لإراحة الشر مهما كلفه ذلك ما دام يتعلق برفعة الإسلام وصمود الحق ضد كبر الباطل وغروره.

---

(١) عبد الحكيم عابدين : مرجع سابق.

والموقف يتلخص فى أنه بعد أن أصدر حسين سرى القرار رفضه الإمام الشهيد، مستعداً للاعتقال المقرون بالقرار عند الرفض، وتجمع خلفه الإخوان وأصبحت الحكومة فى موقف حرج، خاصة وقد حددت موعداً نهائيًا للتنفيذ، وساقت عليه القوم لإقناع البنا بالقبول، وتخويفه من إصرار حسين سرى واستحالة عدم رجوعه عن قراره، لكن أمام إصرار الإمام البنا، وتمسك الإخوان بحقهم تدخل القصر الملكى فى الموضوع، وقبل انتهاء الموعد المحدد للتنفيذ بنصف ساعة، اتصل القصر بالأستاذ عبد الحكيم عابدين، وطلب منه ضبط عواطف الإخوان، وطمأنه أن الموضوع بين يدى الملك الذى سوف يوجد له الحل خلال لحظات، فدخل الأستاذ عابدين يخبر المرشد بذلك، ونترك له تكملة القصة:

فدخلت على المرشد وحوله الإخوان، وهنا موقف من أعظم المواقف فى أدب النفس، وفى مراقبة الشهوات النفسانية الدقيقة من مواقف حسن البنا، لأننى بمجرد أن دخلت عليه قلت: يا أستاذ يبدو أن المسألة ستنفرج، اتصل بى حسنين باشا الآن وقال: المسألة بيد الملك والملك ينظر فيها ، فيبدو أن المسألة ستنفرج، ويزول شبح الاعتقال، فإذا به يقول: الله لا يجعلها تنفرج، نريد أن نرى إلى متى يظلون يخوفوننا بالاعتقال، وأخذ هذا الموقف فى نفوسنا وألبابنا، ورأينا فيه موقفًا رائعًا جداً من معانى الإباء والجلد والاستعداد للبذل والتضحية فى سبيل الله والبلاء فى سبيل دعوة الحق، ولكن حسن البنا لم يلبث أن مسح هذا الموقف بنفسه، مسحة عظيمة وأثبت لنا أنه ليس موقفًا جديراً به إذ قال: والله ما كادت تمر ثوان بين هذه الثورة التى قال فيها لا جعلها الله تنفرج وبين مقولته الثانية: قال: أستغفر الله العظيم أستغفر الله العظيم، هو الاعتقال سوف يتحول من أن يكون بلاء فى سبيل الله إلى أن يكون شهوة من شهوات النفس؟ ثم أخذته هزة سيطرت على كل مشاعره وقال بصوت متهجد: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الاعتقال شهوة من شهوات نفسى فاصرفه عنى واصرفنى عنه وهنا وجدنا أنفسنا فعلاً مشدوهين.

إن هذا الرجل وفى هذا المكان يسلط من إيمانه رقابة على أدق أحاسيسه فيدركه الخوف أن تكون هذه الكلمة الأبية تنطوى على شهوة من شهوات النفس فى الاعتقال، وما وراء الاعتقال من سمعة، وما وراء الاعتقال أن يقال: هذا مجاهد، وما وراء الاعتقال

من ثناء وإعجاب، وخشى أن تكون حظًا من حظوظ النفس، لا بلاء ولا امتحانا فى سبيل الله ، فقال هذه الكلمة : اللهم إن كنت تعلمها شهوة من شهوات نفسى فاصرفها عنى واصرفنى عنها، وجلسنا صامتين حوله، وهو لا يتكلم، وقد شعرنا بأننا رفعنا عن هذه الأرض وعشنا بأجنحة خضراء تحت ظلال العرش؛ لأنه مهما كان معنى الكلمة، ومهما كانت حافظة لحرفيتها، فإن إلقاءها فى هذا الجو لا يمكن أن يعاد إلا إذا عاد حسن البنا وعادت المسألة مرة ثانية ليعيش السامع هذا الجو الذى عشناه[1].

(١) عبد الحكيم عابدين: مذكرات غير منشورة.

المبحث السادس

الجانب الإرادى

ربما يندرج الجانب الإرادى تحت الجانب النفسى، إلا أننا أفردناه لأهميته فى بناء الشخصية التى تريد أن تبعث أمة، فقد كانت همم الإمام الشهيد فوق قدرته، وقدرته فوق التعب والزمن، يتسامى فوق الطاقة البشرية، وأعماله الضخمة الموفقة أشبه بكرامات الأولياء منها بجهود العباقرة، عزيمة تتضاءل دونها العزائم، وهمة لا تبلغها العصبة أولو القوة إلا بروح من الله ورضوان.

وقد عرضنا قبل ذلك موقفه من شراء قصر آل أبو الحسن فى الحلمية الجديدة ليجعله داراً للإخوان، ورغم تعجب الجميع واجتماعهم على أن ذلك ليس فى الإمكان إلا أن إرادة البنا لم تضعف، وتحقق له ما أراد(١).

ومثل ذلك حدث حين أراد أن يصدر مجلة الإخوان المسلمين ولم يكن فى خزينة الإخوان شىء، فجعل جنيهين فى جيب أحد الإخوان هما رأس مال المجلة، وصدر العدد الأول منها بعد ذلك بقليل، وهكذا برأس مال «جنيهين سلفة» أنشئت مجلة عاشت أربع سنوات كاملة(٢).

وموقف آخر لإرادة البنا التى لا تعرف المستحيل حين تآمر أصحاب مدرسة أهلية فى مغاغة على ناظر المدرسة الذى انتمى للإخوان ورأس شعبتهم هناك، فاستغنوا عنه فى وقت لا يستطيع معه الذهاب لمدرسة أخرى، حيث انتهت كل المدارس من إعداد معلميها ونظارها للعام الدراسى الجديد الذى لم يبق عليه إلا أقل من شهر واحد، فاستقبل المرشد الخبر وهو يبتسم وقال: «لا بأس إذن ننشئ له مدرسة يكون هو ناظرها وصاحبها».

ولم يكن لقولة الأستاذ المرشد هذه معنى فى عرف العقل والمنطق والقياس للأسباب الآتية:

أولاً: لم يبق على بدء الدراسة إلا أقل من شهر واحد.

---

(١) ارجع إلى «التوكل على الله» فى هذا الفصل.

(٢) انظر: الموقف والقصة فى مذكرات الدعوة والداعية ص ١٦١.

ثانيًا: أن هذا المشروع إذا أريد تنفيذه فإنه يحتاج إلى رأس مال لا يقل عن بضعة آلاف من الجنيهات فى ذلك الوقت، على أن يستغرق تنفيذه إذا وجد هذا المال سنة على الأقل.. فكيف يمكن مجرد التفكير فيه وليس لدى الشعبة ولا لدى المركز العام شىء من هذا المبلغ؟!.

ثالثًا: إذا افترضنا جدلاً أن مدرسة كاملة المبانى وافية بجميع ما يشترط من الشروط الصحية والاجتماعية أنزلت لنا من السماء الآن، فإن العقبة الكبرى التى لا يمكن تذليلها هى العثور فى هذا الوقت على مدرس واحد يتعاقد معه بعد أن ارتبط كل مدرس بمدرسته.

رابعًا: أن إعداد المقاعد والقماطر والسبورات لمدرسة كهذه يحتاج إذا وجد المكان والمال إلى عدة أشهر.

خامسًا: إذا افترضنا جدلاً أن هذه المدرسة موجودة بكامل معداتها ومدرسيها، فإنها باعتبارها مدرسة جديدة تحتاج إلى عام كامل - مع جميع وسائل الإعلام الميسورة - حتى يعلم الناس بوجودها.. ثم هى لا تبدأ إلا بالسنة الأولى أى بالصف الأول فقط، لأن الناس لن يثقوا بها إلا إذا أثبتت نتائجها جدارتها، لا سيما وفى المدينة مدرسة قديمة أثبتت جدارتها من قبل والجميع يثقون بها(١).

ويعلق الأستاذ محمود عبد الحليم قائلاً: تلقى وفد إخوان مغاغة وتلقينا نحن الحاضرين من إخوان المركز قولة الأستاذ هذه بابتسامة فيها كل المعانى التى تضمنتها الأسباب الخمسة السابقة، ولكن الأستاذ المرشد كان مصممًا على قولته حيث كررها أكثر من مرة تكرار الواثق المتمكن.. ومع ارتيابنا بل ما نراه من استحالة فى تحقيق هذا المشروع، فإن ثقتنا التى تفوق كل تصور فى الأستاذ المرشد جعلتنا نتهم عقولنا ونتهم المنطق والواقع ونصدق ما يقول(٢)، وبمشيئة الله وقدرته بدأت المدرسة فى أول أيام الدراسة باستقبال تلاميذها وهى مستوفية جميع ما لا تستوفيه مدرسة إلا بعد مضى أربع سنوات على إنشائها أو أكثر إذ كانت الظروف مواتية، ورحم الله الإمام البنا الذى كانت له إرادة لا تعرف المستحيل.

---

(١) محمود عبد الحليم: أحداث صنعت التاريخ، ج١ /١٨٥، والقصة بكاملها من ص (١٨٤- ١٨٩).

(٢) المرجع السابق: ج١، ١٨٦.

المبحث السابع

الجانب الروحى

رغم كل مميزات الإمام الشهيد إلا أن الميزة التى تنقطع دونها الأعناق، والتى قلما يجود الزمان بزعيم يظفر بنصيب منها هى القوة الروحية الخارقة، ويشهد بذلك موقعة الأستاذ أحمد السراوى معه فى أوائل أيام انتقال الأستاذ المرشد من الإسماعيلية إلى القاهرة، حيث طلب إليه الأستاذ السراوى أن يصاحبه فى قضاء مصلحة له، فسار معه حتى دخل معه منزلاً فوجد نفسه فى مكان يشبه أن يكون عيادة طبية، ويكمل الأستاذ المرشد القصة فيقول: «وجاء الطبيب قبالتى وأخذ يحملق فى عينى وأنا أنظر إليه فى تعجب ولا أدرى ماذا يريد منى.. يقول الأستاذ المرشد: وبعد نحو ساعة وقف الطبيب، وقال للسراوى: صاحبك هذا قوة روحية خارقة، ليس فى الدنيا الآن قوة تستطيع التغلب عليها ولا أن تعادلها، لقد حاولت معه بجميع الوسائل ولم أتركه إلا بعد أن أحسست أننى إذا زدت على ذلك لحظة فسأنام أنا.

قال الأستاذ المرشد: وبعد أن خرجنا سألت السراوى عن هذه المفاجاة، فقال لى: لقد لاحظت أن فيك قوة روحية جارفة، فحاولت أن أعرف مدى هذه القوة، فاتفقت مع هذا الرجل – وهو أقوى منوم مغناطيسى فى مصر – على مبلغ كبير إذا هو استطاع أن ينومك، ولم أشأ أن تعرف عن عزمى هذا شيئًا حتى آخذك على غرة دون أن تستعد، وقد خسر الرجل المبلغ»(١).

وكانت تلك القوة الروحية السبب الرئيسى فى مقدرته على إقناع الناس بما يريده، بل إقناع أعداء الدعوة الذين يعملون على تدميرها بالعزوف عن ذلك، وكان هؤلاء الأعداء يعرفون ذلك جيداً، ويحسبون حسابه، من ذلك موقف عبد الرحمن عمار بك عندما كان وكيلاً للداخلية فى وزارة النقراشى وشعر الأستاذ البنا بان أمر الحل يعد فعلاً، فحاول مقابلة النقراشى، وقابل عبد الرحمن عمار، وطلب منه ذلك، فاعتذر له عمار بك بمشغولية النقراشى باشا، وتظاهر بانه سوف يحدد له موعداً، وبعد خروج

(١) محمود عبد الحليم: أحداث صنعت التاريخ ١/ ١٥٥.

الإمام البنا من عنده ساله أحد العاملين بوزارة الداخلية[1] وكان سامعًا للحوار الذى دار بينهما: لم كان منه هذا التصرف؟ فقال عمار بك: «إحنا لو تركنا الأستاذ لمقابلة النقراشى باشا فلن يصدر أمر الحل، لأن هذا الرجل قادرعلى إقناع النقراشى باشا، وبذلك تحدث أزمة بين الحكومة والسراى»[2].

وقد أعلن الأستاذ محمود عبد الحليم عن ذلك فقال: «إن حسن البنا كان من اتساع الأفق بحيث لا يعدم أن يجد بديلاً مهما بدا لجميع الناس أن الأمور قد ضاقت واستحكمت حلقاتها حتى صار الطريق مسدودًا لا منفذ فيه، وكان هذا هو السبب فى أن كثيرين من أعدائه كانوا يتحاشون لقاءه؛ لأنهم كانوا واثقين من انه سوف يلزمهم الحجة ويكسبهم إلى جانبه وهم لا يريدون ذلك حسداً من عند أنفسهم.

---

(١) هو الأستاذ: محمد حياتى، وكان يعمل «ياورا» للنقراشى باشا، وقد نقل عنه هذه القصة سيد عبد النبى وكان لواء شرطة بالمعاش، انظر: محمود عبد الحليم: أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٣٠٥.

(٢) المرجع السابق: نفس الصفحة.

المبحث الثامن

الجانب الاجتماعي

إن حملة لواء الدعوة الإسلامية بعد الإمام الأول رسول الله ﷺ لا يكتب لهم النجاح إلا إذا ترسموا طريقه ونهجوا نهجه وتخلقوا بخلقه، ولا شك أن الجانب الاجتماعى فى شخص الداعى من الأهمية بمكان، وقد تعدد مفردات الجانب الاجتماعى فى شخص الإمام البنا إلى حد بعيد:

أ - اجتماعى يألف ويؤلف:

يقول ﷺ: **«ألا أنبئكم بأحبكم إليّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أحاسنكم أخلاقًا، الموطأون أكنافًا، الذين يألفون ويألفون»**، ونحسب الإمام البنا من هؤلاء ولا نزكيه على الله، فقد كان يتمثل هذا الحديث فى حياته، يتضح ذلك من سماته السابقة واللاحقة ونضيف هنا تلك الشهادات الصادقة:

كان الأستاذ البنا يشارك الإخوان فى كل المناسبات الفردية والاجتماعية، فهو يخطب الجمعة والعيدين، ويصلى التراويح بهم فى رمضان بختمة القرآن كاملة، ويجرى فى كثير من الأحيان صيغة عقود الزواج لهم بنفسه، ويدعو لأطفالهم بالدعاء المأثور، حين يولدون ويشيع جنائزهم، ويوجههم فى حياتهم العامة والخاصة أفضل توجيه، ويدير معهم الحديث فى كل المناسبات، ويخلص لهم الحب والمودة من كل نفسه وهم يبادلونه هذه العاطفة وهذا الشعور من أعماق قلوبهم، وهذا هو سر تماسكهم، وعجزت الدسائس والفتن عن أن تصل إلى كيانهم، أو تنال من بنيانهم.

ويقول أنور الجندى: كانت صلة الداعية بإخوانه عجيبة حتى يكاد يشعر كل أخ من إخوانه إن له به علاقة خاصة وصداقة خالصة، يمتاز بها على من سواه، وفضلاً عن أن له سرائر روحية كريمة مع كل أخ من الإخوان، وله كلمات نافعة يستوحيها من نفوسهم واتجاهاتهم تظل ثابتة، تفعل فعل السحر كلما قدم بها العهد، تبرق فى أطواء النفس ببريقها الجذاب الخاطف كما يبرق الكوكب اللماع فى ظلمة الليل.

وما تزال هذه الألفاظ الكريمة والتوجيهات الصادقة تؤثر فى الأخ الحبيب وتذكى فى نفسه اللهب المقدس كلما اشتد الحنين.

ب- جواد يعطى الإخوان حتى ما يلبسه:

كان رحمة الله عليه أرق من نسيم الصباح، هذا العملاق الجبار الذى ملأ المشارق والمغارب ذكرًا، كان إذا كلم ولدًا صغيرًا فى شأن من الشئون يحمر وجهه من الخجل والحياء لأن عنصر العاطفة كان طاغيًا على هذا الرجل، ولا أقول مسيطرًا عليه، والحنين والرقة للإخوان والرقة للناس، كان شيئًا عجيبًا والله إنه أبر بالواحد منا وأخوف عليه من أمه التى أرضعته، وهذا أيضًا حملنا متاعب كثيرة، متاعب عاطفة المرشد العام وقد كلمه فى ذلك مرة الشهيد الشيخ محمد فرغلى، وقال له: إنك تحملنا كل هذه المتاعب فى سبيل إرضاء عاطفتك الشخصية ووفائك الشخصى، كنا مثلاً إذا سافرنا معًا ويكون لابس «بالطو» معطف - كبود - فإذا بواحد من الإخوان مثلاً يقول له: ما أحلى هذا البالطو، إنه جيد وجميل، فيخلعه ويعطيه للأخ ويقسم ولا يعود يلبسه.

ج - يحب لغيره ما يحب لنفسه:

إن من علامات الإيمان أن ترى المسلم يحب لغيره كل خير يتمناه لنفسه، وهو فى نفس الوقت يبغض للناس كل شر يبغضه لنفسه عملاً بقول إمام الدعاة ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**، وتطبيقًا لهذا النص المبارك على حياة الإمام الشهيد رحمه الله نجد أنه آمن به عمليًا وجعله نبراسًا لحياته، يؤيد ذلك هذا الموقف الذى كان بالمعتقل عندما جاءته البشرى بالإفراج عنه دون أخويه اللذين معه مع إن خروجه له مبرره القوى حيث يتولى الإمساك بدفة الدعوة ويوجهها حيث يريد الله لكن - عليه رحمة الله - رفض الخروج بدون أخويه عبد الحكيم، وأحمد السكرى، وأرسل رئيس الوزارة حسين سرى باشا العضو البرلمانى عن منطقة أسيوط حامد جودة إلى الإمام البنا فى المعتقل محاولاً إقناعه بذلك، إلا ان الإمامه البنا أصر على موقفه، وجلس مع حامد جودة يحدثه عن كيف يكون أخلاق القائد مع جنوده. وتنازلت الحكومة ووافقت على الإفراج عن الأستاذ السكرى معه، لكنه رفض أيضًا ذلك، فارادت الحكومة أن تخرج الأستاذ المرشد بالقوة إلا أن الأستاذ عبد الحكيم عابدين هدد بقتل كل من يتعرض للإمام البنا أو يمس شعرة منه، ورأى المرشد أن يقبل بالإفراج عنهما «البنا والسكرى» حقنًا للدماء ففعل(١).

---

(١) القصة الكاملة فى مذكرات عبد الحكيم عابدين.

ومن الذكريات التي تكشف عن عبقرية الإمام الشهيد في حل المشكلات وإنقاذ المواقف ما بلغني من الأخ السيد «عبد الحي الخولي» نائب شعبة «سوهاج» بالصعيد، فقد حدثني أن الشيخ «عبد الله المازني» عضو الهيئة التأسيسية رغب في تأسيس شعبة للإخوان في قريته «نجع مازن» ولم يرد الاستئذان من عمدة بلدته، ورأى أن الإخوان أسمى من أن يستأذنوا أحداً في هذا الشأن فاتصل رأساً بالمركز العام وطلب من فضيلة المرشد أن يفتتح هذه الشعبة ومعه من يشاء من كبار الإخوان، وأعد سرادقًا كبيراً يسع المئات من الناس، وحدد اليوم الذي يحضر فيه، ووافق الأستاذ المرشد ووعد بالحضور في الموعد المحدد.. وبعد إعداد السرادق الكبير وفي اليوم الذي قدم فيه المرشد بلغ العمدة «عمدة القرية» هذا الاحتفال وذلك الاستقبال فعز عليه أن يتم كل هذا دون علمه وبغير استئذانه وعو عمدة البلدة، فثار ثورة مضرية وغضب غضبة «صعيدية» وعزم على أن يتقلد سلاحه مع مجموعة من الرجال الأشداء ذوي قرباه ليهدم هذا السرادق على رؤوس أصحابه ويقتل من يتعرض له من الإخوان.. وفي اللحظة الأخيرة بلغ المرشد هذه الثورة العارمة وذلك العزم الرهيب فما كان منه إلا أن سارع في خطوات سريعة إلى بيت العمدة ولم يعر اهتماماً بالحفل الإخواني ومن فيه والاستقبال الذي ينتظره في ظلال التكبير والتهليل.. ومضى راكضاً إلى مقر العمدة فالتقى به في منتصف الطريق ومعه عصابته الأشداء وبأيديهم الأسلحة والمعاول والحجارة.. فما كان من المرشد إلا أن اندفع إلى العمدة يحييه ويعرفه بنفسه قائلاً: أنا «حسن البنا» جئت أعتذر إليكم مما فعله الشيخ «عبد الله المازني» معكم، فقد أقام هذا الحفل الكبير دون استئذانكم وقد جئت أطلب إليكم فرض عقوبة شديدة عليه لمخالفته آداب الإسلام في موقفه هذا، فما كان من العمدة إزاء كلمة المرشد إلا أن قال: لقد سامحته يا شيخنا من أجل خاطركم، فأجاب الأستاذ ولكني لا أسامحه وأصر على عقوبته.. فقال العمدة: عفا الله عما سلف، وطلب العمدة من رجاله أن يعودوا من حيث أتوا، فقال الأستاذ: «لا داعي للعودة ويسرني أن أدعوكم إلى حضور هذا الحفل ليزداد بكم سروراً وشرفًا كبيراً» فلبى العمدة ومن معه طلب الأستاذ المرشد راضيًا مغتبطًا واندمج العمدة ومن معه في هذا الحفل يكبر مع المكبرين ويهلل مع المهللين(١).

(١) عبد الحكيم عابدين: مذكرات غير منشورة.

وهكذا أنهى الله سبحانه هذه الحملة النازية الحامية التى أدركها الإمام قبل اشتعالها وأطفأها بحكمته وتواضعه، وقد آثر ألا يستريح لحظة بعد قدومه من هذا السفر البعيد المرهق وقد علاه غبار السفر ولم يجف عرقه بعد.. تاركًا المظاهر؛ مظاهر القيادة والهتاف والتكبير والتعظيم، فإذا بالنار المتأججة تتحول إلى برد وسلام وإذا بالخصومة المستعرة تنقلب إلى محبة غامرة.. وهكذا يعالج الإمام الشهيد المشكلات ويقضى عليها بنفحات إخلاصه وإيمانه وتقواه.

الفصل الرابع

اغتيال الإمام البنا

المبحث الأول

مقدمات الاغتيال

لم يكن الغرض من اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا القضاء على حياة شخص إنما كان الهدف هو القضاء على دعوة وجماعة الإخوان المسلمون، ومحو المبادئ التى تؤمن بها هذه الجماعة وتدعو إليها.

ولقد حاول أعداء الدعوة أن يحرفوا الجماعة عن أهدافها ومبادئها بشتى الطرق فخاب مسعاهم وضل سعيهم، وحتى حين تمكنوا من إصدار قرار بحل الجماعة وقتلوا الإمام الشهيد ظانين بذلك أنهم قد قضوا على الجماعة ومبادئها خاب ظنهم، وذلك لأن دعوة الإخوان فى حقيقتها ما هى إلا دعوة الإسلام التى لا تموت بموت شخص أيًا كان هذا الشخص، فهى دعوة الله ودينه الذى ارتضاه لعباده.

رلقد حاولت قوى متباينة اغتيال الإمام الشهيد أو احتواءه هو وجماعته وإن اختلفت الدوافع، فكان دافع البعض الحقد والحسد والغيرة العمياء من زعامته وقوة جماعته، أما القوة الرئيسية التى كانت وراء الكثير من المحاولات فكان دافعها هو كراهية الإسلام وكراهية أتباعه، ولأن الجماعة اصبحت عقبة كؤودًا فى وجه مخططاتهم وأطماعهم وإليك نبأ ما استطعنا معرفته من هذه المحاولات:

أولاً: محاولات الإنجليز لاغتيال الإمام البنا:

١- فى عام ١٩٤١م طلب الجنرال «كلايتون» مدير عام المخابرات البريطانية فى الشرق الأوسط لقاء الإمام البنا وفى هذا اللقاء عرض كلايتون جوانب الاتفاق بين ما ينادى به الإسلام من حرية وشورى وبما ينادى به العالَم الحر «يقصد الحلفاء أمريكا وانجلترا وفرنسا من نفس المبادئ، وأن هناك جوانب اختلاف بين الإسلام وبين ما ينادى به هتلر. وطلب من الإمام الشهيد أن يقوم الإخوان بالدعاية لذلك وإظهار جوانب

الاتفاق بين الإسلام وما يدعو إليه الحلفاء وجوانب الاختلاف بين الإسلام وما تدعو له دول المحور الوثنية، وكان ذلك فى مقابل إصدار جريدة للإخوان، ومقر لهذه الجريدة مع إمدادها بأحدث أدوات الطباعة بالإضافة إلى مبلغ قدره نصف مليون جنيه كدفعة أولى يتبعها دفعات أخرى، وشفع طلبه بأن كل زعماء مصر يحصلون على المال لمساعدة بريطانيا، والأولى أن يصرف هذا المال فى مساعدة الدعوة الإسلامية، وقد رفض الإمام البنا هذا العرض ثم أوضح له ما جرته السياسة البريطانية على مصر والعرب من خراب ودمار، وذلك رغم تسليم الإمام البنا بأن الإخوان يرفضون دعوات دول المحور وسياستها.

٢- ولما لم تنفع محاولة الاحتواء عن طريق المال دبر الإنجليز حادثًا لاغتيال الإمام الشهيد عن طريق قيام سيارة من سيارات الجيش البريطانى بصدم الإمام الشهيد وقتله بحيث يظهر الأمر وكأنه قضاء وقدر وكأنه حادث سيارة عادي، ولكن الإخوان علموا بهذه المؤامرة عن طريق أحد الإخوان الذى كان يعمل مع أحد أعوان الإنجليز وهو الأخ عبد اللطيف سيد أحمد(١)، وأبلغ الأستاذ عبد الحكيم عابدين بذلك فقام الأستاذ عبد الحكيم عابدين بإذاعة الخبر بطريقة غير رسمية حتى انتشر بين الناس مما منع الإنجليز من الإقدام على تنفيذ تدبيرهم.

٣- وفى عام ١٩٤١ أوعز الإنجليز لرئيس الوزراء والحاكم العسكرى حسين سرى باشا بنقل الإمام الشهيد إلى قنا، فأصدر أمره إلى وزير المعارف د. محمد حسين هيكل بنقل الإمام الشهيد إلى قنا، وصدر قرار بنقل الإمام البنا إلى قنا. وقد اعترف الدكتور هيكل فى كتابه مذكرات فى السياسة المصرية بأن نقل الأستاذ البنا كان بناء على طلب الإنجليز ولما لم يجد قرار النقل فى تقييد حركة الإمام الشهيد وتعويق حركة الجماعة رضخ حسين سرى لضغوط نواب أحزاب الائتلاف بعد أن قدم الأستاذ محمد عبد الرحمن نصير استجوابًا لوزير المعارف يقول فيه: إن نقل حسن البنا كان بناء على دوافع خارجية لا تمت بأدنى صلة إلى مصلحة التعليم. وهنا فقط أعيد الإمام الشهيد إلى القاهرة مرة أخرى(٢).

---

(١) مهندس زراعى من إخوان بنى سويف.

(٢) عبد الحكيم عابدين : مذكرات غير منشورة.

وجاءت وزارة «النحاس» على أسنة رماح الإنجليز فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وقرر النحاس غلق جميع شعب الإخوان عدا المركز العام وذلك بناء على طلب الإنجليز، ولم تفتح إلا بعد مفاوضات تمت بين الإمام الشهيد والنحاس حول تنازل الإمام الشهيد عن الترشيح للبرلمان فى مقابل فتح شعب الإخوان وعدم التضييق على الإخوان، وكان منع الإمام البنا من الترشيح بناء على طلب الإنجليز(١).

ثانيًا: محاولة الوفد لاغتيال الإمام البنا:

وفى عام ١٩٤٦م قام بعض شباب الوفد فى بور سعيد بالاحتكاك بجوالة الإخوان وقذفهم بالبيض والطماطم أثناء استعراضهم فى شوارع بورسعيد، وذلك بإيعاز من أحد كبار رجال الوفد فى بورسعيد، فتصدت لهم جوالة الإخوان وعندما دخل الإخوان المسجد لبدء احتفالهم بدأ أنصار الوفد يتحرشون بالإخوان فأمر الإمام الشهيد الإخوان بالانصراف فانصرفوا جميعًا ولم يبق معه فى دار الإخوان إلا الشهيد محمد فرغلى والحاج عبد الله الصولى، فاستغل أنصار الوفد الفرصة وحاصروا دار الإخوان وظلوا يرمون الدار بالحجارة وكرات النار المشتعلة وكان ذلك فى وجود البوليس الذى تواطأ معهم واستمر الحال حتى قبيل الفجر حتى قام الأستاذ على رزة هو وبعض إخوانه بحيلة أخرجوا بها الإمام الشهيد ومن معه من بور سعيد(٢).

ثالثًا: محاولات مصر الفتاة لاغتيال الإمام البنا:

وكان لمصر الفتاة نصيب فى محاولات اغتيال الإمام الشهيد وإن كنا لا نرجح أنها تمت بإيعاز من قوى أجنبية إنما كان دافعها الغيرة والحسد، فقد كانت هناك محاولتان تم رصدهما وقام الإخوان بإفشالهما.

١- كانت المحاولة الأولى فى مدينة المحلة وكان تقوم فكرتها على حرق السرادق المقام فيه الحفل، عن طريق خلع الأعمدة التى يقوم عليها السرادق فى توقيت معين، فيتهدم السرادق وتشتعل فيه النار عن طريق قناديل الإنارة. وقد علم الإخوان بتلك المؤامرة واستعدوا لها، وقام الإخوان بالإمساك بالمنفذين عندما شرعوا فى التنفيذ.

---

(١) عبد الحكيم عابدين: مذكرات غير منشورة.

(٢) على رزة: حوارات لم تنشر.

٢- أما المحاولة الأخرى فكانت تقوم فكرتها على وضع قنبلة زمنية تحت المنصة التى يخطب عليها الإمام الشهيد، وكانت هذه المؤامرة بامر من أحمد حسين نفسه، واستطاع الإخوان الإمساك بهؤلاء النفر ومعهم المتفجرات. وقام الإمام البنا باستدعاء الأستاذ أحمد حسين وسلمه رجاله ومتفجراتهم ومن يومها توقفت محاولات مصر الفتاة[١].

رابعًا: محاولة الحزب الشيوعى لاغتيال الإمام البنا:

ولم تكون روسيا وسفارتها لتترك هذا الميدان بل ساهمت فيه بنصيب، وذلك أن قامت السفارة الروسية بالاتصال بالحزب الشيوعى فى «طنطا» وكلفته بتنفيذ مؤامرة لاغتيال الإمام الشهيد عن طريق إلقاء قنبلة عليه وهو يخطب فى الأستاد الرياضى بطنطا، وكان الذى تلقى الاتصال وكُلف بتنفيذ هذه المؤامرة أحد أفراد النظام الخاص وهو الحاج «فرج النجار» وكان قد انضم إلى الحزب الشيوعى بناء على تكليف من النظام الخاص وأصبح مساعد سكرتير الحزب بطنطا الذى قام بإفشال هذه المؤامرة وتم القبض على أعضاء الحزب الشيوعى[٢].

خامسًا: محاولات حكومة النقراشى لاغتيال الإمام البنا:

١- أما حكومة النقراشى الأخيرة فقد كان لها نصيب وافر فى محاولات اغتيال الإمام الشهيد، بل إن حادث اغتيال الإمام الهشيد رُتِّب قبل حل الجماعة واغتيال النقراشى بوقت طويل، فعندما أراد الإخوان القيام بمظاهرة تخرج من الأزهر لتشد من أزر النقراشى - وهو يعرض قضية مصر على مجلس الأمن - وسمح لهم البوليس بهذه المظاهرة إلا أنه اتخذ هذه المظاهرة فرصة لاغتيال الإمام البنا، يقول الأستاذ محمود الجوهرى - وكان بجانب المرشد طيلة فترة هذه المظاهرة - إنه لاحظ كما لاحظ الأستاذ نفسه أن تصرف رجال البوليس فى ذلك اليوم كان يشعر بان هناك خطة مرسومة لاصطياد الأستاذ المرشد منفردًا للتخلص منه .. ذلك أن قوات البوليس حاصرت الأزهر وكانت تعمل على تفريق من يخرجون منه وتشتيتهم أولاً باول حتى إذا خرج الأستاذ المرشد اصطادوه وحده.. وكان الأستاذ آخر من خرج من المسجد وكانهم ظفروا بما أرادوا

---

(١) فرج النجار: حوارات غير منشورة.

(٢) فرج النجار: حوارات غير منشورة.

فحاصروه بالقوة كلها راكبة الخيل وهو منفرد.. وهنا تصرف الأستاذ المرشد تصرفًا مذهلاً، إذ اختطف عصا من أحد أفراد القوة وأخذ يضرب بها كل حصان على أنفه فيرفع الحصان رجليه الخلفيتين فيهوى الجندى الذى يمتطيه على الأرض، وبذلك تمكن ن إسقاط القوة كلها، وكان الإخوان قد لحقوا به فى خلال هذه المنازلة البارعة والتفوا حوله[١]، (واستمرت المظاهرة فى خط سيرها فى شارع الأزهر متجهة إلى ميدان العتبة ولم تكد المظاهرة السلمية تصل إلى ميدان العتبة الخضراء وفى مقدمتها سيارة تحمل الشيخ البنا وبعض الأعضاء حتى انطلقت الأعيرة النارية فى كل صوب، فنزل الشيخ ليستطلع الخبر فإذا بعيار نارى يطلق عليه وتستقر رصاصة فى ساعده، ثم اقتيد عقب إصابته إلى قسم الموسكى فاعتدى رجال الشرطة على أتباعه، ودارت معركة بينه وبين ضابط بوليس هدده بمسدس وسدد فوهته فى صدره، فهجم عليه الشيخ البنا، وأمسك بالمسدس من يده، وأصيب زوج شقيقته عبد الكريم منصور بإصابات نقل على إثرها إلى مستشفى قصر العينى وانتهى الحادث بالحفظ)[٢]، وعندما وقف المرشد العام يتحدث فى الشركة العربية للمناجم والمحاجر لتوديع كتيبة من الإخوان قبل سفرها إلى فلسطين، وقع انفجار فى المكان الذى كان مقرراً أن يتحدث منه قبل وصوله بدقائق، وتبين أن قنبلة زمنية وضعت فى هذا المكان[٣].

٢- عندما توجه حسن البنا إلى مطار القاهرة للحج فى ٢٣ من سبتمبر ١٩٤٨م ومعه جواز سفر يتيح له السفر إلى جميع أنحاء العالم.. وعلى الجواز أيضًا تأشيرة تسمح له بأن يستقل طائرة شركة «سعيدة»، قام العقيد حسن فهمى مفتش الجوازات بسحب الجواز منه، وألغى جميع الدول المصرح له بالسفر إليها، واكتفى منها بالمملكة العربية السعودية، وقال إنه فعل ذلك بناء على تعليمات من عمر حسن - مدير القسم المخصوص[٤]، وسافر المرشد العام إلى المملكة العربية السعودية فابرقت وزارة الداخلية إلى القنصل المصرى فى جدة بعدم السماح للبنا من السفر إلى أية دولة عربية أخرى،

(١) محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، ج ١، ص ٣٩٤.

(٢) محسن محمد: من قتل حسن البنا ص ٤٧٩، وما بعدها.

(٣) جريدة المصرى العدد ٥٢٧٩ فى ١٨/٩/١٩٥٢م.

(٤) مباحث أمن الدولة.

وقد قال عبد القادر عودة وكيل جماعة الإخوان: «لم تستطع الحكومة منع البنا من السفر لأداء الحج وإلا قيل إنها صدته عن سبيل الله، والبيت الحرام، ومن يفعل ذلك يعد كافراً، ومن ناحية أخرى – كما قال اليوزباشى عبد الباسط شقيق المرشد – فإن الحكومة المصرية أعدت العدة لقتله فى السعودية على أن تنسب الجريمة إلى بعض اليمنيين!، وكان أمير الحج المصرى حامد جودة – رئيس مجلس النواب الذى ينتمى إلى الحزب السعدى – قد صحب معه بعض الأشخاص الخطرين ، ولكن الحكومة السعودية استشعرت ذلك فأنزلت المرشد العام ضيفاً عليها وأحاطت مقره بحراسة شديدة، وقدمت إليه سيارة خاصة بها جندى مسلح لمنع الاعتداء عليه، وعاد حسن البنا فى ٢٨ من نوفمبر ١٩٤٨م(١).

(١) محسن محمد: من قتل حسن البنا، ص (٤٨٠، ٤٨١).

المبحث الثانى

حادث الاغتيال

وسنتناول حادث الاغتيال من خلال حديث الأستاذ عبد الكريم منصور الذى زافق الإمام الشهيد فى الحادث(١).

الإجراءات التى اتخذت لإتمام حادث الاغتيال :

وقد اتخذت الحكومة عدة إجراءات لتسهيل عملية اغتيال الإمام البنا تتلخص فى الآتي :

١- اعتقال الإخوان عدا الإمام الشهيد وإيداعهم السجون.

٢- سحب المسدس المرخص الخاص بالإمام الشهيد.

٣- قطع خط التليفون حتى لا يتمكن من الاتصال بالخارج.

٤- سحب الجندى المكلف بالحراسة على منزل الإمام الشهيد، رغم أنه عرض عليهم التكفل براتبه، وكان جميع الزعماء توضع لهم حراسة خاصة.

٥- اعتقال أخيه اليوزباشى عبد الباسط الذى أحس بالمؤامرة على أخيه وجاء ليحرسه.

٦- اعتقال كل من ذهب لزيارة الإمام حسن البنا فى هذه الفترة، وإذا دخل الزائر ولم يُر اعتقل أثناء خروجه.

٧- إذا سلّم عليه شخص فى الطريق أثناء سيره اعتقل حتى ولو كان من غير الإخوان المسلمين.

٨- سحب السيارة الخاصة بالإمام الشهيد وكانت ملك صهره الأستاذ عبد الحكيم عابدين.

٩- عدم السماح له بمغادرة القاهرة أو السفر إلى أى مكان.

١٠- شَغْل الإمام الشهيد بمفاوضات الصلح بينه وبين الحكومة.

---

(١) حديث الأستاذ/ عبد الكريم منصور زوج أخت الإمام الشهيد ورفيقه فى الحادث، لواء الإسلام رجب ١٤٠٨هـ- ١٩/٢/١٩٨٨م (بتصرف).

ما حدث يوم الاغتيال:

فى يوم الاغتيال كلفنى الإمام الشهيد حسن البنا قبل العصر بالذهاب إلى التليفونات الخارجية فى السيدة للاتصال بالشيخ عبد الله النبراوى فى بنها، لكى أبلغه رغبة الإمام فى الإقامة عنده فى عزبته «أبعادية النبراوى» وكانت هذه العزبة محاطة برجال النبراوى وحرّاسه، فلمّا تكلمت ردّ على أهله وقالوا: لا داعى لحضور الإمام لأن البوليس جاءنا وضربنا ودمّر أثاث المنزل وممتلكاتنا، واعتقل الشيخ عبد الله، وعدت إلى الإمام الشهيد لأخبره بنتيجة المكالمة فقال إنه قد جاءه الأستاذ محمد الليثى رئيس قسم الشباب بجمعية الشبان المسلمين وأخبره بان الحكومة تريد استئناف المفاوضات، وإن بعض الشخصيات الحكومية ستحضر فى جمعية الشبان لهذا الغرض، فأخبرت الإمام بأمر اعتقال الشيخ النبراوى ورجوته عدم الذهاب إلى الشبان المسلمين، ولكنه رحمه الله صمم على الذهاب قائلاً: إنى وعدت ولا يجوز لى أن أخلف الميعاد.

ظهرت حقيقة الحادث بتفاصيله والذى تم فى الساعة الثامنة والثلث من مساء يوم السبت ١٢ من فبراير ١٩٤٩م الموافق ١٤ ربيع الثانى فى ١٣٦٨هـ. يقول الأستاذ عبد الكريم منصور: «ذهبنا إلى جمعية الشبان المسلمين وقد أخبر الأستاذ البنا بان الحكومة تريد استئناف المفاوضات وأن شخصيات حكومية ستحضر فى جمعية الشبان لهذا الغرض، وجلسنا فى الجمعية ولم تحضر الشخصية الحكومية حتى العشاء، فقام الإمام الشهيد وصلى بالموجودين صلاة العشاء، ثم جلسنا قليلاً بعدها ولم تحضر هذه الشخصية.

وهنا طلب الإمام من الأستاذ محمد الليثى أن يستوقف تاكسى، وخرجنا من الجمعية إلى شارع رمسيس الذى كان مظلمًا وكانت الساعة تشير إلى الثامنة والثلث، ووقف التاكسى الذى لم يكن هناك غيره فى الشارع كله، ودخل الإمام الشهيد فى المقعد الخلفى ودخلت بعده وجلست إلى يمينه، ثم نهض وأبدل المقاعد فجلس على يمينى وجلست على يساره، وفى هذه الأثناء كان يقف أمام السيارة شخصان فتقدم أحدهما وأراد فتح باب السيارة فأغلقته، وحاول الفتح، وأنا أحاول الغلق مهددًا لى بمسدسه، وأخيرًا فتح الباب وأطلق على صدرى الرصاص فتحولت إلى الجهة اليسرى فجاءت الرصاصة فى مرفقى الأيمن، وأمسكت بيده التى فيه المسدس وحاولت بيدى

الأخرى أن أنتزع منه المسدس فلم أجد ذراعى إلا معلقاً ، العضد هو الذى يتحرك فقط، وهنا أطلق المجرم رصاصة أخرى اخترقت المثانة وشلت حركة الرجل اليسرى، وهنا عجزت عن الحركة، فتركنى وتوجه إلى الإمام الشهيد وحاول فتح الباب ولم يستطع فاطلق الرصاص عليه ثم فتح الباب وظل يطلق الرصاص على الإمام الشهيد وهو يتراجع وهنا قفز الإمام من السيارة وجرى خلفه حوالى مائة متر إلا أن السيارة كانت تنتظره عند نقابة المحامين فاستقلها وهرب، وعاد الإمام الشهيد وحملنى وأجلسنى فى السيارة حيث كانت رجلى اليسرى خارج السيارة لا أستطيع تحريكها.

ونادى الإمام على الأستاذ محمد الليثى وقال له رقم السيارة عندك « ٩٩٧٩ » وجاء شخص آخر طويل القامة أسمر، وقال: هل أخذت رقم السيارة التى ارتكبت الحادث.. رقمها « ٩٩٧٩ » وانصرف.

دخل الإمام البنا إلى جمعية الشبان المسلمين وطلب الإسعاف ولكنها تأخرت وهنا كان الناس قد تجمعوا فطلبوا من سائق السيارة أن يوصلنا فرفض ولكنهم أرغموه على ذلك فأوصلنا إلى الإسعاف(١).

وأمام الإسعاف حملنى الإمام الشهيد مرة أخرى من السيارة، وأدخلنى إلى الإسعاف وقبض حرس الإسعاف على السائق الذى حاول الهرب.

وجاء طبيب الإسعاف ليسعف الإمام البنا الذى قال له: « اسعف الأستاذ عبد الكريم أولاً لأنه حالته خطيرة، ورأى طبيب الإسعاف أن حالتى تستدعى نقلى إلى القصر العينى فنقلنا أنا والإمام الشهيد وأدخلونا إحدى الغرف، وجلسنا فترة حتى اتصلوا بالطبيب المناوب فى منزله فى روكسى بمصر الجديدة، واستدعوه من السينما المجاورة حيث كان يشاهد فيلماً، وركب سيارته وجاء إلى القصر العينى.

فى هذه الأثناء دخل علينا الأميرالاى محمد وصفى مندوب الملك وقال صارخًا: « أنتم لسه مامتوش يا مجرمين »، وانصرف.. وهنا دخل الطبيب الذى أراد أن يسعف الإمام الشهيد أولاً ولكنه قال له: « اسعف الأستاذ أَولاً.. وأمر الطبيب أحد الممرضين بخلع ملابس الشهيد ولكنه نهض من على السرير وخلعها بنفسه، ولما أرادوا أخذ

---

(١) الإمام الشهيد حسن البنا مجدد القرن الرابع عشر – أحمد حسن شوربجى ص ٣٠٦ : ٣١١.

اسمى وعنوانى قال لهم الإمام الشهيد : «اتركوا الأستاذ عبد الكريم لأن حالته خطيرة وأعطاهم الاسم والعنوان. وهنا دخل الأميرالاى محمد وصفى مندوب الملك ثانية وقال للطبيب : أنا جاى من عند الحكمدار لأعرف حالة الشيخ حسن البنا، فقال له الدكتور : إن حالته ليست خطيرة، وبعد ذلك فصلوا بينى وبين الإمام ووضعونى فى غرفة مع أحد المرضى، ووضع الإمام فى غرفة وحده.

وعلمت فيما بعد أن الأميرالاى محمد وصفى أتى إلى المستشفى مندوبًا عن الملك وكان مكلفًا بالإجهاز على حياة الإمام الشهيد.. إذ منع الطبيب من مواصلة العلاج وتركت دماء الإمام تنزف حتى صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها تشكو ظلم الطواغيت.

الجنازة :

اتخذ عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية قرارًا عصبيًا بضرورة تشييع الجنازة مباشرة من مشرحة مستشفى قصر العينى، حتى لا تتاح فرصة لتفاقم مشاعر الحزن والألم، وتحسبًا لتدفق المشاعر وانفلات زمام الأمور.

ولكن رجلاً طاعنًا فى السن قد أحنى ظهره يبلغ من العمر سبعة وستين عامًا كاملة، عاريًا من كل حيلة أو وسيلة أمام اللواء أحمد طلعت يسأل - بإلحاح وبتوسل دون ملل- أن تشيع الجنازة من منزل الفقيد، إنه الشيخ «أحمد عبد الرحمن البنا» والد «حسن البنا» الذى زلزلت كلماته الملتاعة كيان اللواء المصمم على إنفاذ أمر رؤسائه، فوعد باستئذان المسئولين على أن تشيع الجثة من غير مظاهرات[١]. وأن تدفن فى الساعة التاسعة صباحًا[٢].

التشييع :

وردت تفاصيل التشييع فى صحيفة «الكتلة» الناطقة باسم حزب الكتلة برئاسة مكرم عبيد باشا، والمنشور بعد تسعة أشهر كاملة من الحادث نتيجة الرقابة.

---

(١) نجم الدعاة - حسن البنا - توفيق علوان ص ٣١١.

(٢) النقط فوق الحروف - أحمد عادل كمال ص ٣٠٤.

لقد وصفت الصحيفة ما حدث وكتبه مامون الشناوى بدون توقيع فى عدد ١١ نوفمبر ١٩٤٩ فى عهد وزارة عبد الهادى.

أتت الصحيفة بعناوين تكفى تلاوتها للعن الطغاة والمجرمين تقول: «القبض على المعزين، ومنع الصلاة على جثمان الفقيد، منع تلاوة القرآن على روحه..» ثم نشرت الوصف التاريخى الآتى الذى استقته من والد الشهيد الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا.

كيف دفنوا الإمام الشهيد؟

نقلت جثة الفقيد إلى بيته فى سيارة تحرسها سيارات مملوءة بفريق من رجال البوليس المسلحين، وقد أنساهم هول الجريمة أن الموتى لا يتكلمون ولا ينطقون!.

وفى أحد شوارع «الحلمية» وقفت القافلة، ونزل الجند، فأحاطوا بيت الإمام الفقيد، ولم يتركوا ثقبًا ينفذ إليه إنسان إلا سدوه بجند وسلاح.

أما والد الشيخ البنا ذلك الشيخ الهرم فلم ينؤ بها ولم تبد عليه عوامل السنين كما بدت فى هذه الليلة النكباء، فقد عرف بخبر وفاة ولده من أحد الضباط ساعة وقوعها، وظل ساهرًا تفجعه الأحزان، منتظرًا الفجر ليؤدى فريضة الله، ويقول له: سبحانك، وعدالتك يا ربى لقد قتلوا ولدى»، وتتابعت على باب المسكن طرقات كان صداها يطحن قلب الشيخ الكبير طحن الرحى(١).

كان الوالد هو وحده الذى يعلم وينتظر، فإن أشقاء الفقيد جميعًا كانوا داخل المعتقلات والسجون، وفتحوا الباب وأدخلوا الجثة، ونشج الوالد المحطم بالبكاء فقالوا له: لا بكاء ولا عويل، بل ولا مظاهر حداد، ولنترك الشيخ أحمد البنا والد الشيخ حسن يتم القصة: قال: «أبلغت نبأ موته فى الساعة الواحدة، وقيل: إنهم لن يسلموا إلى جثته إلا إذا وعدتهم بأن تدفن فى الساعة التاسعة صباحًا بدون أى احتفال، وإلا فإنهم سيضطرون إلى حمل الجثة من مستشفى قصر العينى إلى القبر، واضطررت إزاء هذه الأوامر إلى أن أعدهم بتنفيذ كل ما تطلبه الحكومة، رغبة منى أن تصل جثة ولدى إلى بيته فالقى عليه نظرة أخيرة، وقبيل الفجر حملوا الجثة إلى البيت متسللين، فلم يشهدها أحد من الجيران ولم يعلم بوصولها سواى.

---

(١) حسن البنا.. الدعام الإمام والمجدد الشهيد – أنور الجندى ص ٢٨٨، ص ٢٩٠.

حصار حول البيت:

وظل حصار البوليس مضروبًا حول البيت وحده، بل حول الجثة نفسها لا يسمحون لإنسان بالاقتراب منها مهما كانت صلته بالفقيد.

وقمت بنفسى بإعداد جثة ولدى للدفن، فإن أحداً من الرجال المختصين بهذا لم يسمح له بالدخول، ثم أنزلت الجثة حيث وضعت فى النعش، وبقيت مشكلة من يحملها إلى مقرها الأخير.

طلبت إلى رجال البوليس أن يحضروا رجالاً يحملوا النعش فرفضوا، قلت لهم: ليس فى البيت رجال، فأجابوا : فليحمله النساء! وخرج نعش الفقيد محمولاً على أكتاف النساء.

ومشت الجنازة الفريدة فى الطريق، فإذا بالشارع كله قد رصف برجال البوليس، وإذا بعيون الناس من النوافذ والأبواب تصرخ ببريق الحزن والألم والسخط على الظلم الذى احتل جانبى الطريق!.

وعندما وصلنا إلى جامع «قيسون» للصلاة على جثمان الفقيد، كان المسجد خاليًا حتى من الخدم ، وفهمت بعد ذلك أن رجال البوليس قدموا إلى بيت الله وأمروا من فيه بالانصراف ريثما تتم الصلاة على جثمان ولدى.

ووقفت أمام النعش أصلى فانهمرت دموعى، لم تكن دموعًا بل كانت ابتهالات إلى السماء أن يدرك الله الناس برحمته.

ومضى النعش إلى مدافن الإمام، فوارينا التراب هذا الأمل الغالي، وعندما عدنا إلى البيت الباكى الحزين، ومضى النهار وجاء الليل لم يحضر أحد من المعزين، لأن الجنود منعوا الناس من الدخول، أما الذين استطاعوا الوصول إلينا للعزاء، فلم يستطيعوا العودة إلى بيوتهم، فقد قبض عليهم، وأودعوا المعتقلات، إلا شخصًا واحداً هو مكرم عبيد باشا(١).

(١) الكتلة - العدد (١٥٢٦) - ٢٠ محرم ١٣٦٨هـ / ١١ نوفمبر ١٩٤٩.

تحقيقات القضية والحكم فيها:

وقد بدأ التحقيق فى هذا الحادث بعد وقوعه بساعات وانتهى فى ١٨ ديسمبر عام ١٩٥٢م، وقيد برقم ١٧٠١ جنايات عسكرية قصر النيل سنة ١٩٥٢م.

وكان المرحوم الأستاذ عبد العزيز حلمى رئيس نيابة جنوب القاهرة أول من تولى تحقيقات هذه القضية، وقد بدأها ليلة الحادث ١٢ فبراير ١٩٤٩م وانتهى دوره فى ٢ مارس ١٩٤٩م، وقد سئل فى هذه التحقيقات محمود عبد المجيد ومحمد محفوظ بعد أن حامت حولهما الشبهة بأقوال الشاهد الأول محمد يوسف الليثى ولم يوجه إليهما الاتهام، وفى ١٧ مارس ١٩٤٩م أعيد فتح التحقيق بعد أن أخطر الملازم أول «عزت النقيب» الضابط بسجن شبين الكوم بأن المسجون الفلسطينى صلاح أحمد بركات قد ادعى أنه هو قاتل المرشد ولكن هذا المسجون عاد فأنكر ما اعترف به للضابط أمام نيابة شبين الكوم.

وفى عهد حكومة الرئيس السابق حسين سرى استأنفت التحقيقات بعد أن تلقت النيابة بعض الشكاوى وقد بدئ التحقيق فى ٢٨ نوفمبر ١٩٤٩م ، وانتهى فى ٢٤ فبراير ١٩٥٠م، وسئل فى هذه التحقيقات المتهمون محمود عبد المجيد ومحمد محفوظ وحسين كامل وعبده أرمنيوس وأحمد حسين ومحمد سعيد وحسين محمدين ومحمد الجزار، وكشفت التحقيقات عن أهم وقائع الدعوى وهى استقدام المخبرين المتهمين من سوهاج بإشارة تليفونية قبل الحادث لارتكابه، ولكن الأدلة لم تكن قد اكتملت لدى النيابة فقررت إخلاء سبيلهم، وظل الوفد – بعد استقالة إبراهيم عبد الهادى – يطالب بإعادة التحقيق فى القضية، وعندما تولى مصطفى النحاس رئاسة الوزارة المصرية فى ١٢ من يناير ١٩٥٠ لم يفتح الوفد التحقيق فى قضية الإمام البنا وظل التحقيق نائمًا لمدة عامين(١).

وقررت النيابة العسكرية ضم القضية بعد ذلك إلى قضية «الأوكار» دون أن يصدر قرار النيابة فيها، وأعيدت التحقيقات من جديد فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢م. وفى هذه التحقيقات بدأت سلسلة اعترافات المتهم محمد محفوظ والبكباشى محمد الجزار،

---

(١) محسن محمد: من قتل حسن البنا؟ ص ٥٨٩.

وأحيل التحقيق بعد ذلك إلى النيابة العامة وتولاه الأستاذ فؤاد سرى فى ١٩ أغسطس ١٩٥٢.

واختارت الجمعية العمومية لمحكمة استئناف القاهرة المستشارالأستاذ حسن داود ليتولى إعادة التحقيق فى القضية، وبدأ تحقيقاته فى أول أكتوبر سنة ١٩٥٢م وانتهى منها فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩٥٢. وكان المستشار حسن داود آخر من تولى التحقيق فى هذه القضية بعد أن استمرت التحقيقات ثلاث سنوات وعشرة شهور وستة أيام.

وكان جميع المتهمين قد قبض عليهم ثم تقرر إحالتهم إلى غرفة الاتهام التى قدمتهم إلى محكمة الجنايات أمام الدائرة المشكلة برئاسة كامل ثابت وتحدد نظرها دور يونيو سنة ١٩٥٣م وتأجلت إلى دور سبتمبر.

وقدم المتهمون محمود عبد المجيد وحسين كامل وعبده أرمنيوس ومحمد الجزار ومحمد محفوظ وأحمد حسين ومحمد سعيد وحسين محمدين للمحاكمة بتهمتى قتل الإمام الشهيد حسن البنا عمداً مع سبق الإصرار والشروع فى قتل الأستاذ عبد الكريم منصور الذى أصيب بعيارين ناريين من رصاص الجناة.

ورد المحامى عن المدعيين بالحق المدنى فى دائرة الأستاذ كامل ثابت.

ونظر الرد أمام الدائرة الأولى المدنية برئاسة المستشار مرسى فرحات وردت هذه الدائرة فاحيل الرد إلى الدائرة السابعة المدنية التى قررت عدم قبول الرد شكلاً وبرفض الرد المقدم من الأستاذ عبد الكريم منصور.

الدائرة التى حكمت:

وتنحت دائرة كامل ثابت ووكل أمر الفصل فى الدعوى للدائرة التى شكلت برئاسة المستشار محمود عبد الرازق، وانتهت المحكمة من نظر القضية يوم ٢ أغسطس للنطق بالحكم(١).

حكم المحكمة على قتلة حسن البنا:

قضت المحكمة ٢٦ يومًا فى المداولة وكتابة الحيثيات ثم أصدرت حكمها فى ٢أغسطس ١٩٥٤ وذلك بعد خمس سنوات وخمسة أشهر و٢١ يوماً و١٤ ساعة و١٥ دقيقة من وقت وقوع الجريمة.

---

(١) فى قافلة الإخوان المسلمين – عباس السيسى – ج٢ ص ١١٢، ١١٣، ١١٤.

قضت المحكمة :

أولاً : بمعاقبة أحمد حسين جاد بالأشغال الشاقة المؤبدة وكل من الباشجاويش محمد محفوظ محمد والأميرالاى محمود عبد المجيد بالأشغال الشاقة لمدة خمس عشرة سنة وإلزامهم بطريق التضامن والتكافل مع الحكومة المسئولة عن الحقوق المدنية :

أ - بأن يدفعوا عشرة آلاف جنيه على سبيل التعويض للسيدة لطيفة حسين زوجة الشيخ حسن البنا وأولاده القصر منها، وهم : وفاء وأحمد سيف الإسلام وسناء ورجاء وهالة واستشهاد المشمولين بولاية جدهم الشيخ عبد الرحمن البنا .

ب- وبأن يدفعوا للشيخ عبد الرحمن البنا والسيدة أم السعد إبراهيم صقر والدى القتيل « قرش صاغ واحد » على سبيل التعويض المؤقت .

ج - وبأن يدفعوا للأستاذ عبد الكريم محمد منصور مبلغ ألفى جنيه على سبيل التعويض .

ثانيًا : بمعاقبة البكباشى محمد محمد الجزار بالحبس مع الشغل لمدة سنة ورفض الدعاوى المدنية قبله .

ثالثًا : ببراءة كل من مصطفى محمد أبو الليل واليوزباشى عبده أرمانيوس والبكباشى حسين كامل والجاويش محمد سعيد إسماعيل، والأومباشى حسين محمدين مع رفض الدعاوى المدنية الموجهة إليهم .

كان الحكم مفاجأة للعميد محمود عبد المجيد الذى أسند رأسه على يديه وعلت وجهه صفرة شديدة، وظل فى مكانه بالقفص إلى أن قاده الحراس إلى السجن .

أما أحمد حسين جاد فظل يبتسم ابتسامة عريضة بعد سماع الحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة كأنه لا يدرى ما حوله .

وانفجر مصطفى أبو الليل - الذى حكم ببراءته - باكيًا وأخرج منديله من جيبه ليجفف به دموعه . . وكان يقول إنه يبكى على العميد محمود عبد المجيد الذى عمل معه فترة طويلة .

بعد صدور الحكم أمر جمال عبد الناصر بالإفراج الصحى عن محمود عبد المجيد ٢٩ يونيه ١٩٥٥م أى بعد عام تقريباً من صدور الحكم.

وطعن محمد الجزار فى الحكم بطريق النقض ولكن محكمة النقض قبلت الحكم شكلاً ورفضته موضوعًا، وقررت الحكومة رد اعتباره بعد أن صدر حكم لصالحه من محكمة جنايات القاهرة فى ٢٥ من نوفمبر عام ١٩٥٧، وقد اشتغل بعد ذلك بالمحاماة ثم بشركة الشرق للتامين.

والتقى المخبران أحمد حسين جاد ومحمد محفوظ فى السجن باعضاء جماعة الإخوان الذين اعتقلهم جمال عبد الناصر أو صدرت ضدهم أحكام من المحاكم التى شكلتها الثورة.

وأفرج صحيًا عن سائق محمود عبد المجيد الرقيب محفوظ عام ١٩٦٠.

وأفرج صحيًا عن الرقيب أحمد حسين جاد فى ٤ من سبتمبر عام ١٩٦٧، دون أن يمضى مدة العقوبة كلها، وافتتح عبده أرمانيوس محلاً لتجارة الموبيليا بعد أن أمضى عامًا فى الحبس الاحتياطى، قبل نظر القضية.. واختفى نص الحكم وحيثياته حتى التى كتبها رئيس المحكمة بخط يده!.

المبحث الثالث

من قتل حسن البنا؟ .. دراسة تحليلية

إن حكم المحكمة والتحقيقات تشير إلى أن قتلة الإمام الشهيد حسن البنا هم محمود عبد المجيد وعصابته ولكن ملابسات الحادث والمستفيدين منه تدلنا على أن محمود عبد المجيد وعصابته لم يكونوا إلا أداة أو قفازاً قذراً استخدمه الفاعل الأصلي. وعلى الرغم من أن التحقيقات استمرت في حادث الاغتيال ما يقرب من أربع سنوات كان بعضها في عهد الملك وبعضها في عهد الثورة إلا أنه لم يقدم للمحاكمة إلا هؤلاء المرتزقة. وعلى الرغم من أن التحقيقات والأحداث كانت تشير لبعض المساعدين للفاعل الأصلي وأيضاً تشير لهذا الفاعل الأصلي إلا أن هذا الفاعل كانت له القدرة على طمس الحقائق في العهدين؛ عهد الملكية وعهد الثورة.

أما في عهد الملكية فلم يحاكم أحد على الإطلاق وحفظ التحقيق في عهد إبراهيم عبد الهادي لتورطه هو ووزارته في قتل الإمام البنا. أما في عهد وزارة حسين سري وزارة الوفد فقد حفظ التحقيق لمصلحة الملك المتورط هو الآخر في هذا الحادث. أما في عهد الثورة فتم تحقيق عن طريق نائبي الأحكام ثم أسندت التحقيق إلى النيابة التي أحالت محمود عبد المجيد وزمرته إلى المحاكمة ولم يتطرق التحقيق ولا المحاكمة للفاعل الأصلي، فمن هو الفاعل الأصلي؟

الفاعل الأصلي:

إن جريمة اغتيال الإمام الشهيد لا تنفصل عن قضية حل جماعة الإخوان، ومن كان وراء قرار الحل هو الذي دبر لحادث الاغتيال من وراء ستار وإن لم يظهر في الصورة، وعلى مسرح الأحداث، وهذا معروف في الجرائم المنظمة حيث يختفي العقل المدبر للجريمة والمستفيد الأول منها خلف من هم أقل استفادة من الجريمة من القتلة المأجورين من أمثال محمود عبد المجيد وعصابته.

والفاعل الأصلي في هذه الجريمة هو القوى الاستعمارية «إنجلترا، وأمريكا، وفرنسا، والصهيونية العالمية..» أما المساعدون لهم فهم الملك ووزارة الحزب السعدي سواء وزارة

النقراشى أو إبراهيم عبد الهادى الذى جاء من بعده ليتم الجريمة أما محمود عبد المجيد وزمرته فلم يكونوا سوى قفاز قذر استخدم فى الجريمة. ولكى ندلل على ما ندعيه إليك الآتى:

١- دور محمود عبد المجيد وعصابته:

لم يكن دور محمود عبد المجيد وعصابته يتعدى دور القاتل المحترف فهو لا يعرف الإمام البنا ولم تكن بينه وبينه أى خصومة لا هو ولا أحد من عصابته، فقد جاء به عبد الرحمن عمار من «جرجا» لما عرف عنه من إجرام وانتهاك للقانون حيث كان محمود عبد المجيد يعمل حكمداراً لجرجا وكان لا يتورع عن قتل المجرمين المطلوب القبض عليهم أو المشتبه فيهم. فمن بين ١٨ متهماً كلف بالقبض عليهم قتل ١٥ منهم وكان لا يتورع عن التمثيل بجثث المتهمين وقد وصفه صابر طنطاوى مدير الأمن العام بأنه «رجل بلا ضمير ولا يخاف الله».

وقد انتدبه عبد الرحمن عمار فى أول أغسطس ١٩٤٨ وعينه مديراً لإدارة البحث الجنائى بالوزارة، ولما أمر بتنفيذ اغتيال الإمام الشهيد قام بندب باقى أفراد العصابة من جرجا أو من عمل معه هناك من قبل.

فى أول يناير ندب كلاً من البكباشى أمين حلمى والرائد حسين كامل من جرجا وندب اليوزباشى عبده أرمانيوس من الجيزة إلى إدارة البحث الجنائى.

وفى يوم ٢ يناير قرر ندب مخبر الشرطة الأمباشى أحمد حسين من مباحث جرجا إلى الإدارة على أن ينفذ النقل خلال ٢٤ ساعة.

وفى ٢١ من يناير ندب من جرجا أيضاً المخبر حسين محمدين رضوان والباشجاويش محمد سعيد إسماعيل مع العلم أنه لم يسبق قبل ولا بعد ذلك ندب مخبرين من إحدى المديريات للعمل بالقاهرة عدا هؤلاء الثلاثة وكان ندب هؤلاء المخبرين يتم شخصياً ودون مكاتبات رسمية. وعندما لاحظ الصول محمد البهى شرف المكلف بمراقبة حضور المخبرين فى الدفاتر وتوزيع الخدمات عليهم وجود المخبرين الثلاثة وسأل عنهم قيل له: إن العقيد محمود عبد المجيد جاء بهم من سوهاج أثبت حضورهم فى دفتر الإدارة، وعندما علم محمود عبد المجيد بذلك الأمر نقل الصول محمد البهى يوم ٢٦ يناير ١٩٤٩م ونفذ النقل فى اليوم ذاته.

وعلى ذلك لم يكن هناك ثمة أى نوع من المصلحة أو الفائدة التى يمكن أن تبرر ارتكاب محمود عبد المجيد جريمة اغتيال الإمام الشهيد.. اللهم إلا تنفيذ رغبات أسياده(١).

٢- دور الحكومة السعدية:

قامت الحكومة السعدية برئاسة النقراشى بمحاولات عديدة لاغتيال الإمام الشهيد «راجع بداية هذا الفصل» بل إن التدبير لهذه الحادثة بدأ فى عهد النقراشى وليس صحيحًا أن رأس البنا كان فى مقابل رأس النقراشى. فرأس البنا كان مطلوبًا لذاته لا مقابل لرأس أحد ولو كان النقراشى، ويشهد بذلك:

١- اعتقال كل الإخوان بعد قرار الحل ورفض اعتقال الإمام الشهيد حسن البنا.

٢- ندب العقيد محمود عبد المجيد للعمل بوزارة الداخلية تم فى أول أغسطس ١٩٤٨ وقبل اغتيال النقراشى بقرابة الأربعة أشهر.

٣- عندما أراد الإمام البنا أن يذهب إلى الحج ألغى مفتش الجوازات جميع الدول المصرح له بالسفر إليها، واكتفى منها بالسعودية وعندما سافر إلى السعودية للحج أبرقت وزارة الداخلية إلى القنصل المصرى فى جدة بعدم السماح للبنا بالسفر إلى أية دولة عربية أخرى وكان ذلك فى ٢٣ من سبتمبر سنة ١٩٤٨م.

٤- ما ذكره «الماجور سانسوم» ضابط الأمن بالسفارة البريطانية فى مذكراته «إن كل الإجراءات التى اتخذت لمنع المظاهرات بعد الاغتيال وفى الجنازة تم تخطيطها قبل عدة أسابيع»(٢).

أما بعد تولى إبراهيم عبد الهادى السلطة فقد كشفت عن وجهها القبيح واتخذت من الإجراءات ما يسهل عملية الاغتيال «راجع الإجراءات التى اتخذت لإتمام حادث الاغتيال» وبعد حادث الاغتيال حاولت الحكومة تضليل العدالة وتسترت على القتلة على هذا النحو :

١- فقد اتهم عبد الرحمن عمار الإخوان المسلمين بقتل مرشدهم وصرح لجريدة الأساس جريدة الحزب السعدى بأن «النار بدأت تأكل بعضها».

---

(١) محسن محمد: من قتل حسن البنا؟ ص ٤٨٩، ٤٩٠.

(٢) محسن محمد: من قتل حسن البنا؟ ص ٤٤٥.

٢- لم يفت الحكومة أن تصرح بان الإخوان قتلوا الإمام يحيى إمام اليمن وأن قتلة الإمام البنا يمنيون أخذوا بالثار(١).

٣- وقد كافأت إدارة الجنايات محمود عبد المجيد على جهوده فى «جرجا» عام ١٩٤٦م وقررت مكافأته بمبلغ ٣٠٠ جنيه وعند عرض الأمر على عبد الرحمن عمار رفع المكافاة إلى ٦٠٠ جنيه.

٤- وزار الأمباشى أحمد حسين حرم النقراشى فقدمت إليه هدية عبارة عن صورة لقرينها الراحل مكتوب عليها «هدية منى إلى البطل الأمباشى أحمد حسين»، وأهدته قطعتين من الصوف الإنجليزى وحقيبة بداخلها ملابس حريرية لزوجته ورزمة أوراق مالية مجموعها ٤٠٠ جنيه(٢).

٥- مصادرة الحكومة «لجريدة المصرى» التى نشرت رقم السيارة الصحيح الذى فر بها الجناة، وتحويل مرسى الشافعى ومحيى الدين فكرى إلى نيابة الصحافة للتحقيق معهما لنشرهم الخبر، ولأن بعض الأعداد أفلتت من الرقابة ووصلت إلى أيدى القراء(٣).

٦- كان هناك شاهد على الحادث وهو شاب أسمر أبلغ نقطة بوليس «كوتسيكا» بشارع «معروف» برقم سيارة الجناة وقال إنه شاهدهما فإنه يمكنه التعرف عليهما، فتحفظ عليه حتى جاء الصاغ توفيق السعيد من القلم السياسى إلى نقطة كوتسيكا وقام بتهديده وأوسعه ضربًا وهدده بانه سيحاكم بتهمة إحراز سلاح بدون ترخيص، وقد أشرف على تعذيبه بعد ذلك العقيد محمود عبد المجيد بنفسه ولم يظهر لهذا الشاب أثر بعد ذلك(٤).

٣- دور القصر:

لقد بارك القصر قتل حسن البنا لأن فاروق كان يرى فى الإمام الشهيد الملك الجديد، وكان يرى فى الإخوان أنهم العدو اللدود له، وذلك بعد انتشار فضائحه ومخازيه وتمثلت مباركة القصر فى هذه الأمور:

(١) محسن محمد: من قتل حسن البنا؟ ص ٥٣٤.

(٢) المرجع السابق ص ٥٨٢، ٥٨٤.

(٣) المرجع السابق ص ٥٢٥، ٥٢٦.

(٤) المرجع السابق ص ٥٧٢، ٥٧٣.

١- استمرار التستر على الجريمة وعدم تقديم الجناة للمحاكمة طوال أيام الملك، حتى إن حزب الوفد الذى كان فى دعايته الانتخابية يطالب بتقديم الجناة للمحاكمة، عندما تولى الحكم لم يتقدم التحقيق قيد أنملة، وما كان الوفد ليتستر على جريمة يتورط فيها السعديون وحدهم ولكن لابد من وجود قوى أكبر هى التى جعلت الوفد يتخذ هذا الموقف.

٢- تمتع محمود عبد المجيد بالحماية الملكية حتى نهاية عهد فاروق وقد أنعم عليه الملك فى ٤ يوليو ١٩٤٩م برتبة البكوية من الدرجة الثانية لما يبديه من جهود فى خدمة الأمن، ثم عين محمود عبد المجيد بعد ذلك مديراً لجرجا فى ٣ من أبريل ١٩٥٢م[١].

٣- إقرار محمد الجزار ضابط البوليس السياسى بأن عبد الرحمن عمار أمر ضابط القسم السياسى بإخفاء رقم سيارة الأميرالاى عبد المجيد لأن الأمر يهم السراى[٢].

٤- متابعة البوليس السياسى للقضية وذهاب محمد وصفى إلى قصر العينى حتى يتم الجريمة ويتأكد من وفاة الإمام الشهيد. «وقال محمد حسن الأمين الخاص للملك فاروق فى التحقيقات التى جرت بعد الثورة: سمعت محمد وصفى وهو يتحدث إلى أحمد كامل قائد شرطة القصر الملكى ويقول له: بعد إصابة حسن البنا رحت المستشفى لأخلص عليه إذا كان حيًا».

ويقول يوسف رشاد الذى كان يعمل كبيراً لأطباء البحوث الملكية عام ١٩٤١م: سمعت من زميلى أحمد شكيب الطبيب الشرعى الذى أجرى الصفة التشريحية للبنا أن البنا تُرك ليموت بالنزيف من الشريان، وكان يمكن إيقاف النزيف وإنقاذ حياته بمبضع بسيط[٣].

٥- اتصال الملك بالدكتور يوسف رشاد فى التاسعة من يوم الحادث وأبلغه باغتيال الإمام البنا فى لهجة تدل على فرحته وارتياحه للحادث قائلاً: «حسن البنا ضرب بالرصاص وحالته خطرة، ولكن لم يمت بعد»، ثم قام الملك بإبلاغ حسن يوسف وكيل الديوان بالخبر فى منزله.

---

(١) محسن محمد: من قتل حسن البنا؟ ص ٥٨٣

(٢) الإخوان المسلمون بين عهدين ص ١٣٩، ١٤٠.

(٣) محسن محمد: من قتل حسن البنا؟ ص ٥١٨، ٥١٩، محمود عساف: مع الإمام الشهيد ص ١٣٢.

٦- ذهاب الملك فاروق بنفسه إلى مستشفى قصر العينى فى ليلة الحادث للتأكد من وفاة الإمام الشهيد حسن البنا هو ورجاله وحاشيته والبوليس السياسى، ولما تأكد من وفاة الإمام غادر المستشفى[١].

٧- ويقول «الماجور سانسوم» ضابط أمن السفارة البريطانية: «قرر رجال البلاط الملكى والحكومة اغتيال البنا بعد مصرع النقراشي ولم يكن هذا قرارًا جديدًا»[٢]، أى إنه اتخذ قبل مقتل النقراشي.

٤- دور القوى الاستعمارية :

يعتبر الاستعمار هو الفاعل الأصلى وصاحب المصلحة الكبرى فى قتل حسن البنا، ومحاولة تحطيم جماعة الإخوان المسلمين، ونقصد بالقوى الاستعمارية هنا «إنجلترا وأمريكا وفرنسا» وذلك لما مثله وجود الإخوان من تهديد لمصالح تلك الدول. فقد كان المركز العام للإخوان مكانًا لتجمع وانطلاق حركة التحرر فى جميع الدول العربية والإسلامية التى كانت تحتلها تلك الدول أو التى كانت تهيمن عليها وتوجهها دون احتلال عسكرى. أما أمريكا فبعد الحرب العالمية الثانية أصبحت هى الوريث لهذه القوى الاستعمارية وبدأت تنشط فى المنطقة العربية والإسلامية تبحث لنفسها عن موطن لقدم ولو على حساب حلفائها، وقد بدأ تدخل أمريكا فى شئون مصر من بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، حيث عرضت أمريكا على الملك فى عام ١٩٤٥م[٣] مشروعًا للإصلاح الزراعى وهو نفسه المشروع الذى عرضته على حكام ثورة يوليو، وكان هدفهم إصلاح صورة الملك وتحقيق مصالحهم من خلاله، فلما تبين لهم استحالة إصلاح الملك بدأ الأمريكان يتحركون فى اتجاه ضباط الجيش فوجدوا أن الإخوان قد سبقوهم فى هذا الاتجاه حين كان المرحوم الصاغ محمود لبيب يقوم بهذا الدور[٤].

وقد برزت قوة الإخوان فى حدثين أثارا إزعاج كل الدوائر الاستعمارية والصهيونية، أما الحدث الأول فهو تدخل الإخوان فى اليمن، والثانى كان تدخل الإخوان فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، وفى الحالتين كان تدخل الإخوان عمليًا وليس بالدعاية والخطب

(١) مجلة الدعوة ، العدد ٨٢ شوال ١٤١٩هـ يناير، فبراير ١٩٩٩م، شهادة الممرضة إنعام السبكى.

(٢) محسن محمد: من قتل حسن البنا؟ ص ٤٩٢.

(٣) محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية، ص ٤٤.

(٤) الحاج فرج النجار: مذكرات غير منشورة.

مما أربك مخططات تلك الدول فطالبوا بحل الإخوان ونصحوا بقتل الإمام البنا وقد شاركنا فى هذه الوجهة الكثير من الكتاب.

ويقول الدكتور محمد السيد الوكيل: «لقد حاول الاستعمار صرف حسن البنا عن غايته عن طريق المرأة والمال والجاه - كما يقول روبير جاكسون - ولكن ذلك كله لم يفلح معه وكان الاستعمار الصليبى واليهودى يعلم أن غاية حسن البنا إعادة مجد الإسلام والخلافة الإسلامية، وطرد الاستعمار وملاحقته وغزوه على أرضه، ولن يتم كل ذلك إلا بضرب الإنجليز وطردهم من مصر وطرد اليهود من فلسطين، لذلك عزم الاستعمار وأذنابه أن يقبضوا على هذا الرجل ظنًا منهم أن بموته تموت دعوته(١).

ولسنا هنا فى محل استقصاء هذه الآراء ولكننا فى محل ذكر التدليل على ما نقول:

أولاً: إن قرار حل الإخوان قد صدر بناءً على طلب من سفراء إنجلترا وأمريكا وفرنسا.

ففى ١٠/١١/١٩٤٨م اجتمع سفراء انجلترا وأمريكا وفرنسا فى فايد، وقرروا اتخاذ الإجراءات اللازمة بواسطة السفارة فى القاهرة لحل جمعية الإخوان المسلمين التى فهم أن حوادث الانفجارات الأخيرة فى القاهرة قد قام بها أعضاؤها، وأرسلت هذه الإفادة إلى رئيس المخابرات تحت رقم ١٣ فى ١٣/١١/١٩٤٨م وترجمة الخطاب كالآتى(٢):

الموضوع اجتماع سفراء صاحب الجلالة البريطانية وأمريكا وفرنسا فى فايد فى ١٠/١١/١٩٤٨، رقم القيد ١٨٤٣/ ١س/ ٤٨، التاريخ ١٣/١١/١٩٤٨، إلى رئيس المخابرات رقم ١٣:

«فيما يختص بالاجتماع الذى عقد فى فايد فى ١٠ الجارى بحضور سفراء صاحب الجلالة البريطانية وأمريكا وفرنسا أخطر أنه ستتخذ الإجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية فى القاهرة لحل جمعية الإخوان المسلمين، التى فهم أن حوادث الانفجارات الأخيرة فى القاهرة قام بها أعضاؤها».

إمضاء

ج.د. أوبريان

---

(١) محمد السيد الوكيل: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية ص ١٢٤، ١٢٥.

(٢) الدعوة: ٢٢ ربيع الثانى ١٣٧١هـ/ ٣٠ يناير ١٩٥١م - حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه ص ٢٩، ٣٠، ٣١.

وفى ٢٠/ ١١/ ١٩٤٨ أرسل رئيس إدارة المخابرات فرع (أ) بقيادة القوات البريطانية بالشرق الأوسط إلى إدارة المخابرات ج. س - ١٣ فى القيادة العليا للقوات البريطانية فى مصر خطابًا هذه ترجمته الحرفية(١):

الموضوع : جمعية الإخوان المسلمين.

رقم القيد : ١٦٧٠/ أ ن ت ب ١١١٢٠/ ١٩٤٨ إلى إدارة ج - س - ١٣.

القيادة العليا للقوات البريطانية فى مصر والشرق الأوسط.

١- بخصوص مذكرتكم رقم ٧٣٤/ أ ن ت أ ب/ ٣٨ المؤرخة فى ١٧/ ١١/ ١٩٤٨.

(٢) لقد أخطرت هذه القيادة العليا رسميًا من سفارة صاحب الجلالة البريطانية بالقاهرة، أن خطوات دبلوماسية ستتخذ بقصد إقناع السلطات المصرية بحل جمعية الإخوان المسلمين فى أسرع وقت ممكن.

وفيما يتعلق بالتقارير التى كانت قد رفعت من الرعايا الأجانب المقيمين فقد أرسلت لوزارة الخارجية للعلم.

التوقيع

رئيس إدارة حرف أ فى الشرق الأوسط

كولونيل أ. م. ماك درموث

وبناء على ذلك أبلغت السفارة البريطانية النقراشى بهذا القرار المطلوب وهو حل جماعة الإخوان المسلمين فى أسرع وقت ممكن، وكان ذلك مصحوبًا بتبليغ «بأنه فى حالة عدم حل الإخوان المسلمين فستعود القوات البريطانية إلى احتلال القاهرة والإسكندرية»، فاستدعى رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى والذى كان يشغل أيضًا منصب وزير الداخلية وقتئذ اللواء عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية وشرح له الأمر، وهو طلب السفارة البريطانية حل جمعية الإخوان المسلمين وإلا احتلوا القاهرة والإسكندرية، وطلب منه كتابة مذكرة تبرر حل جمعية الإخوان المسلمين أمام الرأى

---

(١) الدعوة - ٢٢ ربيع الثانى ١٣٧١ هـ/ ٣٠ يناير ١٩٥١م، جابر رزق: حسن البنا بأقلام تلاميذه ومعاصريه، ص ٢٩، ٣٠، ٣١.

العام، حتى لا يظهر أنه ينفذ ما طلبته السفارة البريطانية من تدخل سافر فى الشئون الداخلية لمصر، وهى دولة مستقلة ذات سيادة من الناحية الرسمية!! تعهد اللواء عبد الرحمن عمار بذلك، واتصل بالمديرين وطلب منهم أن يوافوه بالحوادث التى كان الإخوان المسلمون طرفًا فيها ولو كانوا مجنيًا عليهم، وقد ثبت هذا فى شهادته أمام محكمة الجنايات فى قضية مقتل النقراشى(١).

ثانيًا: ما ذكره «الماجور سانسوم» ضابط الأمن بالسفارة البريطانية فى مذكراته «إن كل الإجراءات التى اتخذت لمنع المظاهرات بعد الاغتيال وفى الجنازة تم تخطيطها قبل عدة أسابيع».

فمن أطلعه على ذلك إلا أن تكون سفارته شاركت فى هذا الأمر!!.

ثالثًا: فى مقابلة بين «تشابمان آند روز» الوزير البريطانى المفوض وكريم ثابت المستشار الصحفى لفاروق، ويدور الحديث حول الوزارة الجديدة بعد مقتل النقراشى ويرى آند روز أن الوزارة لابد أن يشارك فيها الوفد، ويقرر أن بريطانيا قد بذلت مساعى كبيرة لإشراك الوفد فى الوزارة وذلك حتى تتم الوزارة مهمتها بنجاح. وقد لخص آند روز مهمة الوزارة حيث قال: «المهمة الرئيسية للحكومة الحالية هى تحطيم الإخوان»(٢).

رابعًا: عندما علم محمد وصفى قائد حرس الوزارات – وكان من المشاركين فى اغتيال الإمام الشهيد – بأن تحقيقات الثورة فى مقتل الإمام الشهيد تناولته لجأ إلى السفار البريطانية طالبًا حق اللجوء السياسى، وأيد الماجور سانسوم ضابط أمن السفارة طلبه وقال للسفير: «أنقذوا حياة هذا الرجل الذى ساعدنا كثيرًا» ولكن السفارة والخارجية البريطانية رفضت ذلك، فانتحر محمد وصفى بتناول كمية من الحبوب المنومة مؤثرًا الموت على مواجهة الموقف(٣).

خامسًا: الاهتمام البالغ للسفارة الأمريكية والبريطانية بآثار قرار الحل والمتابعة الدقيقة لحادث الاغتيال ونقل ردود الأفعال وما يقال حول الاغتيال فى تقارير رسمية من السفارتين إلى دولتيهما(٤).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) محسن محمد: من قتل حسن البنا ص ٤٥٤، ٤٥٥.

(٣) المرجع السابق ص ٦٠٠، ٦٠١.

(٤) عباس السيسى: فى قافلة الإخوان، ج٢.

سادسًا: وفى عام ١٩٤٨م وبعد الهدنة الثانية عقد «موشى ديان» مؤتمرًا صحفيًا فى أمريكا وفيه سأله أحد الصحفيين: هل يستطيع أن يضمن بقاء إسرائيل وسط دول كثيرة تعاديها وتضمر لها الشر؟ فأجاب موشى ديان: إن إسرائيل لا تخشى لقاء هذه الدول مجتمعة أو متفرقة فهى كفيلة بهزيمتهم، ولكنها تكره أن تلقى فئة واحدة فقط وهم الإخوان المسلمون وستكفينا حكومتهم مؤونتهم[١].

سابعًا: الفرحة الغامرة التى عمت أمريكا وشرب الأمريكان أنخاب الخمر عندما سمعوا بمقتل الإمام الشهيد حسن البنا كما روى ذلك الشهيد سيد قطب[٢].

ثامنًا: عندما قامت الثورة فى ٢٣ يوليو كان أول إجراء اتخذته الثورة هو إعادة التحقيق فى قضية حسن البنا حيث قبض على الجزار ٢٥ يوليو قبل طرد الملك وبدأ التحقيق مع المتهمين من قبل محكمة الثورة ولكن بعد أقل من شهر وبالتحديد فى ١٧ أغسطس ١٩٥٢م تم تحويل القضية إلى النيابة العامة[٣].

فمن نصح الثورة بذلك أو ضغط عليهم مع الوضع فى الاعتبار أنه فى هذه الفترة القصيرة لم يحدث ما يعكر صفو العلاقة بين الإخوان والثورة، بل إن جميع الإخوان تقريبًا كانوا يعتبرون أن هذه الثورة ثورتهم[٤].

---

(١) الدعوة - العدد (٤) - شوال ١٣٩٦ هـ - أكتوبر ١٩٧٦م.

(٢) لواء الإسلام، رجب ١٤٠٨هـ - ١٩/ ٢/ ١٩٨٨م.

(٣) محسن محمد: من قتل حسن البنا؟ ص ٥٥٦، ٦٠٠.

(٤) راجع علاقة مجلس قيادة الثورة وعبد الناصر بالسفير الأمريكى كافرى، كتاب ثورة يوليو الأمريكية، محمد جلال كشك.

الفصل الخامس

بعض ما كتب عن الإمام البنا

المبحث الأول

الإمام البنا بأقلام أسرته وإخوانه وتلاميذه

كتب الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا والد الإمام فى الذكرى الثانية لاستشهاده يقول: «وأتمثلك يا ولدى وأنت صريع، وقد حملت فى الليل مسفوكًا دمك، ذاهبة نفسك، ممزقة أشلاؤك، أذتك حيات الغاب ونهشت جسدك حيات البشر، فما هى إلا قدرة من الله وحده تثبت فى هذا الموقف، وتعين على هذا الهول وتساعد فى هذا المصاب، فأكشف عن وجهك الحبيب فأرى فيه إشراقة النور وهناءة الشهادة، فتدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا عز وجل (إنا لله وإنا إليه راجعون) وأقوم يا ولدى على غسلك وكفنك، وأصلى وحدى من البشر عليك، وأمشى خلفك أحمل نصفى ونصفى محمول، وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد.

أما أنت يا ولدى فقد نلت الشهادة التى كنت تسأل الله تعالى فى سجودك أن ينيلك إياها فهنيئًا لك بها.. وأما أنتم يا من عرفتم ولدى واتبعتم طريقه، أن خير ما تحيون به ذكراه أن تنسجوا على منواله وتترسموا خطاه، فتتمسكوا بآداب الإسلام وتعتصموا بحبل الأخوة، وتخلصوا العمل والنية لله(١).

أما ولده الشاب أحمد سيف الإسلام فقد كتب يرثى والده فيقول: «نضر الله يا أبت وجهك.. فقد حملت اللواء كما حمله عمر وعثمان وعلى والحسن والحسين رضى الله عنهم، هذبت الشباب وشذبت الشيوخ وألفت من هؤلاء وأولئك تلك الجماعة المباركة التى يفخر بها المسلمون اليوم، وسيفخر بها محمد - ﷺ - يوم القيامة، ونحن يا أبت على ما عملت به وما دعوت إليه سائرون(٢).

أما شقيقه الأستاذ عبدالرحمن البنا فما أكثر مَا كتب عن الإمام فهو الأخ والظل

(١) الدعوة - العدد (٣) - السنة الأولى - ٧ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ/ ١٣ فبراير ١٩٥١م.

(٢) الدعوة - العدد (٥٢) - ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١ هـ/ ١٣ فبراير ١٩٥٢م.

الرفيق وخل الطفولة والصبا يقول وهو يخاطب الإمام: «لم تكن طفولتك كالطفولة، ولكنها طفولة دونها الرجولة، تفتش عن أسرار الكون، وتسبح في عالم مجهول، وتسأل عن سر الحياة.

هذه الحياة ما معناها؟ وهذه الدنيا ما غايتها؟ وتلك الشمس من أطلعها؟ وهذه النجوم من أنارها؟ وهذه الأرض من أنبت زرعها؟(١).

ويضيف في رسالة له تحت عنوان ذكريات: «خسرت الدنيا حسن البنا، حسن البنا الذي صنعته يد القدرة الإلهية، ونشأته إرادة ربانية، وتعهدته في جميع مراحل حياته من أول يوم ولد فيه، حتى ألقى على العالم أجمع أروع درس عرفته الدنيا يوم أعطى الله نفسه، وأسال دمه في سبيل دينه ووطنه قطرة قطرة، وتمزقت أحشاؤه وحمل وحده ما لا تطيق الجبال حمله، وذهب والدنيا تلعب، ومضى والعالم يلهو، وانحطت المثل، وتوالت الرزايا، وأصابت البلاد نكبات(٢).

وفي عام ١٩٥٤ كتب عبدالرحمن البنا واصفًا حال الإمام الشهيد في تنقله وترحاله يقول: «وينزل على المسجد فإذا هو ضيف على الله تبارك وتعالى، وقد ينزل في رمضان وهو صائم فيكون إفطاره الماء والتمر، لا يذوق غيره ولا يتبلغ بسواه، فإذا ملأ الناس بطونهم، وطعموا مما يشتهون، قدموا إلى المسجد ينظرون الطارق الغريب، ويستطلعون النبأ العجيب، ويقولون: من هذا الرجل؟ وماذا يريد؟ فينهض الرجل في عباءته وجلبابه، ويهدر مخوفًا بطش الله ومنذرًا بعذابه، ويسترسل في شرح رحمته وما ورد من فضله ونعمته في آيات كتابه، والناس مشدوهون مأخوذون، غائبون مسحورون، منصتون لا يتحركون، يعجبون مما يسمعون(٣).

وتحت عنوان «الرجل الذي لم يحمل ضغنًا» كتب يقول: «عاش الإمام الشهيد حسن البنا حياته، يحمل قلبًا أحب الناس جميعًا، وأخلص للناس جميعًا، ونصح للناس جميعًا، وكان حريصًا على توثيق الصلات، وتدعيم الروابط، وإشاعة الخير والمحبة بين الناس»(٤).

---

(١) الدعوة - العدد (٣) - السنة الأولى - ٧ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ/ ١٣ فبراير ١٩٥١م.

(٢) الجمهور المصري - ٢ فبراير ١٩٥٢م.

(٣) الدعوة - العدد (١٥٦) - ٥ جمادى الأولى ١٣٧٣ هـ/ ٩ فبراير ١٩٥٤م..

(٤) الدعوة - العدد (٢٠٧) - ٢٢ جمادى الأولى ١٣٧٤ هـ/ ١٥ فبراير ١٩٥٥م.

وينقل عبدالرحمن البنا صورة الإمام القرآني في بيته فيقول في مقال له بعنوان «بناء الأخلاق»: «شهد الناس من حسن البنا ما رأوا منه، وغاب عن الناس من خلقه ما جعله بين نفسه وربه، يستره عن الناس فلا يطلع عليه إلا خاصة أهله، فهو في بيته – شهد الله – لا يفتر عن مصحفه ولا يغيب عن قرآنه، ولا يغفل عن ذكره»(١).

أما الشقيق جمال البنا فقد كتب يقول: «كان يجب أن يستشهد حسن البنا، وأن يموت هذه الميتة نفسها، إنها وحدها الجديرة بما في الحقيقة. إنها وحدها «جناس» حياته، والتكملة الطبيعية للكفاح العظيم الذي لا ينتهي، لأنه كفاح موضوعي، دائم ما دامت قوى الظلام في حياة البشرية.. لا الكفاح الصغير الذي يتكلل بالنجاح، ويعيش فيه البطل في تبات ونبات كما تروى الأقاصيص الشعبية الهزيلة.

إنها وحدها الدليل الذي لا يقهر على الصدق، والإخلاص وعلى أن الفكرة أقوى من الحياة.

إنها الميتة الحية الموحية الغنية الخصبة! الميتة التي تعمل لدعوة حسن البنا بعد غياب شخصه، كما لو كان موجوداً، بل أكثر»(٢).

وكذا كتب الأستاذ عبدالباسط البنا شقيق الإمام واصفًا إياه بـ«أستاذي الشقيق شهيد الإسلام» ومبينًا أن ذكرى الإمام تمثل له «الأمل الباقي في هذه الحياة والنور الذي يهديني لمراقبة الله» بل وأنشد في نهاية مقاله «رؤياي في حمى الحرم» يقول(٣):

حسن البنا حسن البنا

ما غاب حسن البنا عنّا

لو ضاع العهد فلا كنا

سيقود الجيل دم البنا

حسن البنا

الإخوان المسلمون – وخاصة القيادات منهم – هم أقرب الناس من حسن البنا

---

(١) الدعوة – العدد (٢٥٤) – ١٢ رجب ١٣٧٦ هـ–١٢ فبراير ١٩٥٧م.

(٢) الدعوة – العدد (١٠٤) – ٢٥ جمادى الأولى ١٣٧٢ هـ/ ١٠ فبراير ١٩٥٣م.

(٣) الدعوة – العدد (٢٠٧) – ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٧٤ هـ/ ١٥ فبراير ١٩٥٥م.

وأكثرهم مخالطة له ومعرفة به، ولذلك فإنهم تحدثوا فيما كتبوه عنه: عن تواضعه وعزيمته فى الأمور وجده واجتهاده، وإعطاء كل ذى حق حقه، ومشاركته لإخوانه فى الأعمال كواحد منهم، ومواساته لإخوانه، ونفاذ بصيرته ومعرفته بأحوال الناس، والتأنى فى معالجة الأمور، وعدم التدخل فيما لا يعنيه. وقد جمع المستشار حسن الهضيبى تلك الخلال التى لمسها فى البنا بقوله[1]:

«لقد تعلقت أبصارنا به ولم نجد لأنفسنا فكاكًا من ذلك، وخلت والله أن هالة من نور أو مغناطيس تحف بوجهه الكريم فتزيد الانجذاب إليه.. خطب ساعة وأربعين دقيقة كان شعورنا فيها شعور الخوف من أن يفرغ من كلامه، وتنقضى هذه المتعة التى أمتعنا الله بها ذلك الوقت.. إن كلامه كان يخرج من القلب إلى القلب شأن المتكلم إذا أخلص النية لله.. وما أذكر أنى سمعت خطيبًا قبله إلا تمنيت على الله أن ينتهى خطابه فى أقرب وقت. كان كالجدول الرقراق الهادئ ينساب فيه الماء، لا علو ولا انخفاض، أو كالموسيقى العذبة ليس فيها نشاز.. يخاطب الشعور فيلهبه، والقلب فيملأه إيمانا، والعقل فيسكب فيه من المعلومات ألوانا، انقضى وقت طويل بعد ذلك دون أن ألتقى به، ولما أذن الله التقينا فإذا هو تواضع جم، وأدب لا تكلف فيه، وعلم غرير، وذكاء فريد، وعقل واسع ملم بالشئون جليها وحقيرها، وآمال عراض - كل ذلك يحفه روح دينى عاقل لا تعصب فيه ولا استهتار».

وعن تناوله للأمور يقول الأستاذ عمر التلمسانى[2]: «كان رضوان الله عليه متئدا فى كل ما يفعل يأخذ الأمور - بالغة ما بلغت من القسوة - فى هدوء المفكر وصبر الحليم وكأن ما حدث لم يحدث ثم يبدأ العلاج فى حنكة وخبرة ودراية، وكان ذلك سببا فى سلامة الدعوة طوال حياته من الهزات العنيفة التى تعطل المسيرة، فكان يعالج المشاكل بما يذهب بها فى هدوء».

ويقول أيضا عن دينه: [3] فكان من أشد جيله اقتداء برسول الله ﷺ وغيره على أمته ودينه بالعمل والجد».

---

(١) الدعوة - العدد (٥٢) - ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١ هـ / ١٣ فبراير ١٩٥٢م.

(٣،٢) انظر عمر التلمسانى: حسن البنا أستاذ الجيل ص ٤٠.

أما علاقته بالناس فيقول:[١] كان حريصا على المؤاخاة في الله فكان يقول: (إن لم ترد أن تكون أخا نسعد بك، فلا أقل من أن تكون صديقا نرتاح إليك)، ولهذا لم يكن هناك من يجفو حسن البنا إلا من كان لا يريد شرع الله».

وعن سماحته وخلقه يقول[٢]: أيها الحبيب: أية ناحية من نواحيك يستطيع هذا القلم الهزيل أن يتحدث عنها؟ وكل نواحيك كريم جليل.. حنوك علينا؟ برك بنا؟ كنت تحنو حتى لنلمس الحنان مجسمًا، وتدنو حتى يخيل إلينا أنك صنونا.. أيها الحبيب: لقد صاغك الله بقدر، فجئت على قدر، وكذلك الأفذاذ، ومنحك الله المدد، فغاض من معينك الصافي، ونبعك المتدفق، أعطر ورد ينهل منه الناهلون، لا مددك ينتهي ولا هم يرتوون».

وتحدث عبد القادر عودة عن دعوته فقال:[٣] «لقد دعا حسن البنا الناس إلى أن يفهموا الإسلام على أنه قوة وعزة وكرامة بعد أن فهمه الناس على أنه ضعف واستعباد واستسلام، ودعا الناس إلى أن يفهموا الإسلام على أنه عدالة ونظافة وحرية ومساواة بعد أن أرهقت المسلمين المظالم، وفشت فيهم المآثم، وبعد أن فقد المسلمون حريتهم وزالت دولتهم.. ودعا المسلمين إلى أن يفهموا الإسلام على أنه اتحاد بين أفرادهم، وتوحيد لبلادهم، وأنه أخوة بين المؤمنين وتعاون وتضامن بين المسلمين».

وتحدث عودة عن أبرز سمات الإمام فقال[٤]: «لقد كان أبرز ما في الإمام البنا رجولته الكاملة الناضجة، تلك الرجولة التي كملت ونضجت بكمال الإسلام في نفسه وإخلاصه لله في عمله وقوله، فما علم عليه الناس أنه عمل لهوى أو سكت لمنفعة، أو جامل قويًا، أو كتم كلمة حق وإنما هو التجرد للحق في كل الحالات وفي جميع الظروف.

وميزة أخرى طالما تحدث عنها كل من قابل الإمام البنا يذكرها المستشار صالح أبو رقيق فيقول[٥]: «وزاد من حبنا للإخوان أن الإمام البنا، وهو الرجل الموفق كان يغمرنا بعاطفته القوية، وكان يحفظ أسماءنا فردًا فردًا مما يشعرنا بالاهتمام، بل كان يعرف مشكلات الإخوان الاجتماعية بالتفصيل، وكان دائم السؤال عنها».

---

(١) انظر السابق ص٤١.

(٢) الدعوة – العدد (١٠٤) – ٢٥ جمادى الأولى ١٣٧٢ هـ/ ١٠ فبراير ١٩٥٣م.

(٣) الدعوة – العدد (٥٢) – ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١ / ١٣ فبراير ١٩٥٢م.

(٤) الدعوة – العدد (١٠٤) – ٢٥ جمادى الأولى ١٣٧٢ هـ/ ١٠ فبراير ١٩٥٣م.

(٥) الدعوة – العدد (٨٣) – ذو القعدة ١٤١٩ هـ/ فبراير، مارس ١٩٩٩م.

أما عن قناعة الإمام فحدث ولا حرج، يقول الأستاذ البهى الخولى[١]: «وعرض عليه الانجليز ذهبهم الوهاج فى مستهل الحرب العالمية الماضية، ألوفًا وعشرات الألوف، من ورائها خزائن طوع أمره، ورهن إشارته، ولكن الرجل المتواضع السهل السمح أذل بكبريائه القاسية من جاء يسومه فى مثله وكرامته.. نعم، وهذه شركات الإخوان المسلمين يعمل فى مجال إدارتها جميعًا فتعرض عليه المرتبات السخية، والمكافآت المجزية، ولكنه يريد أن يكون مأجوراً من الله لا من الناس، فيجعل عمله فى هذه الشركات حسبة لله سبحانه».

وقد كانت حياة الإمام رحمه الله ترجمة لما يقول، فقد قام الإخوان فى سوريا بحجز جناح لفضيلته فى فندق الأوريان بلاس وهو فى مصاف سميراميس وسيسل وغيرهما حين ذهب فضيلته - كعادته - يطارد المسئولين فى كل مكان ويجابههم بالحقائق ويعلنهم بمطالب الشعوب الحرة حيث كان يعقد اجتماع للجامعة العربية للتشاور فى أمر فلسطين، يقص الأستاذ سعد الدين الوليلى الخبر فيقول[٢]: وعند انتصاف الليل دعانا الأخ عمر بهاء الأميرى (وزير سوريا المفوض فى باكستان الآن) للنوم والراحة ولشد ما كانت دهشة فضيلته حينما وقفنا بباب الأوريان، ثم صاح «يا عمر! أنبيت هنا فى المكان الأنيق حيث الفراش الوثير والطعام الشهى، وإخواننا المجاهدون فى معسكرى البريج بفلسطين وقطنا بسوريا يفترشون الأرض ويلتحفون السماء؟. والله لليلة فى دار من دور الإخوان أفترش الحصير والتحف عباءتى وأتوسط ذراعى أحب إلى من الدنيا وما فيها».

وتحت عنوان «أنا تلميذ حسن البنا» كتب فضيلة الشيخ محمد الغزالى يقول[٣]: «كنت وما زلت تلميذا لحسن البنا، أذكر دروسه وأترسم خطاه، وأفيد من تجاربه، وأنا مستبشر بدعائه لى ورضائه عنى.. ونظرتى إلى ذلك الإمام الشهيد أنه من قمم الفقه الإسلامى، ومن بناة أمتنا الفقيرة إلى الرجال، بل هو بلا ريب مجدد القرن الرابع عشر الهجرى، وأشهد بأن له - بعد الله - الفضل الأول فى توجيهى وتثقيفى..»

---

(١) الدعوة - العدد (٣) - السنة الأولى - ٧ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ/ ١٣ فبراير ١٩٥١م.
(٢) الدعوة - العدد (٣) - السنة الأولى - ٧ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ/ ١٣ فبراير ١٩٥١م.
(٣) لواء الإسلام- ١/ ٤٥ - رمضان ١٤١٠ هـ/ مارس ١٩٩٠م.

وعن أسلوبه فى تربية الإخوان يقول الشيخ الغزالى(١): «كان لدى حسن البنا ثروة طائلة من علم النفس، وفن التربية وقواعد الاجتماع، وكان له بصر نافذ بطبائع الجماهير، وقيم الأفراد، وميزان المواهب.. وهذه بعض الوسائل التى تعين على الدعوة وليست كلها».

وتحت عنوان «لم يمت ولن يموت» كتب فضيلة الشيخ الباقورى(٢): «والإمام الشهيد لم يمت بهذا المعنى لأنه لم يعش لأسرته الخاصة ولم يعش مع جماعة محدودة من أصدقائه حتى يكون من الممكن أن ينسدل عليه ستار النسيان بسلو أسرته عنه وأطراح أصدقائه لذكراه، وإنما كان يعيش رحمه الله فى نفوس الألوف المؤلفة فى مصر وفى خارج مصر.. لقد صنع حسن البنا جيلا من الناس على مثال نفسه الكبيرة، وعلمه الغزير، وإرادته الصارمة، وأسلوبه فى التفكير إذا فكر، وفى التعبير إذا عبر، بل فى طريقة تلاوته للقرآن إذا تلاه قاعدا يتأمل أو قائما يصلى، ولقد صنع حسن البنا كذلك جيلا من الناس أقبل على الإسلام يدرسه دراسة المستبصر، ويفهمه فهم المتأمل ويعمل به عمل المؤمن..»

وكتب الأستاذ أحمد أنس الحجاجى - وكم رافق الإمام البنا فى رحله وترحاله - مقالات كثيرة تعرضت لمواقف العظمة فى حياة الإمام البنا، فتحت عنوان «إعجاز» كتب يقول(٣): «وكان إمامنا الشهيد مسلما مصنوعا على عين الله منذ نشأته وصباه، وقد وهب نفسه للدعوة الإسلامية واختاره الله لها، فعاش لها وبها وجاهد فى سبيلها، واستشهد فى ميدان الكفاح والنضال من أجلها، فكان فى حياته كلها - كطبيعة الفكرة التى اصطنعته - معجزا، الإعجاز الذى نسجه الإسلام تاجا لرجاله وقادته فى كل زمان، فهم أبدا يتحدون به كل معركة نزال وفى كل ساحة نضال!.. وكان معجزاً فأتعب خصومه وأرهقهم، طاردوا فكرته، واضطهدوا أنصاره، وفتحوا لهم السجون والمعتقلات، وصبوا عليهم كل أنواع الظلم والعذاب! ثم قتلوه! وقال بعضهم لبعض: «إنه قد مات!..». ومع ذلك فقد راحوا يحشدون الجند ويجمعون القوات، لمحاربة هذا

---

(١) محمد الغزالى: القائد المربى ص٥٦ - السابق.

(٢) الدعوة - العدد (١٠٤) - ٢٥ جمادى الأولى ١٣٧٢ هـ/ ١٠ فبراير ١٩٥٣م.

(٣) الدعوة - العدد (٥٢) - ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١/ ١٣ فبراير ١٩٥٢م.

الذى فى زعمهم قد مات. ثم منعوا تشييع جنازته، وصنعوا ما صنعوا مما لم يشهد الناس له مثيلا فى أظلم العصور، فسخر منهم وقال التاريخ كلمته:

علو فى الحـــيـــاة وفى الممـــات الحق تلك إحـــدى المعـــجـــزات

وكتب سعيد رمضان فى مذكراته يقول[1]: «آه.. قتل حسن البنا بعد عشرين عاما قضاها فى جهاد مرير متصل الأيام والليالى، لن أنسى جولاته فى الأقاليم لا ينام إلا ساعتين أو ثلاثا كل يوم وليلة، ولن أنسى سهره الليل عاكفا فى المركز العام أو فى منزله أو فى الشهاب على أعمال الدعوة، ولن أنسى دموعه التى طالما هطلت فى غفلة من الناس على الإسلام والمسلمين.. لم تمت يا فضيلة المرشد!، لا والله الذى خلقك! لا والذى أنعم علينا بك!! ومتعنا بصحبتك، لقد فتحت قلوبنا على النور، ووضعت أيدينا على أول الصراط وجمعتنا يا حبيب من شتات، سنمضى إلى حيث كنت تدعو وتربى وتحترق بالليل والنهار».

وعن الإمام كتب الأستاذ محمد عبدالحميد أحمد واصفا إياه[2]: «رجل كأنما أفلت من الرعيل المحمدى الأول، جيل الوحى والمعجزات، جيل البطولة والأبطال ليعيش فى جيلنا الحاضر، جيل الظلم والظلمات، جيل الرجال وأشباه الرجال، جيل الغاب المتحضر، والمخالب المكسوة بالقطيفة المخضبة بالدم الأحمر.

رجل لا يقاس بمقاييس زعماء العصر الحديث، بل يرتفع إلى عصر الدعاة الضخام كعمر بن عبدالعزيز وابن تيمية.. لقد كان «حسن البنا» «عنصر خلود» عجيب بين مقومات المادة ومعالم الفناء، كان «شحنة إلهية» فذة سرت فى أعصابها أقباس النبوة، وأنوار الدعوة، وروح محمد صلى الله عليه وسلم، كان «شعلة حياة» عالية الجذوة تتوهج فى ظلمات الناس فتفيض عليهم بأمواج النور والحرارة والسناء، كان «عنصرا» أصيلا من عناصر الطبيعة يعمل للإصلاح بفطرته».

وتحت عنوان حسن البنا العبقرية الفذة كتب الأستاذ محمد عبدالله السمان يقول[3]: «وجاء حسن البنا ليقر فى أذهان هذه الشعوب المسلمة، أن الإسلام دين ودولة، ومصحف وسيف، وقانون ونظام، ودستور وتشريع، وكفاح وجهاد. وليقر فى

(١) الدعوة - العدد (٣) - ٧ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ/ ١٣ فبراير ١٩٥١م.
(٢) الدعوة - العدد (٥٢) - ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١هـ ١٣ فبراير ١٩٥٣م.
(٣) الدعوة العدد - (١٥٦) - ٥ جمادى الآخرة ١٣٧٣ هـ/ ٩ فبراير ١٩٥٤م..

ذهن المسلم أن مهمته فى الحياة ليست مقصورة على التدين والتعبد، وإنما هى فوق هذا جهاد من أجل الإسلام حتى تكون له الكلمة العليا فى الأرض، كما أن له الكلمة العليا فى السماء..».

وما يعلمه الناس عن الإمام البنا وما لم يسجله التاريخ عن الإمام أكبر بكثير مما سجل، يقول الأستاذ أمين إسماعيل(١): «أريد أن أكتب عن حوادث تخفى على الناس اشترك فيها «حسن البنا» فغير وجه التاريخ، وكتب تاريخا جديدا.. خذ «موقعة العلمين» مثلا من الأمثلة التى تحول فيها تاريخ البشرية جميعا، موقف «حسن البنا» ورأى «حسن البنا» فى هذه اللحظة الحرجة من عمر التاريخ.. ولو أن المرحوم اللواء عبدالرازق بركات باشا كان حيا لاستطاع أن يقول عن هدى تأثير «حسن البنا» فى «موقعة العلمين»!!.. وإليك مثلا داخليا، معاهدة «صدقى - بيفين» كيف لم يكتب لها أن ترى النور، كيف قتلت فى مهدها، كيف ثار عليها الشعب، كيف سقطت وزارة صدقى؟ لو أتيح لنا أن نتكلم عن هذا، إذن لكشفنا عن صفحة أخرى، كتبها «حسن البنا» بيده وأهداها للتايخ؟ وأمثلة أخرى، كيف هرب أمين الحسينى إلى مصر وكيف نزل الأمير عبدالكريم إلى أرض مصر؟.. إن العالم يعرف أن «حسن البنا» هو «المدرس» الذى علم المسلمين ما هو الإسلام؟! ولكن العالم - إلى حد ما - تغيرت سياساته ووضعت خططه، فى الغرب قبل الشرق، وكان التغيير بسبب «حسن البنا» وكانت الخطط الجديدة تتأثر سلبًا وإيجابًا «بحسن البنا» وبدعوة «حسن البنا»؟!! حسب له «هتلر» حسابه، وحسب له «موسولينى» حسابه، وحسب له «ستالين» حسابه، وحسبت له بريطانيا حسابه، وحسبت له فرنسا حسابها، وحاولوا جميعًا أن يرتموا على أقدام «المدرس» الفقير الزاهد ليتصلوا به، ولكنه كان لا يتصل إلا بالله، والله أعز وأقوى من ألمانيا وإيطاليا وروسيا وبريطانيا وفرنسا مجتمعين ومنفردين».

ولذلك فمن يرى المستوى التنظيمى والإعداد التربوى والتأهيل العلمى للإخوان المسلمين يدرك عبقرية الرجل، وقد أشاد الأستاذ سيد قطب بتلك العبقرية يقول(٢): «هذا البناء الضخم، الإخوان المسلمون، إنه مظهر هذه العبقرية الضخمة فى بناء الجماعات، إنهم ليسوا مجرد مجموعة من الناس، استجاش الداعية مشاعرهم

---

(١) الدعوة - العدد (٥٢) - ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١هـ/ ١٣ فبراير ١٩٥٢م.

(٢) الدعوة - العدد (٤) ١٤ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ/ ٢٠ فبراير ١٩٥١م.

ووجداناتهم، فالتفوا حول عقيدة.. إن عبقرية البناء تبدو فى كل خطوة من خطوات التنظيم، من الأسرة إلى الشعبة إلى المنطقة إلى المركز الإدارى إلى الهيئة التأسيسية إلى مكتب الإرشاد.. ثم بعد أن يستعرض العبقرية فى بناء الجماعة وتنظيمها يقول(١): «وقد استطاع حسن البنا أن يفكر فى هذا كله أو أن يلهم هذا كله.. فيجعل نشاط الأخ المسلم يمتد وهو يعمل فى نطاق الجماعة إلى هذه المجالات كلها».

ويؤد ذلك المعنى الأستاذ صالح عشماوى بقوله(٢): «وكان حسن البنا طاقة ضخمة من الحكمة والكياسة، وعبقرية فذة فى فن القيادة والسياسة، وحسبه أنه استطاع أن يقود دعوته ويسير بجماعته، تحت سمع المستعمرين، وبصرهم، وتحت أنف المتزعمين وأحزابهم».

ثم يضيف أن عظمة حسن البنا وعبقريته لا تقتصر على تنظيمه للجماعة وقيادته لها، وإنما أيضًا تمتد تلك العبقرية بعد موته فى ثبات أفراد الجماعة أمام المحنة التى تعرضت لها الجماعة عقب استشهاده فيقول:(٣) «ولقد أثبتت الحوادث الأخيرة عظمة حسن البنا فى تربيته، وعلى عمق هذه التربية ورسوخ هذا التكوين، فلقد تعرض أتباعه جميعًا لأشد فتنة وأعظم بلاء فى عهد حكومة الإرهاب، وانصب عليهم من العنت والاضطهاد والعذاب ما لو سلط على جبل لاندك وانهار، تعرضوا للسجن والاعتقال، وللضرب الوحشى وللتعذيب الذى يتضاءل معه تعذيب محاكم التفتيش فى القرون الوسطى، وتعرضوا للنفى والتشريد، وحوربوا فى أرزاقهم وهددوا فى أعراضهم، وسقط شهداؤهم واحدًا بعد واحد، واغتيل قائدهم على قارعة الطريق، وفى وسط المعركة فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا».

وقد راح الأستاذ عبدالحكيم عابدين يعدد مواطن تلك العظمة فى حياة الإمام حتى أحصى - فيما وسعه استنباطه - تلك الدعائم التى أقام عليها الإمام مدرسته الفاضلة فى توجيه الفكر على عشر دعائم استحق فى نهايتها أن يعتبر أن «حسن البنا.. مرحلة حاسمة فى تاريخ العقل الإسلامى(٤)».

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: صالح عشماوى: حسن البنا المربى الزعيم ص ٦٠.

(٣) انظر السابق ص٦١.

(٤) الدعوة - العدد (٣) - السنة الأولى - ٧ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ/ ١٣ فبراير ١٩٥١م.

يقول فضيلة الشيخ عبدالحميد كشك[1]: «الإمام الشهيد حسن البنا هو الداعية الذى بعث الأمل فى قلوب اليائسين، وقاد سفينة العالم الحائرة فى خضم المحيط إلى طريق الله رب العالمين.. عرفته من كتاباته، وعرفته من مريديه ومحبيه، وعرفته من آثاره الطيبة وأعماله المجيدة، عرفته داعية يجمع ولا يفرق، يحمى ولا يبدد، يصون ولا يهدد، يشدد أزر الأصدقاء ويرد كيد الأعداء..».

وهكذا سلط الإخوان الضوء فى كتاباتهم عن شخصية حسن البنا من جميع الجوانب، وأخذ الكثير منهم يروى بعض المواقف التى شاهدها معه، وأشادوا به فى ذكرى استشهاده وكتبوا عنه كثيراً من المقالات والكتب[2].

(١) لواء الإسلام - رجب ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م.

(٢) أصدر الإخوان العدد الثالث ١٣ فبراير ١٩٥١ من مجلة الدعوة عن حسن البنا وتضمن العدد مقالات متنوعة عن حسن البنا فى ذكرى استشهاده، وألفوا كثيرا من الكتب عنه منها «روح وريحان» لأحمد أنس الحجاجى، «مع الإمام الشهيد» للدكتور محمود عساف، «الإمام حسن البنا مجدد القرن الرابع عشر الهجرى» لأحمد حسن شوربجى، «الشهيد بين السهام السوداء وعطاء الرسائل» للدكتور جابر قميحة، «حسن البنا» لأنور الجندى، و«الإخوان المسلمون ومدرسة حسن البنا» للدكتور يوسف القرضاوى وغيرها.

المبحث الثانى

الإمام البنا بأقلام رجال الفكر والإصلاح فى العالم العربى والإسلامى

أما إذا تطرقنا لآراء السياسين ورجال الفكر والإصلاح فى العالم العربى والإسلامى لنرى كيف كانت شخصية البنا على المستوى العالمى: فقد تحدث الدكتور مصطفى السباعى من سوريا عن حسن البنا فتناول دعوته فى مصر والعالم العربى والإسلامى، وأنه أبرز شخصيات القرن الرابع عشر الهجرى، ودوره بارز فى تاريخ الشرق[١].

وأشاد مفتى فلسطين محمد أمين الحسينى بحسن البنا، فاثنى على أخلاقه وسجاياه الطيبة، وأرجع إليه الفضل فى هداية الألوف الكثيرة من الشباب، أما عن جهاده فى فلسطين فيقول[٢]: «لقد كان للشهيد الشيخ حسن البنا وأتباعه ومريديه فى نصرة فلسطين والدفاع عنها جهود مشكورة وأعمال مبرورة كلها مآثر ومفاخر سجلها لهم تاريخ الجهاد الإسلامى بحروف من نور، وقد بذلوا على ثرى فلسطين مع إخوانهم المجاهدين من أبناء البلاد العربية والإسلامية دماء ذكية ومهجا غالية، واستشهد منهم عصبة كريمة كانت فى الرعيل الأول من المجاهدين الذين نفروا خفافا وثقالا لنجدة فلسطين.. وقال مفتى فلسطين الأكبر[٣]: «لقد اشتعل رأسى شيبا وإن تحت كل شعرة لتجارب مريرة قاسية عميقة، فما انتهت بى هذه التجارب بعد طول المطاف إلا إلى النقطة التى ابتدأ منها الأستاذ حسن البنا جهاده الصادق».

يقول سمو الأمير عبد الكريم الخطابى[٤]: «لقد كنا نسمع عن المرحوم الأستاذ حسن البنا وحركته الإسلامية الفتية ونحن فى المنفى، ولما لجأنا إلى مصر العزيزة وتقابلنا مع الأستاذ المرشد عرفنا فيه الشخصية الإسلامية والأخوة الإسلامية وازداد فينا الأمل» ويضيف[٥]: «إن الأساذ البنا ولى من أولياء الله الصادقين، ولقد حاول إنقاذى منذ عشر سنوات أو أكثر من منفاى السحيق، وأعد العدة لذلك ورسم له الخطة، وجهز

---

(١) انظر: جابر رزق: حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه ص ١٠٤ - ١٠٧.

(٢) انظر: الدعوة - العدد (١) - رجب ١٣٩٦هـ/ يوليو ١٩٧٦م.

(٣) انظر: الدعوة - العدد (٣) - ٧ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ/ ١٣ فبراير ١٩٥١م.

(٤) انظر الدعوة - العدد (٥٢) - ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١ هـ / ١٣ فبراير ١٩٥٢م.

(٥) انظر: الدعوة - العدد (٣) - ٧ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ/ ١٣ فبراير ١٩٥١م.

السفن ولكن الظروف قضت بالتربص إلى فرصة أخرى، وحين تسمح الظروف بنشر ما لدينا من أنباء يعرف الناس حقيقة هذا الولى الكبير.

يقول السيد علال الفاسى رئيس حزب الاستقلال المراكشى(١): «أعتقد أن الدعوة كانت تستفيد كثيرا من حياة البنا لو لم يوافه الأجل المحتوم، ولكن العشرين سنة التى قضاها دائبا ليل نهار على بذر بذور فكرته وتطعيمها والعناية بها يجعلها فى مأمن من أن تطوح بها أيدى الزمان العاتية».

ويتحدث الأستاذ فضيل الورنلاتى الأمين العام لحزب الشورى والاستقلال المراكشى عن شخصية الإمام فيقول(٢): عرفت الملة الإسلامية من رجال النهضة والإصلاح، كانوا من الأفذاذ وقد كان لهؤلاء أثر محسوس فى بعث المسلمين من خمولهم الذى طالت عليه عهود وأزمنة، والذى يتنافى وروح الإسلام اليقظة الوثابة، ولكن شخصية الإمام المرشد رحمة الله عليه كانت أقوى ما عرف المسلمون فى عصرهم هذا من رجال الدعوة إلى سبيل الله، بل إن الإمام المرشد فاق غيره من كبار الدعاة المسلمين بأن اتخذ لدعوته الكبرى وجهة ونظاما أصبحنا معها قوة فعالة فى سبيل الإسلام والمسلمين».

وتحدث الأستاذ محمد هاشم الإندونيسى فقال(٣): «يذكر الإندونيسيون جهودا كبيرة كان لها أثر عظيم فى نصرة القضية الإندونيسية فى مصر والشرق العربى، ويذكرون مع الذكرى ما كان يجدون فى دعوة الإخوان المسلمين التى مثلها الإمام الشهيد أصدق تمثيل صدى لتلك الروح الإسلامية التى تسود المسلمين فى إندونيسيا.. ولقد كان للمرحوم الأستاذ البنا فضل العمل وإفساح المجال أمام الشباب الإندونيسى الذى عمل لقضية بلاده فى مصر، فكانت جريدة الإخوان ومجلتهم ودارهم ميدانا واسعا لمزاولة نشاطهم فيه والدعوة لقضية بلادهم».

ويضيف الأستاذ أحمد هاشم ممثل الجالية الإندونيسية فى مصر(٤): «إن الزعماء الإندونيسيين الذين مروا بمصر منذ انتهاء الحرب حتى استشهاد المرشد كان أول ما يسجلونه فى برنامج زيارتهم هو مقابلة الإمام والتعرف عليه».

---

(١) انظر الدعوة – العدد (٥٢) – ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١ هـ / ١٣ فبراير ١٩٥٢م.

(٢) انظر: الدعوة – العدد (١٠٤) – ٢٥ جمادى الأولى ١٣٧٢ هـ/ ١٠ فبراير ١٩٥٣م.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الدعوة – العدد (٥٢) – ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١ هـ/ ١٣ فبراير ١٩٥٢م.

أما الأستاذ محمد هارون المجددى سكرتير السفارة الأفغانية فيصفه قائلا(١): «كان الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه، صورة طيبة لخيرة أصحاب قائدنا الأعظم سيدنا محمد رسول الله ﷺ، فقد ملكت مبادئ الإسلام المثالية قلبه، وفكره فى كل لحظة من لحظات حياته، وكان لا يعيش لنفسه بل يعيش لهذه الأمة الإسلامية التى توالت عليها المحن...».

ويشير السيد على البهلوان السكرتير العام المساعد للحزب الحر الدستورى التونسى(٢) إلى أن اسم حسن البنا: «اقترن فى نظر التونسيين بحركة التجديد والتطهير التى تجسمت فى الإخوان المسلمين، وأصبح اسمه رمزا لفكرة حية ومبدأ سام طالما تردد بين التونسيين من غير أن يجد من يسهر على تطبيقه حتى أبرزه المرشد العظيم».

وتحدث الشاذلى المكى(٣) مقارنا بين الإمام البنا ومن سبقه من المجددين فيقول(٤): «.. وفى نظرى أنه إذا كان المصلحون الذين تقدموا حسن البنا مثل عمر بن عبدالعزيز والغزالى وابن القيم وابن تيمية والأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا وعبدالحميد بن باديس وغيرهم قد نادوا بالإصلاح، وعملوا له، وحددوا معالمه وفقا لقوله صلوات الله وسلامه عليه: **«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»** فإن حسن البنا قد وضع لهذا الإصلاح بصمة لم يسبق لها، لا لمعالم التجديد والإصلاح فحسب، وإنما أيضا الأسس والأركان، ومن ثم كان من أكبر المجددين المصلحين لهذه الأمة».

وأما المستشرق الأمريكى روبير جاكسون فيرى أن البنا جمع خلال القادة والمصلحين والدعاة فيقول(٥): «كان فيه من الساسة قوتهم، من العلماء حجتهم، ومن الصوفية إيمانهم، ومن الرياضيين حماستهم، ومن الفلاسفة مقاييسهم، ومن الخطباء لباقتهم، ومن الكتاب رصانتهم، وكان كل جانب من هذه الجوانب يبدو كأنه شخصية مستقلة فى وقته المناسب».

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أحد رجال السياسة فى المغرب العربى.

(٤) الدعوة – العدد (٥٢) – ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١ هـ/ ١٣ فبراير ١٩٥٢م.

(٥) انظر الدعوة – العدد (١) – رجب ١٣٩٦ هـ/ يوليو ١٩٧٦م.

هذه هى شخصية حسن البنا لا كما وصفها الإخوان، فكم اتهموا بالتحيز له والمبالغة فى وصفه. لذا آثرنا أن ننقل ما جاء عن غير تلامذته ومن عاصروه من الإخوان المسلمين، ومن شخصيات لها وزنها ممن شهد له بالتقوى والورع والموضوعية فى الحديث، والجميع كما رأيت يثنون على الإمام الشهيد فهو دعوة وداعية بحق.

المبحث الثالث

الإمام البنا بأقلام معاصريه

أما أقوال غير الإخوان، فلا تخرج في مجملها عما قاله الإخوان، فمقالاتهم تناولت شخصية البنا وجهاده واغتياله.

كتب علي ماهر رئيس مجلس الوزراء يقول[1]: «عادت بي الذاكرة إلى عام ١٩٣٥، حين زارني الفقيد الكريم مع بعض أصدقائه بمناسبة انتقاله بجماعته من الإسماعيلية إلى القاهرة، متحدثًا في بعض الشئون العامة، وكان حديثه يشرح صدري وأسلوبه يشهد بموفور الثقافة الإسلامية والبصر بشئون الأمم العربية، وبراعة المنطق وقوة الحجة، وكان إلى ذلك شديد الإيمان بأنه يؤدي رسالة إنسانية سامية، دعائمها الإخاء والمحبة والسلام بين سكان البلاد جميعًا. وفي مارس سنة ١٩٣٩، بارحت لندن بالطائرة، إثر مؤتمر فلسطين، ووصلت القاهرة في مستهل الهزيع الأخير من ليلة لا أنساها، رأيت فيها جموع الإخوان تملأ فضاء محطة العاصمة، وتموج بهم أرصفتها، وسمعت نداءهم: «الله أكبر ولله الحمد» يدوي عاليًا، فيأخذ طريقه إلى القلوب، ويملأ النفوس إيمانًا بالله، وتجردًا للمثل العليا».

وفي مقال تحت عنوان الداعية الموفق للسيد اللواء محمد صالح حرب باشا الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين قال[2]: «واستطاع عليه الرحمة أن يوقد جذوة الفكرة الإسلامية في صدور الآلاف من الشباب، فأقبلوا على الدين وعكفوا على القرآن وتعلقوا بأسباب الثقافة الإسلامية، وكان لهم في ميدانها جهود وجولات استطاع أن يرد غربة الإسلام بين هؤلاء الجاهلين به إلى معرفة وأنس، وبذل في سبيل ذلك من علمه وجهاده ووقته ونفسه وأعصابه وراحته ما لا تستطيعه إلا العصبة المجتمعة من أقوياء الرجال..».

وفي كلمة الزعيم محمد نجيب عن حسن البنا عقب نجاح الثورة قال[3]: «من الناس

---

(١) الدعوة – العدد (١٠٤) – ٢٥ جمادى الأولى ١٣٧٢ هـ / ١٠ فبراير ١٩٥٣م.

(٢) الدعوة – العدد (٢٥٤) – ١٢ رجب ١٣٧٦ هـ / ١٢ فبراير ١٩٥٧م.

(٣) الدعوة – العدد (١٠٥) – ٣ جمادى الآخرة ١٣٧٢ هـ / ١٧ فبراير ١٩٥٣م، ومنبر الشرق ٢٠ فبراير ١٩٥٣م.

من يعيش لنفسه، لا يفكر إلا فيها، ولا يعمل إلا لها، فإذا مات لم يأبه به أحد، ولم يحس بحرارة فقده مواطن، ومن الناس من يعيش لأمته واهبًا لها حياته حاضرًا فيها آماله، مضحيًا فى سبيلها بكل عزيز غال، وهؤلاء إذا ماتوا خلت منهم العيون وامتلأت بذكرهم القلوب، والإمام الشهيد حسن البنا، أحد أولئك الذين لا يدرك البلى ذكراهم، ولا يرقى النسيان إلى منازلهم لأنه - رحمه الله - لم يعش فى نفسه بل عاش فى الناس، ولم يعمل لصوالحه الخاصة، بل عمل للصالح العام».

وقال جمال عبد الناصر[1] فى احتفال مجلس الثورة بذكرى استشهاد الإمام: «إننى أذكر هذه السنين والآمال التى كنا نعمل من أجل تحقيقها، أذكرها، وأرى بينكم من يستطيع أن يذكر معى هذا التاريخ وهذه الأيام، ويذكر فى نفس الوقت الآمال العظام التى كنا نتوخاها أحلامًا بعيدة. نعم أذكر فى هذا الوقت، وفى هذا المكان كيف كان حسن البنا يلتقى مع الجميع ليعمل الجميع فى سبيل المبادئ العالية، والأهداف السامية، لا فى سبيل الأشخاص ولا الأفراد ولا الدنيا.. ثم قال فى نهاية كلمته: **وأشهد الله أنى أعمل - إن كنت أعمل - لتنفيذ هذه المبادئ وأفنى فيها وأجاهد فى سبيلها**.

وقال صلاح سالم[2]: «إن هذه الأخلاق العالية والصفات الحميدة قد اجتمعت وتمثلت فى شخص أستاذ كبير، ورجل أحترمه وأجله واعترف بفضله العالم الإسلامى كله، وقد أحبه الجميع من أجل المثل العليا التى عمل لها والتى سنسير عليها إلى أن يتحقق لنا ما نريده من مجد وكرامة فى أخوة حقيقية وإيمان أكيد، رعاكم الله ووحد بين قلوبكم وجمع بينكم على الخير.

وفى ذكرى استشهاده كتب المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر يقول[3]: «إن الأستاذ البنا، رجل مسلم غيور على دينه، يفهم الوسط الذى يعيش فيه، ويعرف مواضع الداء فى جسم الأمة الإسلامية، ويفقه أسرار الإسلام، وقد اتصل بالناس اتصالاً وثيقًا على اختلاف طبقاتهم، وشغل نفسه بالإصلاح الدينى والاجتماعى، على الطريقة التى كان يرضاها سلف هذه الأمة».

(١،٢) الدعوة - العدد (١٥٧) - ١٢ جمادى الآخرة ١٣٧٣ هـ / ١٦ فبراير ١٩٥٤م.

(٣) الدعوة - العدد (٥٢) - ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١ هـ / ١٣ فبراير ١٩٥٢م.

وتحدث الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية فى الأربعينيات عن حسن البنا وأشاد به وبمكانته بين الدعاة فيقول(١): «الشيخ حسن البنا أنزله الله منازل الأبرار، من أعظم الشخصيات الإسلامية فى هذا العصر، بل هو الزعيم الإسلامى الذى جاهد فى الله حق الجهاد، واتخذ لدعوة الحق منهاجًا صالحًا وسبيلاً واضحًا استمده من القرآن والسنة النبوية ومن روح التشريع الإسلامى، وقام بتنفيذه بحكمة وسداد وصبر وعزم، حتى انتشرت الدعوة الإسلامية فى آفاق مَصر وغيرها من بلاد الإسلام واستظل برايتها خلق كثير».

وتحت عنوان الإمام الشهيد يغزو الجامعات كتب الأستاذ الدكتور محمد طه بدوى أستاذ القانون العام يقول(٢): «لقد كان الإمام الشهيد شمسًا وغيثًا وأملاً للجامعة بل للجامعات المصرية، فأنشأ مدرسته المثالية وعلم ألوفًا من إخوانه الفلسفة والمبادئ الإسلامية فغزوا بعلومهم وأفكارهم وثورتهم كليات الجامعة، وإذا بنا نشهد جيلاً آخر هو جيل المجاهدين فى سبيل الفكرة الإسلامية والوطن الإسلامى.. ولم يعد يجرؤ أستاذ أن يتهجم بفلسفته على تراث الإسلام الغالى ولم يستطع جامعى أن يدل على البشرية بنظام خير من النظام الإسلامى الذى وُجد من تلامذة الإمام الشهيد».

ويقول الأستاذ كامل الشناوى بك(٣): «لقد كان حسن البنا هو الزعيم الوحيد الذى آمن بالفكرة التى جاهد من أجلها، ولقد كان حسن البنا هو القائد الوحيد الذى تلمحه فى صفوف الجنود».

وتحدث محمد التابعى عن حسن البنا وما دار بينهما من حوارات، استطاع من خلالها أن يتعرف على شخصية البنا عن قرب، فيصف البنا بقوله(٤): «دائم الابتسام، فاره القامة، رحب الهيكل، يبدو قويًا كشجرة السنديان، فى صوته عمق وعرض وطول، وللسانه سحر إذا تكلم يتكلم فيه بالألباب والأحاديث وأمجاد الجهاد الإسلامى».

وأرجع على الغاياتى كل ما بذل الإخوان من جهود إلى حسن البنا فيقول(٥): «إذا

---

(١) انظر الدعوة - العدد (٣) - ١٣ فبراير ١٩٥١م.

(٢) الدعوة - العدد (١٠٥) - ٣ جمادى الآخرة ١٣٧٢ هـ / ١٧ فبراير ١٩٥٣م.

(٣) الدعوة - العدد (٥٢) - ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١ هـ / ١٦ فبراير ١٩٥٢م.

(٤) انظر: جابر رزق: حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه ص (٢١٢ - ٢١٧).

(٥) الدعوة - ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١ هـ / ١٣ فبراير ١٩٥٢م.

صح ما قاله المغفور له الملك عبد الله الهاشمى من أن الإخوان المسلمين هم معجزة القرآن فى هذا الزمان، فمما لا شك فيه أن مؤسس جماعتهم وراعى نهضتهم ومرشدهم العام المرحوم الأستاذ حسن البنا هو رب هذه المعجزة. فمن علمه وهديه، ونشاطه وروحه، وإيمانه وإسلامه.. استمدت هذه الجماعة ما سمت به من عظيم الصفات، وما قامت به من جليل الأعمال».

ويشير إحسان عبد القدوس إلى بعض جوانب شخصية البنا وإخوانه ويوضح كيف أن البنا فتح باب الاجتهاد وأعاد إليه رونقه وصفاءه بعد أن ران عليه غبار الجمود، وأشار إلى تضحية الإخوان فى سبيل الدعوة(١)، قد ملأت شخصية حسن البنا قلوب جميع المصريين بحبه على اختلاف دينهم، فكان رحمه الله ودوداً باشا يحب كل من يلقاه ولم يفرق بين مسلم ومسيحى، لذلك فقد كان المسيحيون يحبونه، ففى كلمة للزعيم الوطنى المسيحى مكرم عبيد باشا قال(٢): «وما من شك أن فضيلة الشيخ حسن البنا هو حى لدينا جميعًا فى ذكراه، بل كيف لا يحيا ويخلد فى حياته رجل استوحى فى الدين هدى ربه، ففى ذكره حياة له ولكم. ومن ذا الذى يقول بهذا هو مكرم عبيد صديقه المسيحى الذى عرف أخاه المسلم الكريم الصدق والصداقة معًا..».

ويشير مصطفى أمين إلى أشد ما أعجبه فى الإمام البنا فيقول(٣): «إيمانه بفكرته، كان يؤمن بها بطريقة عجيبة، ويرى أن المستقبل لها، وقد انعكس ذلك على سلوكه، فكان له قدرة فائقة على إقناع الغير بذلك.. أعجبنى كذلك فى حسن البنا أن إيمانه بفكرته لم يكن عاطفيًا فقط بل كان محسوب الخطوات مدروسًا ولم يكن متعجلاً رغم حماسه الشديد لما يؤمن به».

---

(١) روز اليوسف - ١٢ سبتمبر ١٩٤٥م، انظر كذلك جابر رزق: حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه ص (٢٢٠ - ٢٢٢).

(٢) الدعوة - العدد (٥٢) - ١٦ جمادى الأولى ١٣٧١ هـ / ١٣ فبراير ١٩٥٢م.

(٣) لواء الإسلام ٥/٤٢ - ١٠ محرم ١٤٠٨ هـ / ٨ أغسطس ١٩٨٧م.

المبحث الرابع

الإمام البنا بأقلام المرأة المسلمة

ولما كانت دعوة الإخوان هى دعوة للمجتمع بعنصريه المرأة والرجل، فلا غرابة أن نجد كتابات للمرأة المسلمة حول شخصية الإمام الشهيد رحمه الله، فها هى الحاجة المجاهدة زينب الغزالى تكتب فتقول(١): «نور استشهادك سيدى أنار لنا الطريق ووثق تمسكنا بالكتاب والسنة، والريادة السليمة بالعمل المتواصل فى ساحة جهادك وبذلك، فى بوتقة تعاليمك وإرشادك وهدايتك، فسارت الدعوة على هدى خطاك ووصاياك».

وقد كتبت السيدة زينب جبارة «رئيسة السيدات المسلمات» تقول(٢): «كان شخصية جبارة قوية، وليس أدل على قوة شخصيته الجبارة، من أن أمريكا وإنجلترا وفرنسا، كانت جميعها تنظر إلى الرجل بعين الحذر، وتراقب حركته من بعيد ومن قريب وأيديها على قلوبها، فلقد كانت تعلم وتؤمن بأن حركة الإخوان المسلمين خطر على الاستعمار أينما حل فى رقعة إسلامية أو بين شعب مسلم..».

وعن الإمام وأفقه الواسع وبصيرته كتبت السيدة بهية نصار «رئيسة مبرة الخدمة الإسلامية» تقول(٣): «كان رحمه الله صاحب رسالة وكان موفقًا كل التوفيق حيث لمس حقيقة الداء وعالجه بأنجع دواء، رأى انهيار الأخلاق وانحراف الناس عن الطريق السوى بتركهم الدين وراء ظهورهم فعمل جاهداً على تغيير الوضع، وسلك بالإخوان وبشباب الأمة خاصة السبيل العملى ليخلق من كل فرد المسلم الحق والمواطن القوى الصالح..».

وتنقل امرأة فاضلة أخرى صورة التأثير والروح التى بثها البنا فى أتباعه وإخوانه فتقول السيدة يسرية حسن مصطفى(٤) وقد رأت ذلك الصبر العجيب الذى تحلت به أسر وزوجات المعتقلين: «.. وتساءل القوم: أى شىء بث فى نفوس هذه الفئة الصبر والثبات والتضحية والإيثار وخاصة عند اشتداد المحنة ونزول البلاء؟ فعرفنا أنها دماء

---

(١) لواء الإسلام - رجب ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م.

(٢) الدعوة - العدد (١٠٤) - ٢٥ جمادى الأولى ١٣٧٢ هـ / ١٠ فبراير ١٩٥٣م.

(٣،٤) المصدر السابق.

الإمام الشهيد قد خطت لهم فى صفحة الوجود معنى التضحية والاستشهاد فى سبيل الثبات على الدعوات..».

وتحت عنوان «حسن البنا تجديد عبقرية» كتبت السيدة جلنار فهيم تقول: «لله درك يا حسن، أما زلت تثبت عطر عبقريتك وصدق إخلاصك لكل غاد ورائح؟ ولن ينسى إخوتك حين سمعت نبأ استشهاد الكرام فى أول معركة على تراب فلسطين فتهتف قائلاً: اشتقنا إلى الجنة»[١].

(١) الدعوة - العدد (١٠٤) - ٢٥ جمادى الأولى ١٣٧٢ هـ / ١٠ فبراير ١٩٥٣م.

المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: السيرة النبوية.

ثالثًا: السنة المطهرة.

رابعًا: كتب التاريخ والسير:

١ – محمد محمد حسين – الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر.

٢ – سعيد إسماعيل على – الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية على حركة الفكر التربوى فى مصر من ١٨٨٢م – ١٩٢٣م.

٣ – دوفان قرقوط – تطور الفكرة العربية فى مصر.

٤ – الإمام الشهيد حسن البنا – مذكرات الدعوة والداعية.

٥ – أحمد عبد الرحيم مصطفى – تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة.

٦ – جان لاكتوير، جان بوميه – الدول النامية فى الميزان.

٧ – مصطفى صفوت – مصر المعاصرة وقيام الجمهورية العربية المتحدة.

٨ – أنور الجندى – معالم الفكر العربى المعاصر.

٩ – أحمد ربيع خلف – الفكر التربوى وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين.

١٠ – أمين مصطفى عبد اللاه وآخرون – الاشتراكية العربية.

١١ – عبد العظيم رمضان – تطور الحركة الوطنية فى مصر.

١٢ – لطفى منيب بركات أحمد – معالم فلسفة تربوية الفكر الاشتراكى العربى فى مصر، رسالة دكتوراه.

١٣ – محمد الهادى عفيفى – التربية والتغيير الثقافى.

١٤ – محمد عبد القادر أبو فارس – السيرة الجهادية للإمام البنا.

١٥ – يوسف القرضاوى – الإخوان المسلمون.. سبعون عامًا من الجهاد.

١٦ – جابر رزق – حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه.

١٧ – عبد الرحمن الرافعى – ثورة ١٩١٩م.

١٨ – عبد الرحمن الرافعي – في أعقاب الثورة المصرية.
١٩ – مصطفى فهمى أبو زيد – النظام الدستورى المصرى.
٢٠ – صبرى أبو المجد وأمين الرافعي – مناضل مصرى من أجل الدستور وحرية الرأى.
٢١ – أحمد شلبى – موسوعة التاريخ الإسلامى.
٢٢ – محمد ضياء الدين الريس – الإسلام والخلافة فى العصر الحديث.
٢٣ – زكريا سليمان بيومى – الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية.
٢٤ – محمد عمارة – هل الإسلام هو الحل.. لماذا وكيف؟.
٢٥ – عبد المتعال الجبرى – لماذا اغتيل الإمام الشهيد؟.
٢٦ – الإمام البنا – مجموعة الرسائل.
٢٧ – محمود عبد الحليم – أحداث صنعت التاريخ.
٢٨ – عثمان عبد المعز رسلان – التربية السياسية عند الإخوان المسلمين.
٢٩ – أنور الجندى – حسن البنا الداعية الإمام والمجدد الشهيد.
٣٠ – أنور الجندى – بين لاظوغلى وقصر الدوبارة.
٣١ – عبد العظيم رمضان – الفكر الثورى في مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو.
٣٢ – طارق البشرى – المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية.
٣٣ – عاصم الدسوقى – كبار ملاك الأراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى.
٣٤ – محمد عودة – ميلاد ثورة.
٣٥ – محمد أنيس، السيد رجب حراز – ثورة ٢٣ يوليو.
٣٦ – سعيد مرسى أحمد، سعيد إسماعيل على – تاريخ التربية والتعليم.
٣٧ – محمد مهدى لهيطة – تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة.
٣٨ – راشد البراوى – حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر.
٣٩ – ا. ل. شاتلين – الغارة على العالم الإسلامى.
٤٠ – أحمد شفيق – حوليات مصر السياسية.
٤١ – محمد فتحى على شعير – وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين.
٤٢ – عاطف صدقى، أحمد الغندور – التحول الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة.

٤٣ - أمين مصطفى عفيفي - تاريخ مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث.
٤٤ - عبد الرحمن الرافعي - مصر البعث الوطنى.
٤٥ - سلامة موسى - جيوبنا وجيوب الأجانب.
٤٦ - عبد العزيز مرعى، عيسى إبراهيم - المشكلات الاقتصادية المعاصرة فى الإقليم المصرى.
٤٧ - راشد البراوى، محمد حمزة عليش - التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث.
٤٨ - سعيد محمد المهيلمى - مذكرات فى التطور الاقتصادى.
٤٩ - رؤوف عباس حامد - الاقتصاد المصرى فى الوثائق البريطانية.
٥٠ - شهدى عطية الشافعى - تطور الحركة الوطنية المصرية.
٥١ - ريتشارد ميتشل - الإخوان المسلمون.
٥٢ - محمد شوقى زكى - الإخوان والمجتمع المصرى.
٥٣ - إبراهيم زهمول - الإخوان المسلمون أوراق تاريخية.
٥٤ - فهمى جدعان - أسس التقدم عند مفكرى الإسلام.
٥٥ - طارق البشرى - الصيغ التقليدية والصيغ الحديثة فى التعددية السياسية حالة مصر.
٥٦ - محمد عبده - الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية.
٥٧ - أنور عبد الملك - نهضة مصر.
٥٨ - جرجس سلامة ميخائيل - اثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى.
٥٩ - أمين سامى باشا - التعليم فى مصر.
٦٠ - طه حسين - مستقبل الثقافة.
٦١ - مالك بن نبى - مشكلة الثقافة.
٦٢ - إبراهيم غانم - الفكر السياسى عند حسن البنا.
٦٣ - مالك بن نبى - وجهة العالم الإسلامى.
٦٤ - محمد جابر الأنصارى - تحولات الفكر والسياسة فى الشرق العربى.

٦٥ - محمد فتحى عثمان - السلفية فى المجتمعات المعاصرة.
٦٦ - أنس الحجاجى - الرجل الذى أشعل الثورة.
٦٧ - سلامة موسى - اليوم والغد.
٦٨ - أنور الجندى - التربية وبناء الأجيال فى ضوء الإسلام.
٦٩ - ليونارد بايندر - الثورة العقائدية فى الشرق الأوسط.
٧٠ - محمد يحيى - ورقة ثقافية فى الرد على العلمانيين.
٧١ - رؤوف عباس - هنرى كوريل والحركة الشيوعية المصرية.
٧٢ - على شلش - اليهود والماسون فى مصر.
٧٣ - إسماعيل محمود القبانى - دراسات فى تنظيم التعليم.
٧٤ - هنرى جونسون - تدريس التاريخ - ترجمة أبو الفتوح رضوان.
٧٥ - عبد الحميد فهمى مطر - التعليم ومتعقباته.
٧٦ - أحمد حسن الشوربجى - حسن البنا مجدد القرن الرابع عشر.
٧٧ - محمد السيد الوكيل - كبرى الحركات الإسلامية.
٧٨ - جمال البنا - خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه.
٧٩ - إسحاق موسى الحسينى - الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية.
٨٠ - أحمد عادل كمال - النقط فوق الحروف.
٨١ - عباس السيسى - فى قافلة الإخوان.
٨٢ - توفيق علوان - نجم الدعاة حسن البنا.
٨٣ - أحمد البس - الإخوان المسلمون فى ريف مصر.
٨٤ - فتحى العسال - الإخوان المسلمون بين عهدين.
٨٥ - محسن محمد - من قتل حسن البنا؟
٨٦ - صلاح شادى - الشهيدان.
٨٧ - عباس السيسى - جمال عبد الناصر وحادث المنشية.
٨٨ - السيد يوسف - الإخوان المسلمون هل هى صحوة إسلامية.
٨٩ - حسن مكى محمد أحمد - حركة الإخوان المسلمون فى السودان.

٩٠ – طارق المهدوى – الإخوان المسلمون على مذابح المناورة.

٩١ – عبد الحكيم عابدين – مذكرات غير منشورة.

٩٢ – محمد عبد الحليم حامد – مائة موقف من حياة المرشدين.

خامساً : المجلات والدوريات :

١ – جريدة الإخوان المسلمون.

٢ – مجلة الدعوة.

٣ – مجلة لواء الإسلام.

٤ – مجلة النذير.

٥ – مجلة الرابطة الشرقية.

٦ – السياسة الأسبوعية.

٧ – الأهرام.

٨ – مجلة الفتح الأسبوعية.

٩ – مجلة الهلال.

١٠ – مجلة الشهاب.

١١ – روز اليوسف.

١٢ – مجلة عطارد.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
التقديم	٥
فصل تمهيدى	١٧
الباب الأول: واقع المجتمع المصرى فى بداية القرن العشرين	٣٧
الفصل الأول: الحياة السياسية التى كانت تحكم المجتمع المصرى فى بداية القرن العشرين	٣٩
الفصل الثانى: الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المصرى إبان ظهور الإمام البنا وتاسيس جماعة الإخوان المسلمين	٦٦
الفصل الثالث: الحياة الفكرية والثقافية للمجتمع المصرى إبان ظهور الإمام البنا وتاسيس جماعة الإخوان	٩٨
الباب الثانى: شخصية الإمام البنا	١٤١
الفصل الأول: المولد والنشاة والأسرة والتكوين العلمى والثقافى	١٤٣
الفصل الثانى: اضواء على الإمام البنا	١٦٥
الفصل الثالث: جوانب من شخصية الإمام البنا	٢٠٠
الفصل الرابع: اغتيال الإمام البنا	٢٤١
الفصل الخامس: بعض ما كتب عن الإمام البنا	٢٦٧
المراجع	٢٨٩

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣

بۆدابەزاندنی جۆرەها کتێب:سەردانی: (مُنتَدى إقرَأ الثَقافِي)

لتحميل انواع الكتب راجع: (مُنتَدى إقرَأ الثَقافِي)

براي دانلود كتابهاى مختلف مراجعه: (منتدى اقرا الثقافي)

www. Iqra.ahlamontada.com

منتدى إقراء الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

للكتب (كوردى ، عربي ، فارسي)

هذا الكتاب

لقد نشأت أجيال لا تعرف تاريخ أمتها ، بل ولا تحس بـــأن هناك حـــاجة إلى هذا الجانب من المعرفة ، إلا أن يكون منهجاً دراسياً يضطر إلى تحصيله فى مدرسته أو كليته ليكون بذلك وسيلة من وسائل كسب عيشه .

أما شعور الانتماء للأمة والاعتزاز به ، وواجب المشاركة فى تصفح هذا التاريخ وحقه فى هذا فقد توارى هذا الشعور وما وراءه من فاعلية وإيجابية حتى صارت الشعوب تتحرك حركة القطيع بلا زاد من تاريخها ولا تصور لمستقبلها .

ولقد هيأ الله لهذه الأمة رجالاً آمنوا بعزة الانتماء لهذة الأمة ورســالتها فى هذا الوجود "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرســول عليكم شهيدا " فقاموا بواجبهم خير قيام فجزاهم الله عن إسلامهم وأمتهم خيرا .

كان من هؤلاء الرجال الإمام حسن البنا . وكان حقا لهذه الأجيال أن تعرف تاريخ هذا الرجل وجماعته فكرا وحركة ومصاعب وإبــتلاءات وأثراً وتأثيراً فى تاريخ الأمة .

وشعوراً من المؤلف الكريم بواجبه تجاه أمته وأجيالها جاء هذا الكتاب ليبين :-

الظروف التى نشأ فيها الإمام وقامت فيها دعوته وحــياة الإمام نشــأة وتربــية وأسرة ومجتمعا وتاريخ الجماعة التى أنشأها

والله الهادى والموفق إلى سواء السبيل

الناشر

دار التــوزيع والنشــر الإســلامــيــة
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
email:info@eldaawa.com www.eldaawa.com